مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء الخامس

أحمد القصير | إيفون حبشي | سامى عجيب
سعد جويدة | عبد المنعم ناطورة | فتح الله محروس
محمد يونس | محمود العالم | محمود عزمى
منصور زكى | هليل شفارتز

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تقديم

د. عاصم الدسوقى

..وهذه مجموعة أخرى من شهادات ورؤى عناصر الحركة الشيوعية فى مصر التى ارتبطت بالتنظيمات اليسارية فى الأربعينيات ومطلع الخمسينيات وهم دون العشرين أو فوقها بعام أو بعامين. وتكشف شهاداتهم عن صفحات أخرى مجهولة من نضال الشيوعيين تضيف جديداً إلى ما سبق نشره.. فبرغم كثرة الشهادات التى قدمت فى الأجزاء السابقة وتنوعها، ورغم ما نشره آخرون عن تاريخ هذه الفترة، يظل هناك دائما ما يمكن اضافته لاستكمال زوايا الصورة من واقع المواقف الفردية والمصادفات الخاصة التى تصب جميعها فى المجرى العام.

ورغم أن أصحاب هذه المجموعة من الشهادات متنوعون تعليمياً واجتماعياً، إلا أن لغتهم تكاد تكون واحدة مع اختلاف فى التعبير، مما يؤكد قدرة الحركة اليسارية على تثقيف أبنائها وتوحيد أفكارهم العامة تجاه قضايا المجتمع ومشكلاته. وفى هذا يتساوى من انضم للحركة الشيوعية من خلال التمرد فكريًا على المثالية السائدة، أو عن طريق قراءة الروايات التى صورت قاع المجتمع، أو بالاحتكاك بالفقراء المعدمين، أو من خلال الشعور بالظلم الاجتماعى والتفاوت الطبقى، وهذا بصرف النظر عن اختلاف رؤى التقويم النهائية التى توصل إليها كل منهم بعد فترة من إعادة التأمل فيما حدث وفيما كان.

وتؤكد هذه الشهادات شأن سابقاتها صلابة الالتزام التنظيمى لدى الأعضاء لدرجة التضحية بالنفس وتقبل التعذيب ومختلف صنوف الإهانات محافظة على التنظيم وعدم الخروج على تعليماته رغم عدم الاقتناع أحياناً امتثالاً للديموقراطية المركزية، وإن كانت المهارات التنظيمية وأسلوب التأمين والسرية والتخفى والكتمان كما تقول بعض الشهادات أمراً كان يعتمد على الفروق الفردية أكثر من التعليمات التنظيمية.

وتحفل الشهادات بمعلومات نادرة جديرة بالاعتبار.. من ذلك أن محاولة سلطة ثورة يوليو لتصفية الحركة الشيوعية بانضمام عناصرها إلى التنظيم السياسى للثورة (الاتحاد الاشتراكى) كانت سابقة على عام ١٩٦٤ وتعود إلى عام ١٩٥٨ أيام الاتحاد القومى مما يؤكد أنه لا علاقة بين اتجاه الثورة إلى سياسة التأميم والملكية العامة لوسائل الإنتاج والرغبة فى تصفية الحركة الشيوعية، والمسألة لم تكن أكثر من تصفية تنظيم سياسى جماهيرى منافس.

وفى الشهادات معلومات خاصة باستمرار النشاط الشيوعى بعد حل الحزب عام ١٩٦٤ فيما عرف بالتيار الثورى، والقول بأن عناصر من السلطة السياسية أدركت مبكراً خطورة اتجاه السادات قبل مايو ١٩٧١ «الذى سيقضى على كل شئ وأنه سيأتى بالامريكان»، وكيف أن هذه العناصر كانت ترى الاعتماد على اليسار لإثارة الشارع السياسى ضد السادات.

وتعطينا الشهادات أيضاً صورة واضحة لانتشار النشاط الشيوعى فى بلاد الوجه البحرى والصعيد وليس فقط فى القاهرة والاسكندرية كما هو شائع، وأيضاً فى المدارس الثانوية وليس فقط فى الجامعة، وكيف أن منظمة حدتو كانت تضم طلاباً من اليمن يدرسون فى مصر وليس فقط طلاب السودان كما هو شائع فى أدبيات اليسار، وقد برز دورهم فى أول مؤتمر عام للطلاب اليمنيين فى القاهرة عقد عام ١٩٥٦.

وفى الشهادات حديث متصل عن اليهود وعلاقاتهم بالتنظيمات ومدى سلامة هذا الاتجاه أو خطورته، وتقويمه بين فكرة الشيوعية التى تتجاوز العقائد الدينية وبين القومية التى تفجرت بعد تقسيم فلسطين وإنشاء إسرائيل. وهنا تأتى أهمية شهادة هليل شفارتز من حيث دوره فى تأسيس منظمة إسكرا (الشرارة) عام ١٩٤٢ وجهودها فى ترجمة أدبيات الماركسية إلى العربية ونشاطه فى المنظمة حتى تكوين حدتو فى سبتمبر ١٩٤٧.

وتحفل الشهادات ببعض الرؤى اللافتة للنظر .. من ذلك أن التنظيم النقابى قبل الثورة كانت له شخصيته الاعتبارية، حيث أن نقابة المصنع مستقلة، وهو استقلال فقدته بتكوين النقابة العامة بعد ثورة يوليو. وأن أسلوب السلطة السياسية فى التعامل مع النقابات العمالية لم يتغير بعد الثورة عما كان قبلها. ففيما بين تقديم الطلب لوزارة الشئون الاجتماعية قبل

الثورة لتسجيل النقابة وبين إجراءات لتسجيل، يتم اعتقال المؤسسين، وبعد الثورة مباشرة أرادت السلطة الجديدة حركة نقابية موالية لها فأشهرت مبدأ تطهير النقابات من الشيوعيين، شأن شعار تطهير الأحزاب السياسية قبل إلغائها في يناير ١٩٥٢. ورغم التقدير الذى يحظى به حزب الوفد من اليسار بوجه عام وخاصة للطليعة الوفدية، إلا أن هناك من رأى «أن الوفد أكبر حزب لتضليل الشعب لأنه كان يعطى مسكنات». ورغم أهمية الاحتراف للتفرغ للعمل الثورى، إلا أن هناك من نقد أسلوب اختيار المحترفين الذى كان يقوم على توفير مصدر مالى للمعيشة لمن فصل من عمله نتيجة نشاطه دون تقدير للكفاءة والقدرة اللازمة.

ورغم نقد أصحاب الشهادات لانقسام الحركة الشيوعية وللحلقية والشللية، بل ونقد وحدة الأحزاب الشيوعية الرئيسية (٨ يناير) لأنها كشفت سرية كافة المنظمات، إلا أنهم يجمعون على الأسف والأسى لقرار الحل فى ١٩٦٤.

وبعد .. إن الدعوة ما تزال قائمة لمزيد من الشهادات يقدمها الأحياء من مختلف فصائل الحركة الشيوعية المصرية من أجل تأريخ حقيقى لنضال الشيوعيين المصريين، ولتصويب ما سبق نشره بأقلام الدارسين فى ضوء ما لديهم من معلومات. وليس هناك أولى من الشيوعيين أنفسهم ليقوموا بمهمة تسجيل تاريخهم للأجيال القادمة.

شهادة

أحمد القصير

الاسـم : أحمد لقصير

تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٣٥/٣/١٥ بقرية الإخيوة، مركز فاقوس، محافظة الشرقية. وتتبع القرية الآن مركز الحسينية بعد تقسيم مركز فاقوس إلي مركزين.

التعليم : بدأ التعليم بالمنزل عن طريق مدرس خاص يأتي يوميًا من قرية أخرى، واستمر هذا الأمر حتى دخلت المدرسة الابتدائية بمدينة فاقوس. وبعد الحصول على الابتدائية التحقت بالتعليم الثانوي بالقاهرة بمدرسة حلوان الثانوية.

المؤهلات : دكتوراه فى علم الاجتماع.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : فى ١٩٥١ وكان الانضمام إلى "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" التى اشتهرت باسم "حدتو" الذى يتشكل من الحروف الأولى للاسم الأصلى للمنظمة.

فترة السجن والاعتقال : سأتحدث أولاً عن عدد مرات الاعتقال والفترات التى قضيتها بالسجن، قبل الانتقال للحديث عن دورى بنشاطى ورؤيتى بشأن بعض القضايا المحورية. وقد اعتقلت أربع مرات تزيد فى مجموعها على عشر سنوات.

الاعتقال الأول : من ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ حتى ٢٩ مايو سنة ١٩٥٦.

وكان الحبس الاحتياطى فى سجن مصر فى إطار قضية شيوعية. وبعد إعلان قرار الاتهام فى القضية دون أن يتضمن اسمى، أفرجت عنى النيابة، لكن صدر قرار باعتقالى ولم أخرج. وكان أحمد طه من المتهمين فى تلك القضية، ولكن تم ضمه إلى قضية السجن الحربى مع بقية قيادة حدتو. وكانت المعاملة في سجن مصر متميزة، أي حرف ألف(أ). غير أنه سرعان ما تم إلغاء هذا النظام فى إطار ما سُمى بتطوير السجون. وكنا نحصل فى ظل تلك المعاملة على الغذاء من أحد المتعهدين. كما كنت أقيم مثلاً فى غرفة بها سرير وكرسى ومكتب.

أفرجت النيابة عنى فى ٥ ديسمبر ١٩٥٥، لكن تم نقلى من سجن مصر مباشرة إلى حجز قسم الخليفة حتى يتم إصدار قرار باعتقالى. وبعد صدور ذلك القرار فى ٨ ديسمبر ١٩٥٥ تم

أجرى الحوار حنان رمضان ومصطفى مجدى فى ٢ و ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٠ .

ترحيلي إلى أوردي ليمان أبي زعبل، ومعي الزميل فخري مكاري بعد أن أمضينا أسبوعاً في حجز قسم الخليفة.

وبقيت في معتقل الأوردي حتى الإفراج عني في ٢٩ مايو ١٩٥٦ في إطار عملية تصفية المعتقلات في ذلك الحين. وفي أثناء تلك الفترة واجهنا في معتقل الأوردي بدايات التعذيب الوحشي المنظَّم الذي تولاه اللواء همت وكيل مصلحة السجون، وهو نفس الشخص الذي أشرف على تعذيبنا بعد ذلك بسنوات قليلة، أي في بداية الستينات، حيث تم قتل شهدي عطية الشافعي في المعتقل نفسه.

وجاءت بدايات ذلك التعذيب المنظَّم في منتصف الخمسينات عندما أضربنا عن الطعام (مجموعة حدتو بمعتقل الأوردي) لتحسين أوضاعنا. وفوجئنا في أحد أيام الإضراب بفتح باب العنبر ودخول السفاح همت مع مجموعة من العساكر بالشوم وانهالوا علينا بالضرب. وأذكر أن ذراع جمال غالي كُسرت في تلك العملية. وبعد أن توقف الضرب أمر همت العساكر بتكسير بعض الأشياء الخاصة بنا. وأذكر على سبيل المثال أن همت طلب من أحد العساكر بأن ينتزع الساعة من يدي وأن يكسرها بالأقدام.

واستكمل همت عملية التعذيب وقام باختيار حوالي خمسة عشر معتقلاً، كنت من بينهم، ثم ذهب بنا إلى الساحة الموجودة أمام باب المعتقل حيث كانت التجهيزات معدة للتعذيب عن طريق الجلد بسوط به عقد ويتم غمسه كل حين في جردل به شاي لكي يكون أكثر إيلاماً. وكان الجلد يتم بعد تعليقنا في "العروسة" الخشبية. وحدثت هذه العملية في وجود طبيب السجن الذي قام بالكشف على بعض المعتقلين بعد الجلد وكنت من بينهم. وكان الجلد يستمر دون توقف وبلا أي حساب إلا بأمر من همت الذي كان ينهر العسكري الجلاد بأن تكون ضربات السوط على ظهورنا أكثر عنفاً. ولذلك فإن معظمنا تعرض لأكثر من عشرين جلدة. وأذكر أن أحمد الرفاعي وإسماعيل المهدوي كانا بين المجموعة التي تعرضت للجلد. وقام همت بعد عملية التعذيب بنقلنا إلى التأديب في مبنى ليمان أبي زعبل الذي يقع على ترعة الإسماعيلية على بعد عدة كيلومترات عن مبنى الأوردي الكائن بالقرب من الجبل، حيث يتم تشغيل المساجين في تكسير الأحجار. غير أن إضرابنا عن الطعام استمر بعد ذلك مدة تزيد على عشرة أيام على

الرغم من وضعنا فى التأنيب.

كنت عند اعتقالى طالباً بالسنة الأولى بكلية الحقوق بجامعة عين شمس. وعند الإفراج عنى فى عام ١٩٥٦ وجدت قراراً من مجلس قيادة الثورة بفصلى من الكلية. وساعدنى د. حلمى مراد وكيل كلية الحقوق آنذاك على الالتحاق بكلية الآداب استناداً إلى أن القرار نص على فصلى من كلية الحقوق ولم ينص على فصلى من الجامعة.

الاعتقال الثانى : من ١ يناير ١٩٥٩ حتى ٤ أبريل ١٩٦٤.

حدث هذا الاعتقال ليلة رأس السنة. وكنت فى ذلك الحين طالباً بالسنة الثانية بكلية الآداب. واستمر اعتقالنا فى سجن القلعة عدة شهور. وتم بعد ذلك نقلنا إلى سجن الواحات الخارجة. ولكن لم نستمر هناك طويلاً. فقد أعادونا إلى سجن مصر بالقاهرة فى مجموعة ضمت حوالى خمسة وأربعين (٤٥) زميلاً ضمن القضية التى كان المتهم الأول فيها شهدى عطية. وبعد فترة قصيرة تم نقلنا إلى سجن الأسكندرية، حيث جرت المحاكمة أمام محكمة عسكرية برئاسة الفريق هلال عبد الله هلال. وقد تعرضنا قبل المحاكمة بأيام لعملية تعذيب فى سجن الحضرة بالأسكندرية. وقمنا بإثارة الموضوع أمام المحكمة، لكنها لم تتخذ أى إجراء تجاه مأمور السجن سوى استدعائه إلى جلسة المحكمة والتنبيه عليه بعدم التعرض لنا.

وبعد المحاكمة تم نقلنا فى أحد الأيام - فجراً - إلى أوردى ليمان أبى زعبل، حيث كان فى انتظارنا اللواء همت المتخصص فى تعذيب المعتقلين. واجهنا بمجرد وصولنا إلى الأوردى عملية تعذيب منظمة وقاتلة شملت الضرب بالشوم ووضع رؤوس المعتقلين فى الماء لإفاقتهم ثم معاودة ضربهم. كما شمل التعذيب سحل المعتقلين عرايا فى الساحة الموجودة أمام باب المعتقل. وكان يتم إدخالنا من بوابة المعتقل على هذا النحو، أى سحلاً من أرجلنا، بعد أن وضعوا فوق صدر كل معتقل البرش والبطانية التى يستخدمها فى السجن. وبعد الدخول من البوابة نجد خلفها نقطة تعذيب أخرى يرأسها أحد الضباط (عبد اللطيف رشدى)، وهو الذى أكمل الإجهاز على شهدى عطية.

فقد كانت هناك نقاط مختلفة للتعذيب تبدأ بالجرى وسط صفين من العساكر لمسافة حوالى ٥٠٠ متر، حيث يشارك جميع العساكر فى الصفين فى ضرب المجموعة المكونة من أربعة

معتقلين. وكانت هذه العملية تبدأ بأمر من أحد الضباط لكل أربعة معتقلين بأن يسجدوا بجبهتهم على الأرض ثم يأمرهم بعد ذلك بالجري يحيطهم - على امتداد ٥٠٠ متر - صفان العساكر يتولى كل عسكري منهم ضرب المعتقلين بمجرد أن يمروا من أمامه. وفي الوقت نفسه يتلقى المعتقلون الضرب من ضباط يطاردونهم من الخلف ويقومون بضربهم وهم على ظهر الخيول.

وعلى ذلك النحو يستمر الضرب من الجانبين والمطاردة والضرب من الخلف إلى أن يصل المعتقلون إلى الموقع الرئيسي للتعذيب الذى يجلس فيه همت أمام باب المعتقل ومعه حسن منير مأمور المعتقل. وفى ذلك الموقع يتولى الضابط يونس مرعى ومعه مجموعة من العساكر ضرب المعتقلين وتعذيبهم وفقًا لأساليب تم إعدادها سلفًا. وكان ذلك الموقع هو الذى شهد أبشع عمليات التعذيب، حيث كانوا يقومون بوضع رؤوس المعتقلين فى بركة من الماء بعد أن يفقدوا وعيهم ثم يقومون ثانية بضربهم وسحلهم.

وبعد أن تكررت هذه العملية أمامنا مع أربع مرات، أى مع أربع دفعات من زملائنا، حضر أحد الضباط، وهو مدير للعلاقات العامة بمصلحة السجون، واسمه الثانى "طه"، وقال: "فين الأستاذ شهدى عطية". وأجلس شهدي مع ثلاثة زملاء آخرين، وواصلوا عملية التعذيب بشكل أكثر قسوة. وبدأ ذلك أمام أعيننا بأمر أصدره ضابط اسمه مرجان وهو على ظهر أحد الخيول بأن يسجد شهدى وزملاؤه بجبهتهم على الأرض. وبعد ذلك صدر الأمر بالجرى والمطاردة والضرب. وكانت تلك هي اللحظة الأخيرة التى شاهدت فيها شهدى على قيد الحياة. فقد استشهد في المرحلة قبل الأخيرة من عملية التعذيب، خلف باب المعتقل من الداخل، على يد الضابط عبد اللطيف رشدى، بعد أن كان قد تلقى تعذيبًا مكثفًا أمام باب المعتقل.

وبعد استكمال عملية التعذيب وإدخالنا جميعًا إلى المعتقل سحلاً، ارتمى الجميع فى العنبر دون وعي وفى حالة إعياء شديد. وحضر لنا عسكري ممرض جاف الطباع وفى يده قطعة قطن مغموسة فى النشادر لإفاقتنا عن طريق وضعها قريبًا من الأنف دون أن يحاول الانحناء ودون أن يبدو عليه ما يوحى بأنه ينتمي إلى مهنة إنسانية.

وبعد يومين، حضر شخصان أحدهما مفتش فى وزارة الداخلية والآخر رئيس نيابة

وسألونا إذا كنا قد تعرضنا للضرب. وشاهدوا آثار التعذيب على أجسامنا، ووعدوا بأنه ستتم محاسبة الذين فعلوا ذلك. وعرفنا منهم، وبالأحرى تأكدنا منهم، من مقتل شهدى عطية، وبمجرد أن غادروا العنبر بكينا شهدى لأول مرة. وترجع تلك التطورات المفاجئة إلى أن خبر مقتل شهدى انتشر فى خارج البلاد، بينما كان عبد الناصر فى زيارة إلى يوغوسلافيا، ومن هنا أصدر أمراً بالتحقيق.

وأذكر أن همت استثنى ثلاثة معتقلين من التعذيب، لأن لهم أقارب من الضباط يعرفهم شخصياً. وهؤلاء الثلاثة هم: صنع الله ابراهيم، وابراهيم المناسترلى، وعبد الحميد السحرتى، وأمرهم همت بالجلوس بجوار باب المعتقل ليشاهدوا أخطر نقطة للتعذيب والتى كان يشرف عليها شخصياً. وحاولت إدارة السجن، بعد ذلك التطور المفاجئ والأمر بالتحقيق، أن تساوم هؤلاء الزملاء، بل وهددتهم لكى يشهدوا فى التحقيق وفقًا لما تريده الإدارة، لكنهم رفضوا المساومة والتهديد. ولا أتذكر ما إذا كانت هذه المحاولة جرت مع الثلاثة أم مع البعض منهم فقط، لكننى متأكد أنها جرت مع ابراهيم المناسترلى.

وفى أثناء تحقيق النيابة حضر اللواء محمود صاحب وكيل مصلحة السجون، وهو شخصية إنسانية، وأخبرنا بأسماء الضباط الذين قاموا بالتعذيب حتى لا نخطئ عندما نذكر أسماءهم فى التحقيق. وقد كنا نعرف البعض منهم مثل الضابط يونس مرعى وحسن منير مأمور الأوردى، بينما لا نعرف البعض الآخر مثل الضابط مرجان الذى كان يمتطى أحد الخيول. وكان هذا الضابط هو أول الذين بدأوا فى ضرب المعتقلين بعد النزول من السيارات التى نقلتنا من الاسكندرية. وكان إبراهيم عبد الحليم هو أول من تعرض للضرب على رأسه لأنه احتج على سوء المعاملة وعلى الإرهاب الذى استقبلونا به. وكان اللواء محمود صاحب هو الذى أخبرنا أيضًا (مجموعة من الزملاء أتيحت لنا فرصة التحدث معه) بأن الشخص الذى كان يتولى التعذيب فى آخر نقاط التعذيب والتى تقع أمام باب العنبر مباشرة هو الصول مطاوع.

وقد ادعت إدارة المعتقل أننا أحدثنا شغباً عند وصولنا للمعتقل، وأننا هتفنا هتافات عدائية، وقد زعمت ذلك لتبرر موقفها واعتدائها علينا. كما أذكر أننى طلبت فى تحقيق النيابة حمايتنا

من هذه الإدارة، خاصة بعد اتهامنا لها بقتل شهدى عطية وتعذيبنا بشكل بشع هدد بموت معتقلين آخرين. لكن لم يتم نقل هذه الإدارة وإنما تم نقلنا (زملاء شهدى) إلى سجن القناطر الخيرية. وبقينا هناك إلى حين صدور أحكام المحكمة العسكرية ضدنا وإبلاغنا به داخل السجن دون انتقال إلى المحكمة. وتم بعد ذلك ترحيلنا إلى سجن الواحات الخارجة. وهناك أمضيت مدة العقوبة وهى خمس سنوات انتهت فى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٣، ولكن لم يفرج عني بعد قضاء تلك المدة بالكامل، بل استمر اعتقالى في المعتقل نفسه. وكان التغيير الوحيد هو ارتداء بذلة سجن بيضاء بدلاً من الزرقاء. وفى ٤ أبريل ١٩٦٤ تم الإفراج عنى قبل أيام من زيارة الرئيس السوفيتى خروشوف إلى مصر.

الاعتقال الثالث : من ٢٦ مارس ١٩٦٩ حتى ٧ أبريل ١٩٧١ .

كنت قد تخرجت عام ١٩٦٧ من قسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس، وأنهيت أيضاً المرحلة التمهيدية للماجستير. وكان هذا الاعتقال الجديد ضمن الحملة ضد التيار الثوري. وبدأت تلك الحملة في ١٩٦٦ باعتقال كمال عبد الحليم كمتهم فى قضية، ولم يفرج عنه إلا فى نهاية ١٩٦٧، أي بعد حرب يونيو ١٩٦٧ بعدة شهور. ثم جاء اعتقال العدد الكبير من التيار الثوري فى فبراير سنة ١٩٦٩. وشمل ذلك الاعتقال أكثر من ٢٧ زميلاً. وجاءت هذه الحملة ضد التيار الثورى بعد عدة تهديدات متكررة من الجهات الحكومية حذرت فيها بعض الأشخاص. وقد شملت تلك التهديدات كمال عبد الحليم ومحمد عباس فهمى، كما شملتنى أيضاً.

وأذكر أن التحذير الذى وُجه إلى كمال عبد الحليم بأنه يجب أن يستلم الوظيفة التى عينته فيها الحكومة كمحام وأن يكف عن حياة المحترفين. أما التحذير الذى تلقاه محمد عباس فهمي فهو أن عليه أن يتوقف عن ترديد الكلام الذى يقوله ضد الحكومة فى المقاهى. وفيما يتعلق بالتحذير الذى تلقيته شخصياً فهو ضرورة أن أتوقف عن الذهاب إلى منطقة حلوان.

وكان طاهر البدرى، ومحمد عباس فهمي، وعبداروس القصير بين مجموعة التيار الثورى التى اعتقلت فى فبراير ١٩٦٩، أما اعتقالى فقد جاء بعد ذلك بشهر أى فى ٢٦ مارس ١٩٦٩. وتم سجنى بمعتقل القلعة. وجرى التحقيق معى هناك بواسطة ضابط المباحث منير محيسن.

وبعد ذلك نقلت إلى سجن مزرعة طرة ضمن مجموعة التيار الثورى. وتقابلنا هناك مع شيوعيين آخرين منهم محمد عبد الرسول وسعد هجرس وصلاح عيسى. وكان يوجد فى المعتقل نفسه بعض الإخوان المسلمين ومن بينهم شكرى مصطفى الذى شكل بعد الإفراج عنه تنظيماً إسلامياً أكثر تطرفاً. وإلى جانب ذلك كان فى المعتقل أيضاً بعض اليهود المصريين الذين تم اعتقالهم بعد حرب يونيو ١٩٦٧.

وقد توسط كل من عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى وكذلك سكرتير الحزب الشيوعى العراقى عند الرئيس جمال عبد الناصر من أجل الإفراج عنا، ولكن عبد الناصر رفض بحجة أننا أصحاب ميول صينية.

بعد فترة من وجودنا بسجن مزرعة طره تم تقسيم المعتقلين الشيوعيين إلى مجموعات. وتشكلت كل مجموعة من ثلاثة أو أربعة أشخاص. يجرى نقل كل مجموعة إلى أحد السجون. وكان نصيبي سجن المنيا مع شقيقى عيداروس القصير، وطاهر البدرى، ومحمد عبد الرسول عفيفى (وحدة الشيوعيين). وبعد فترة تم نقل طاهر البدرى من سجن المنيا إلى سجن آخر. وأذكر أن مدير سجن مزرعة طره (وكان يعرفنى من معتقلات سابقة) قد نصحنى عند نقلنا من هناك إلى سجن المنيا بالحذر، وعدم الوقوع فى أى استفزاز قد نتعرض له خلال عملية الترحيل تفادياً لأية مشاكل محتملة.

وحاولت المباحث العامة فى تلك الفترة إدخالي في قضية تتشكل أساساً من عدد من طلبة الجامعة ومعهم الفنان مجرس. وكان هؤلاء قد تم القبض عليهم وحبسهم فى معتقل القلعة. وكانت التهمة الموجهة لى هى أننى دعوت لبعض منهم إلى الانضمام إلى التيار الثورى. وتم ترحيلي من سجن المنيا إلى معتقل القلعة بالقاهرة حيث قامت النيابة بالتحقيق معى، لكنها حفظت التحقيق. كما حققت النيابة أيضاً مع محمد عباس فهمى. وبعد حفظ التحقيق تم إعادتى إلى سجن المنيا وإعادة محمد عباس فهمى إلى سجن أسيوط.

وتم بعد ذلك نقل مجموعتنا من سجن المنيا إلى سجن طنطا بعد أن أضربنا عن الطعام؛ حيث كنا طوال الفترة بسجن المنيا فى حبس انفرادى بمبنى التأديب المنعزل عن بقية السجن. ولكن ظل الحبس الإنفرادى مستمراً فى سجن طنطا أيضاً.

وأفرج عنا فى ٧ أبريل سنة ١٩٧١ فى الأيام السابقة مباشرة على حسم الصراع بين أنور السادات من جانب ومجموعة على صبرى وشعراوى جمعة ومحمد فوزى وزملائهم من جانب آخر. ومن المثير للانتباه أنه تم إبلاغنا قبل الإفراج عنا بثلاثة أشهر أنه سيفرج عنا فى ٧ أبريل سنة ١٩٧١، وكان ذلك التاريخ هو الموعد المخصص لنظر التظلم من قرار الاعتقال أمام المحكمة والذى يتم بشكل دوري كل ٦ شهور. وأذكر أن تلك الرسالة وصلتنا عن طريق يوسف صديق. وتم الإفراج عنا فعلاً فى ذلك التاريخ عن طريق قاضى المعارضات الذى كان ينظر فى أمر استمرار الاعتقال أو الإفراج كل ستة أشهر.

ولكن الإفراج تأخر يومًا نظرًا لأنه قد فاتهم أن ينقلوا شقيقى عيداروس معنا من سجن طنطا لحضور جلسة المعارضة فى ٧ أبريل ١٩٧١. ولهذا حجزونا لمدة يوم بسجن القلعة حتى تم إحضاره من سجن طنطا وعرضه على المحكمة. وعند الخروج استقبلنا جميعًا (دفعة واحدة) حسن طلعت داوود مدير المباحث العامة المعروف باسم حسن طلعت. وأخبرنا أن البلد فى خطر. لأن السادات سيقضى على كل شئ وأنه سيأتى بالأمريكان. كما أبلغنا أن الوزير شعراوي جمعة يريد مقابلتنا، لكنه مشغول فى هذه اللحظة وهو على استعداد للمقابلة فى أى وقت. لكننا تجاهلنا هذا الأمر.

وطالب حسن طلعت أن نتعاون معهم لإنقاذ مصر من توجهات السادات وأفعاله التى ستقضى على مكاسب الشعب، وأخذ بعد ذلك يهاجم السادات بعنف.

وكان ردنا أن أساليبهم فى الحكم ومن بينها سياسة الاعتقال وكبت الحريات هى التى أدت إلى هذه النتيجة. ووجهنا إليه القول بأنه ليس من المعقول أن تحبسونا أكثر من عامين ثم تقولون إنكم أخطأتم فى حقنا وتطلبون أن نتعاون معكم. كما أوضحنا له بأن هذا الأمر لا يمكن التفكير فيه إلا بعد أن نخرج من المعتقل ونعيش حياتنا الطبيعية. وانتهت المقابلة بإبلاغنا بأنه فى انتظار ما سوف نقرره، كما أبلغنا بأنه سيتم إعادة المفصولين منا إلى وظائفهم. فعند صدور قرارات الاعتقال صاحبتها قرارات بفصل البعض منا من أعمالهم. وقد تم تنفيذ ذلك الوعد بعد ذلك بأسابيع قليلة، ومن المفارقات أن القرار الجمهورى الذى قضى بإعادة شقيقى عيداروس إلى وظيفته صدر فى نفس يوم صدور قرار السادات بإعفاء على صبرى من منصبه.

الاعتقال الرابع :من يوم ٤ يناير ١٩٧٥ حتى يوم ١٥ أبريل ١٩٧٥ .

تم القبض عليّ هذه المرة ضمن قضية الحزب الشيوعي المصري دون أن تكون لي صلة به. وكانت تلك القضية تضم زكي مراد ومحمود توفيق وآخرين من بينهم بعض الشباب الجدد. وكان الحبس في ليمان أبي زعبل. وأذكر أن عملية القبض عليّ تمت في ثاني يوم قيام إضرابات ومظاهرات عمالية واسعة النطاق في حلوان. ولم تكن لي صلة بهذه الإضرابات والمظاهرات. وتم الإفراج عنا تباعًا بعد شهور قليلة بما في ذلك الذين اتهموا في القضية، ولم يكن اسمي من بينهم.

•• العوامل التي أدت إلى توجهي نحو اليسار وإلى النضج الفكري :

أسهمتْ عدة عوامل في توجهي السياسي نحو اليسار الشيوعي وإلى اكتساب معرفة جديدة. ويمكن سرد تلك العوامل على النحو التالي:

أولاً: قراءة الكتابات السياسية وبعض الأعمال الأدبية المصرية أساسًا. وكان ذلك في بداية خمسينيات القرن العشرين. فالكتابات الصحفية التقدمية والأعمال الأدبية لها تأثيرات إيجابية مهمة على الوعي السياسي والاجتماعي. وكانت فترة حكومة الوفد من النوافذ التي أتاحت لبعض تلك الأعمال أن تظهر وتزدهر مثلما يحدث دومًا في ظل أي مناخ ديمقراطي. والجميع يذكر، على سبيل المثال، الدور الذي لعبته قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي "من أب مصري إلى الرئيس ترومان".

وكانت الدعوة إلى ثقافة جديدة التي رفعها الكتاب والمثقفون التقدميون والشيوعيون عامة، علاوة على إبداعاتهم من المكونات الأساسية للثقافة المصرية المعاصرة. وهي ثقافة تقدمية الطابع. ولا تزال تأثيراتها مستمرة في الثقافة المصرية ولازلت أتذكر الدور الثقافي والفكري المهم لمجموعة حسن فؤاد وصلاح حافظ وفؤاد حداد وآخرين. فقد كان لكتابات جماعتي «الغد والكاتب» علاوة على ما تنشره صحيفة المصري الوفدية تأثيرات فكرية مهمة في هذا الصدد.

ثانيًا : كان انتقالي إلى القاهرة في عمر مبكر من العوامل التي ساعدت على توجهي

نحو اليسار وتحصيل معارف فكرية جديدة. فقد وفر هذا الانتقال فرصة أكبر للاطلاع والاحتكاك والمعرفة. وكانت شقيقتي الكبرى تعيش في القاهرة آنذاك. ولكن انتقالي للدراسة في القاهرة في عام ١٩٤٨ لم يكن مرتبطاً بذلك، بل يعود إلى سبب آخر.

فقد كان من المعتاد أن ينتقل أبناء الأسرة إلى القاهرة بعد حصولهم على الابتدائية. وكان ذلك ينطبق على البنات والأولاد. بل كان أول من انطبق عليه ذلك بنت خالى/ عمى حيث حصلت على الثانوية بالقاهرة ثم تخرجت من الطب ثم حصلت على الدكتوراه. غير أن التعليم في الأسرة كان محدوداً جداً. وعلى سبيل المثال انحصر التعليم فى الأجيال السابقة فى والد الأم (تعليم أزهرى)، والخال (تعليم متوسط)، واثنين من أولاد عم والدى علاوة على شقيقى الأكبر. غير أن والدي كان الأكثر حرصاً فى الأسرة على تعليم أولاده حيث تعلم أربعة أولاد من بين ستة صبيان وبنت من بين ثلاث بنات.

ثالثاً : يعود العامل الثالث إلى وجود قوات الاحتلال البريطانية فى منطقة القنال والتل الكبير. وكنت أشعر بوطأة ذلك عندما كنت أسافر من فاقوس إلى القاهرة أو العكس. فقد كنت أشاهد الجنود الإنجليز في نقاط تفتيش على طريق المعاهدة المحاذى لترعة الإسماعيلية بالقرب من منطقة التل الكبير التى لا تبعد كثيرا عن مدينة فاقوس.

رابعاً : يتمثل العامل الرابع فى وجود حزب الوفد برئاسة مصطفى النحاس في الحكم فى بداية خمسينات القرن العشرين والمناخ الديمقراطى الذى شهدته تلك الفترة. فقد تصاعدت المشاعر الوطنية، وتم نشر كتابات تقدمية. كما انتشرت الدعوة إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ مع الإنجليز. وتم إلغاء المعاهدة بالفعل، وبدأ الكفاح المسلح ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة، ولم يتوقف هذا المد إلا بحريق القاهرة فى أعقاب مظاهرات قوات البوليس احتجاجاً على هجوم القوات البريطانية على محافظة الإسماعيلية التى دافع عنها ببسالة عدد قليل من جنود البوليس المصرى. ولازلت أذكر التأثيرات والمشاعر التى انتابتنى عندما نزلت من حلوان إلى القاهرة لمشاهدة المظاهرة الوطنية الضخمة التى كان على رأسها الزعيم الوطنى مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر فى ذلك الحين.

خامساً : تعتبر الحرب الكورية الأمريكية من العوامل التى أيقظت الوعى بالنسبة لى. فقد

أشاعت مقاومة الكوريين روح الأمل فى القدرة على التصدى للاحتلال البريطانى فى مصر. وفى تلك الفترة فكرت جدياً مع زميلي إبراهيم العشماوى فى السفر إلى كوريا ومشاركة الشيوعيين الكوريين في الحرب ضد الأمريكان. وأخذنا نبحث عن وسيلة لتحقيق ذلك. وشعرنا أن هناك فرصة لأن نجد من يساعدنا عندما قرأنا في الصحف أن الشاعر محمد الجواهري يزور مصر بدعوة من طه حسين. وكنا نحفظ شعره وننشر بعض الأبيات الثورية عن الشعب والجياع فى مجلة الحائط بالمدرسة. وتصورنا أنه يمكن أن يساعدنا فى السفر لمساعدة الشيوعيين في كوريا. وحاولنا مقابلته. ونزلنا من حلوان إلى القاهرة من أجل هذا الغرض. وكانت مصادفة أننا وجدناه يسير فى منطقة باب اللوق ومعه أحد المرافقين المصريين. وتحدثنا معه بإعجاب وتقدير. وقام بتشجيعنا. وذكرنا له أننا نعرف أولاده (فرات وفلاح). لكننا لم نستطع الحديث معه عن السفر إلى كوريا حيث تبددت الفكرة بمجرد تشجيعه لنا وقوله بأن أمثالنا هم أمل مصر والعرب. ورغم أن حرب فلسطين كانت سابقة على الحرب الكورية الأمريكية، إلا أنها لم تحدث نفس التأثير فى نفوسنا حيث كنت أصغر فى العمر وقت اندلاعها.

•• الانضمام إلى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو):

كنا في تلك الفترة نبحث عن الشيوعيين المصريين. وازداد اهتمامنا بهذا الأمر. وحاولنا تأسيس لجنة للسلام بالمدرسة. كما عملنا فى تلك الفترة أيضاً على الاتصال بحزب مصر الفتاة وذهبنا لمقابلة أحمد حسين رئيس الحزب، ولكنه أرسل شخصاً آخر لا يزيد عمره كثيراً على أعمارنا. واتضح أنه أخوه عادل حسين الذى أصبح زميلاً لنا فيما بعد، لكنه تحول إلى التيار الإسلامى بعد خروجه عام ١٩٦٤ من المعتقل. لكن لم يعجبنا كلامه .. وقررنا أن ننشط بأنفسنا وبدأنا بمجلة حائط بالمدرسة.

وفجأة اتصل بنا أحد الشيوعيين من طلاب المدرسة نفسها. وهو سودانى واسمه يوسف عبد المجيد وكان عضوا بحدتو. وقد أصبح فيما بعد من قادة الحزب الشيوعى السودانى، لكنه قاد انقساماً عن الحزب.

ومن الواضح أنهم كانوا يراقبون تحركاتنا، وانتظروا فترة ليتأكدوا ويطمئنوا فيما يتعلق

بتوجهاتنا. واجتمع هذا الشخص وابراهيم العشماوي وطالب آخر يمنى الجنسية اسمه طاهر رجب، وقال لنا إننا الآن أعضاء في حدتو. وطلب أن يختار كل شخص منا اسماً حركياً. واتضح لنا فيما بعد أن المدرسة كان يوجد بها بعض الطلاب السودانيين الآخرين المنضمين أيضاً إلى حدتو.

•• دور حدتو في تكوين كوادر شيوعية عربية :

لعبت حدتو دوراً مهماً في تكوين الكوادر العربية سواء السودانية او اليمنية. وقد يكون هذا الدور معروفا ومسجلا فيما يتعلق بالسودانيين، لكنه يحتاج إلى توضيح بالنسبة للطلاب اليمنيين. فقد انضم عدد منهم إلى حدتو. كما برز دورهم الوطنى من خلال نشاطهم السياسى فى إطار المؤتمر العام لطلاب اليمنيين بالقاهرة الذى تأسس فى عام ١٩٥٦ والذى شكل لجنة تنفيذية دائمة لمتابعة قراراته. وشاركوا بفاعلية أيضاً في النشاط الطلابى النقابى من خلال رابطة الطلاب اليمنيين. وقد تبلور الوعي السياسى لهؤلاء من خلال النشاط السياسى والنقابى فى آن واحد. وكان هذا النشاط يجمع أبناء الجنوب والشمال، أى جميع أبناء اليمن الطبيعى. كما شكل فى مجمله أحد الروافد الرئيسية للحركة الوطنية فى اليمن شمالاً وجنوباً. وقد عبر ذلك عن تصور جديد في الحركة الوطنية اليمنية ودخولها منعطفًا جديداً بفكر جديد وتوجهات جديدة.

وقد رفعت تلك الحركة الطلابية، وعلى رأسها الطلاب الشيوعيين، شعار "من أجل يمن ديمقراطى موحد". وكان للمؤسسين لتلك الحركة فيما بعد دورا رئيسيا فى تشكيل ثقافة اليمن الحديث. كما شارك أعضاء تلك المجموعة فى أهم معارك اليمن السياسية وصاغوا أهداف تلك المعارك. ويشمل ذلك الدفاع عن النظام الجمهوري بعد ثورة ١٩٦٢، والمساهمة فى تحقيق الوحدة اليمنية وصياغة دستورها. ومن الأمثلة البارزة لتلك الأدوار مساهمة أبناء تلك الحركة التى تكونت فى مصر بدور رئيسى فى مقاومة الحصار الذى فرضه على صنعاء فى نهاية عام ١٩٦٧ (بعد انسحاب القوات المصرية من اليمن) المرتزقة الأوروبيون وبقايا أنصار الإمامة بدعم من السعودية. وضمت المجموعة خالد فضل منصور الذى أصبح وزيراً للعدل بجمهورية

اليمن الديمقراطية سابقاً الذى يرأس الآن حزب التجمع الوحدوى اليمنى وهو من زملائى فى حدتو بمدرسة حلوان، والراحل عمر الجاوى الشخصية السياسية المرموقة والأمين العام السابق لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنين، وهو أحد أبطال الدفاع عن النظام الجمهورى فى وجه حصار صنعاء. كما لعب دوراً بارزً فى الوحدة ليمنية وفى صياغة دستورها، وأبو بكر السقاف المفكر البارز وأستاذ الفلسفة بجامعة صنعاء، وزميلى فى حدتو فى حلوان الشاعر الراحل ابراهيم صادق رائد الشعر الحديث فى اليمن، وأيضاً زميلنا بحدتو بحلوان الشاعرعبده عثمان الذى أصبح وزيراً بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ باليمن الشمالى، وعمر اسكندر السقاف الذى كان أول رئيس لرابطة الطلاب اليمنين بالقاهرة. ولا تقتصر تلك المجموعة على الأسماء التى ذكرتها الآن. وتشكل الوعى السياسى لهؤلاء ونضجت خبرتهم النضالية والمعرفية فى حدتو، وفى المؤتمر العام الدائم للطلاب اليمنين بمصر ١٩٥٦ ولجنته التنفيذية الدائمة. كما أن نشاطهم النقابي من خلال رابطة الطلبة اليمنين بالقاهرة قد أسهم هو الآخر فى زيادة وعيهم.

وأذكر أن نشاط هذه الرابطة شاركت فيه شخصيات أخرى إلى جانب الذين أشرت إليهم من قبل مثل فيصل عبد اللطيف الشعبى الذى أصبح فيما بعد من قادة الجبهة القومية فى عدن ووزيراً للاقتصاد فى أول وزارة باليمن الجنوبى بعد الاستقلال، والشاعر محمد أنعم وزير التربية والتعليم الأسبق فى ليمن الشمالى سابقاً.

•• النشاط الشيوعى فى حلوان وقيام ثورة يوليو ١٩٥٢:

شاركنا كشيوعيين فى كافة أشكال النشاط بالمدرسة. وشمل ذلك الصحافة المدرسية وفريق التمثيل. كما شاركنا فى النشاط الرياضى. وكنت وزميلى خالد فضل ضمن فريق الهوكى بالمدرسة. وعلاوة على ذلك كنا نشارك بفاعلية فى المناسبات لسيسية والدينية مثل مولد النبى حيث كانت لممثلنا كلمة دائمة فى تلك المناسبات. ولم يقتصر نشاطنا على المدرسة، بل امتد إلى المدينة. وكنا على علاقة بشخصيات عمالية ومهنية، يدخلنا فى حوارات مع شخصيات مختلفة. وكان من بين تلك الشخصيات أحمد صادق عزام المحامى أحد أقطاب الحزب الوطنى القديم.

وقد كرس نفسه للدفاع مجاناً عن قضايا عمل حلوان. كما كان بينها سيد قطب الذى أصبح بعد ذلك من المفكرين الإسلاميين الأصوليين.

وأدى نشاطنا فى المدرسة ووجودنا فى المدينة إلى فصلى مع ابراهيم العشماوى من المدرسة. ولكننا عدنا نتيجة وساطة وضغط من خارج المدرسة ومن الطلاب. غير أن الناظر حذرنى ومعى إبراهيم العشماوى وخالد فضل منصور (يمنى) بأنه لن يسمح بنجاحنا أو انتقالنا من السنة الثالثة إذا بقينا فى المدرسة. وقام بتنفيذ تهديده حيث رسبنا بالفعل آخر العام.

كما فوجئت أثناء الإجازة الصيفية (فى عام ١٩٥١) بخطاب من ناظر المدرسة يصل إلى عنوان الأسرة بمدينة فاقوس جاء فيه أنه "تقرر فصلى من المدرسة لاتجاهاتى اليسارية". وحاولت أسرتى إدخالى مدرسة أخرى بالقاهرة مثل مدرسة التوفيقية أو مدرسة السعيدية، لكنها لم تنجح. ويعود ذلك إلى أن نظار تلك المدارس كانوا يرفضون قبولى عندما يعلمون بأننى قادم من مدرسة حلوان الثانوية. وكنت مُصراً على العودة إلى مدرسة حلوان. فأخذت أوراقي من خالى، الذى كان يتوسط لى لدى نظار المدارس الوفديين، وذهبت إلى حلوان وأعادت إدارة المدرسة تسجيلي ومعى زميلى إبراهيم العشماوى بعد عدة ضغوط.

ومن جانب آخر استفزتنا عملية الرسوب عمداً فى السنة الثالثة، وقررنا نحن الثلاثة الذين واجهنا هذا الاضطهاد تعويض السنة التى خسرناها عن طريق المذاكرة والتقدم لامتحان شهادة الثقافة منزلى مع الاستمرار فى الدراسة فى السنة الثالثة بالمدرسة. وبدأت مع زملائى إبراهيم العشماوى والزميل اليمنى خالد فضل منصور فى تنفيذ تلك الخطة بالفعل. وبدأنا الاستعداد لامتحان شهادة "الثقافة" من الخارج، أى منزلى. وكانت هذه الشهادة تسبق شهادة التوجيهية العامة فيما بعد. وقام بعض المدرسين بالمدرسة بمساعدتنا فى مذاكرة بعض المواد. وقدمنا الاستمارات الخاصة بامتحان شهادة "الثقافة". وأدينا الامتحان فى لجنة مدرسة السعيدية بالقاهرة. ونجحنا نحن الثلاثة: خالد فضل منصور، وابراهيم العشماوى وأحمد القصير. وذهبنا باستمارات النجاح إلى ناظر المدرسة بحلوان وطلبنا تسجيننا بالسنة الخامسة أى التوجيهية "الثانوية". ووافق الناظر على طلبنا ورحب بتسجيلنا ربما شعر أنه

أخطأ عندما قرر عدم نجاحنا وجعلنا نعيد السنة الثالثة. ولذلك قام بتشجيعنا. بل وزارنا ذات مرة فى أحد المقاهى التى اعتدنا أن نجلس فيها ونصحنا بأن نترك أمور السياسة إلى ما بعد التخرج قائلا إننا من التلاميذ المجتهدين وينتظرنا مستقبل باهر.

وكان من المعتاد أن نجلس يوميًا تقريبًا فى اثنين من المقاهى. الأول شعبى ويقع فى الشارع الرئيسى بمدينة حلوان (وهو شارع منصور) بالقرب من محطة المترو وكنا نلتقى فى هذا المقهى واسمه "قهوة رضوان" مع الطلبة والعمال. كما كنا نقرأ هناك الصحف اليومية التى يوفرها المقهى. أما المقهى الثاني فيحمل اسم "ليوانيدا"، ويقع فى طرف إحدى الحدائق العامة أمام محطة المترو. وكنا نتقابل هناك مع بعض الطلبة أيضًا وبعض الشخصيات كان من بينها بعض المحامين. وبدأت عملية جلوسنا مع المحامين بعد أن تعرفنا على واحد منهم أثناء حجزنا بقسم بوليس حلوان لمدة ليلة واحدة هى ليلة أول مايو. لأن البوليس كان يخاف من أن نقوم بعمل سياسى بهذه المناسبة. وقد تقابلنا مع هذا المحامى فى الحجز داخل قسم البوليس حيث تم حجزه فى نفس الليلة ولنفس السبب. وعندما اعتقلت فيما بعد كنت أرسل إليه خطابات سياسية من داخل السجن أشرح فيها أوضاعنا، وكان يقرأ هذه الخطابات لمعارفه فى المترو. وقد عرفنى المثقف المعروف إبراهيم منصور عن طريق قراءته لأحد تلك الرسائل قبل أن نتقابل شخصيا. وكان من الركاب الدائمين لمترو حلوان. كما كنا نقابل فى المقهى نفسه بعض الأشخاص المنتمين إلى الحزب الوطنى القديم وإلى حزب مصر الفتاة. وكان سيد قطب، الذى أصبح فيما بعد من المفكرين الإسلاميين الأصوليين، يتردد دائمًا على هذا المقهى. وكنا نجلس معه فى كثير من الأحيان. وكانت المسافة بين مقهى "رضوان" ومقهى "ليوانيدا" لا تزيد عن مائتى متر.

•• ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعض المشكلات السياسية والنظرية:

عند قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ كنا فى الإجازة الصيفية بقرية الجمالية بمحافظة الشرقية. ولم يكن هناك اتصال مع التنظيم، لكننا رحبنا بالثورة وأيدناها. وعند العودة للدراسة بالقاهرة نشطنا فى مدرسة حلوان الثانوية فى هذا الاتجاه وهو الموقف الرسمي للتنظيم "حدتو". وبعد

إعدام خميس والبقرى بعد إضراب عمال كفر الدوار، والهجوم الذى شنته التنظيمات الشيوعية الأخرى على حدتو، بدأ نقاش داخلى حول مدى صحة الموقف من ثورة يوليو. وازدادت حدة الصراع بالإعلان عن تقرير بالمدات سكرتير الحزب الشيوعى البريطانى الذى كان ينتقد موقف حدتو المؤيد للثورة.

وجرت مناقشة هذا التقرير فى مختلف مستويات التنظيم. وبعد فترة تغير موقف "حدتو". ولا أتذكر الآن طبيعة ذلك التغير، لكننى أتذكر تأثيره العملى. فقد طلب التنظيم مثلاً أن أنسحب من الحرس الوطنى حيث كنت أتدرب على حمل السلاح. كما أذكر أننا لم نتأثر فى حلوان بانقسام "بدر".

وبشكل عام كان نشاطنا يتسم بطابع جماهيرى وفق أهداف عامة، ولم نكن على وعى بمسألة البرنامج والإستراتيجية التى يتم التساؤل دائمًا بشأنهما. وعلى أى حال فإن الوعى النظرى اتسم بالضعف عند الجميع. ومن الخطأ القول بأن هذا التنظيم تميز بالعمل الجماهيرى وأن التنظيم الآخر تميز بالتعمق فى الجانب النظرى، فإن الواقع يقول إن الجانب النظرى لم يتعمق فيه أحد.

ولا شك فى أن العمل السياسى – الجماهيرى يستلزم وجود خلفية نظرية. وهذا المزج بين الجانبين لم يكن موجوداً. وفى ذلك الحين لم أكن على وعى بهذا الموضوع بمثل الوضوح الحالى. وعلى أى حال فإن القيادات كانت فى أعمار صغيرة نسبيًا. وكنا فى القاعدة من الشباب المتحمسين. وقد عملت القيادة على توسيع النشاط الجماهيرى والسياسى العام على نحو مقبول، لكن لم يكن لديها القدرة على تحقيق الربط بين العملى والنظرى.

كما أن ظروف القهر من جانب السلطة، لم تتح الفرصة لأحد بأن يلتقط أنفاسه. وكانت هناك فرصة أمام "حدتو" فى مجال الأعمال النظرية، حيث أن التأصيل النظري ينهض بالطبع على الارتباط بالواقع وليس كما كان يفعل البعض باللجوء إلى جملة أو عبارة فى أحد الكتب الماركسية للتدليل على صحة وجهة نظره فى فهم الواقع المصرى. فهذه طريقة خاطئة ولا تفيد فى أى شئ. فالمشكلة تكمن فى كيفية صياغة نظرية خاصة بالواقع والقضايا التى نواجهها. وهذه هى الإشكالية الحقيقية وجوهر القضية. ولكن قيادة حدتو لم تستفد من الفرصة المواتية

التى وفرها ارتباطها بالواقع بدرجة ما. لقد كان الناس يقومون بمهام كبيرة دون خبرة كافية، كما كانت الملاحقة البوليسية مستمرة، وليس لدى الكوادر فرصة للتنفس. وفضلاً عن ذلك فإن عمر التجربة لم يكن طويلاً، وهذه هى الظروف الموضوعية التى يجب النظر إليها. ولذلك فإن الأمر لم يكن مرتبطاً برغبة قيادة حدتو أو عدم رغبتها فى الاهتمام بالوعى النظرى.

•• زملاء الدراسة والسياسة بمدرسة حلوان الثانوية:

كان ابراهيم العشماوى زميلاً لى فى عملية البحث عن الشيوعيين، واشتركنا سرياً فى كافة الحلقات الخاصة بتبني التوجه السياسى والفكرى الجديد. وأود أن أذكر بعض الأشياء عن هذا الزميل العزيز الذى توفى فى مايو ١٩٧١، ففى فترة الصراع حول الموقف من ثورة يوليو ١٩٥٢ انفصل ابراهيم العشماوى عن "حدتو". وارتبط فترة قصيرة بتنظيم الراية، غير أن صداقتنا استمرت سواء خلال فترة الجامعة أو ما بعد تخرجه من كلية الحقوق جامعة القاهرة وتعيينه فى النيابة. وقد شارك فى تحقيق قضايا مهمة من بينها قضية سيد قطب. وكان بين مضبوطات تلك القضية قوائم بأسماء الشيوعيين واشتملت على اسمى. وقد أخبرنى بهذه الواقعة أيضاً وكيل نيابة آخر شارك فى تحقيق القضية نفسها، وهو من الوزراء الحاليين. غير أنه تم فيما بعد استبعاد ابراهيم العشماوى، ووكيل النيابة الآخر من النيابة ضمن ما سمى بمذبحة القضاء.

ويجب أن أشير إلى أن مجموعة الدراسة والسياسة بحلوان ضمت أيضاً شقيقى عيداروس القصير. وقد أسهم بنشاط بارز سواء فى حلوان أو فى تأسيس النشاط الحزبى الجديد بمحافظة الشرقية أو فى نشاط وقيادة التيار الثورى بعد عام ١٩٦٤. وكان من بين مجموعة المدرسة أيضاً الفنان كمال بكير صاحب الموسيقى التصويرية لعدد من المسرحيات الشهيرة فى الستينات على الرغم من أنه عمل طوال حياته محامياً بالإدارة القانونية بوزارة الصناعة. كما يجب أن أذكر أن قائمة الزملاء بمدرسة حلوان ضمت أيضاً مصطفى عبد العزيز الذى كان يعرف بيننا باسم مصطفى النحاس لوجود قرابة وبعض الشبه مع الزعيم مصطفى النحاس. وكان مصطفى عبد العزيز عضواً فى تنظيم الراية، وعمل بعد ذلك بالنيابة الإدارية، وتوفى منذ ثلاث سنوات. كما كان معنا بالمدرسة فرات وفلاح ابنا الشاعر العراقى محمد مهدى الجواهرى وهما من الشيوعيين العراقيين. وكان بالمدرسة أيضاً بعض الطلاب الذين

ينتمون إلى الإخوان المسلمين وإلى حزب مصر الفتاة، وظل ممثل هذا الحزب على علاقة صداقة وتعاون معنا فى المرحلة الثانوية والجامعية وفيما بعد التخرج، وهو من المقيمين الدائمين بحلوان. ولم تنقطع الصلة به وزملائه فى حلوان إلا بعد اعتقالى فى مارس ١٩٦٩. كما وجد بالمدرسة بعض المتحمسين بشكل شخصى لثورة يوليو مثل الصحفى فهمى هويدى صاحب التوجهات الإسلامية الآن. وكانت تلك الحماسة ترجع بشكل أساسى إلى أن شقيقه أمين هويدى من رجالها البارزين.

•• الانتقال إلى الجامعة:

حصلت على الثانوية العامة فى ١٩٥٢ والتحقت بكلية الحقوق جامعة عين شمس. وكان محمود العطار هو المسؤول الحزبى بالكلية. وكان نشاطى محدوداً نظراً إلى أن الفترة التى قضيتها فى الجامعة قبل اعتقالى كانت أقل من ثلاثة أشهر. وفى تلك الفترة قمت بتوزيع منشورات بالكلية علاوة على بعض الاتصالات. وفى ذلك الحين كان الزميل محمد خليل قاسم الذى قام فيما بعد بتأليف رواية "الشمندورة" عن النوبة هارباً من البوليس، وأقام معى فى مسكنى فى حى الظاهر. وجاء رفعت السعيد، دون أن أعرفه ودون علمى، إلى الشقة لمقابلة محمد خليل قاسم. ولم آكن بالمنزل وقت حضوره. وكان البوليس يتعقبه ولذلك تمكن من رصد المنزل.

وتم القبض علىّ مصادفة حينما ذهبت المباحث العامة لمهاجمة المنزل فوجدوا محمد خليل قاسم. ونصبوا كميناً داخل الشقة وعلى السلم انتظاراً لوصولى دون أن يعرفوا شخصيتى. وعندما عدت للمنزل ليلاً وقعت فى أيدي الكمين على السلم فى اللحظة التى وضعت فيها المفتاح فى باب الشقة. ووجدت فى داخل الشقة مصطفى عاشوب رجل المباحث المشهور. وسألني عن اسمي. وتم القبض علينا ضمن قضية شيوعية حسبما ذكرت فى بداية هذا الحوار عن عدد مرات الاعتقال وفتراتها. وكانت الفترة السابقة على اعتقالى هى التى تركز فيها نشاطي الحزبى بين طلبة الجامعة. فقد اتجه نشاطى الحزبى بعد الخروج من المعتقل إلى خارج الجامعة وبمنطقة حلوان فى المحل الأول، والتى تمتد بين مصر القديمة وحلوان. وكان المستوى التنظيمى الذى وصلت إليه فيما بعد هو عضوية منطقة القاهرة.

استمر حبسى فى ذلك الحين بسجن مصر من ١٥ ديسمبر ١٩٥٢ حتى ٥ ديسمبر ١٩٥٥

حـيث صدر قرار من النيابة بالإفراج عني، ولكن لم أخرج، فقد تم نقلي من سجن مصر مباشرة إلى حجز قسم الخليفة بالقاهرة انتظاراً لصدور الأمر باعتقالي، وبعد صدور هذا القرار في ٨ ديسمبر ١٩٥٥ تم ترحيلي إلى أوردي ليمان أبي زعبل، وبقيت هناك إلى أن تم الإفراج عني في ٢٩ مايو ١٩٥٦.

وأذكر أننا واجهنا في ذلك المعتقل أولى عمليات التعذيب المنظمة على أيدي اللواء همت الذي ارتكب في السنوات اللاحقة جرائم تعذيب أدت إلى قتل عدد من زملائنا في مقدمتهم شهدي عطية في بداية ستينات القرن العشرين.

•• العودة للعمل الحزبي في حلوان بعد الخروج من المعتقل في ١٩٥٦:

ارتبط عملي الحزبي بعد الخروج من المعتقل بحلوان حيث كنت مسؤولاً عن نشاط التنظيم هناك. وكانت إقامتي بالقاهرة، لكنني انتقلت للإقامة بحلوان في فترة العدوان الثلاثي في منزل الزميل ابراهيم المناسترلي الذي كان يقيم بالقاهرة في ذلك الحين. وبعد احتلال بورسعيد كنت ضمن المجموعة الحزبية التي ذهبت إلى قرية طويحر بمركز أبو حماد بمحافظة الشرقية؛ حيث أقيم معسكر للتدريب، وكان ضمن المعسكر ثلاث سيدات أذكر منهن الصحفية أميمة أبو النصر ونانا سالم. وبعد فترة من التدريب ذهبت مجموعة منا إلى بورسعيد ولم أكن بينها. غير أنني حصلت آنذاك على ترخيص بحمل السلاح من لطفي واكد وآمال المرصفي وكانا في قيادة المنطقة العسكرية بالزقازيق. وذهبت بعد ذلك إلى ناحية الإخيوة الصالحية ومعي كمية من الذخيرة وقمت بتدريب الأهالي على استخدام السلاح وشكلنا لجاناً للمقاومة. كما قمت بعملية تجنيد للحزب في قرى المنطقة. وكنت خلال تلك الفترة على اتصال بالنقطة العسكرية بالمطرية بمحافظة الدقهلية للسؤال عن أخبار الزملاء الذين دخلوا بورسعيد عن طريق بحيرة المنزلة ومن بينهم أحمد الرفاعي وعبد المنعم شتلة. وبعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية من بورسعيد عدت للقاهرة.

وأذكر أنني التقيت بعد رجوعي إلى القاهرة بصحفي بولندي سألني عن دور الشيوعيين (الحزب الموحد) في بورسعيد فقمت بترتيب لقاء له مع أحمد الرفاعي الذي حدثه تفصيلياً عن

هذا الدور. وينبغي التنويه بأن دور الشيوعيين في بورسعيد يحتاج إلى تسجيل تفصيلي. وتحتاج هذه العملية أيضاً إلى تسجيل آراء زملائنا من أبناء بورسعيد الذين لعبوا أدواراً مهمة في المقاومة ومن بينهم إبراهيم فاجوج الذي كان يعمل بالجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بالقاهرة قبل أن يتقاعد.

•• الانتخابات النيابية في ١٩٥٧ والجبهة الوطنية في حلوان:

استمر نشاطي الحزبي في حلوان وبمناسبة الانتخابات البرلمانية تشكلت في حلوان جبهة لخوض الانتخابات واختيار مرشح باسمها. وكنت أمثل الشيوعيين في تلك الجبهة بينما كان يمثل حزب الوفد أبو بكر حمدي سيف النصر. وهو شخصية مكافحة وقبض عليه لفترة بتهمة أنه ممثل الوفد في جبهة أقمتها مع حدتو.. كما أنه ابن أحد وزراء الحربية في وزارة وفدية سابقة. كما ضمت الجبهة الحزب الوطني ويمثله أحمد صادق عزام المحامي وهو شخصية وطنية سخرت وقتها وأموالها للدفاع عن العمال في حلوان، وكان يحظى بشعبية طاغية في أوساط العمال وبين الأهالي أيضاً. وضمت الجبهة أيضاً شخصيات أخرى من بينها ممثل حزب مصر الفتاة، والرئيس السابق لنقابة شركة أسمنت حلوان، وممثل نقابة حرير حلوان.

وكانت الاجتماعات مفتوحة ويمكن أن يحضرها كل من يرغب في ذلك. وكان منزل أبو بكر حمدي سيف النصر هو المقر الدائم لاجتماعات الجبهة اليومية في المساء. وبدأنا في البحث عن المرشح المناسب، وانحصرت الأسماء في ثلاثة أشخاص: أبو بكر حمدي سيف النصر، وأحمد صادق عزام، والرئيس السابق لنقابة شركة أسمنت حلوان وهو من الشخصيات النقابية البارزة التي تتمتع بالتقدير بين أهالي المدينة والعمال. واتخذنا قراراً بضرورة حضور الأشخاص الثلاثة في الاجتماع قبل اتخاذ أي قرار. ولم تكن الشخصية النقابية موجودة في ذلك اليوم. وكلفت بتبليغها لحضور الاجتماع في اليوم التالي. وجرت في اليوم التالي مناقشة بحضور الجميع. وأعلن أبو بكر سيف النصر أنه يرى أن المصلحة تقتضي عدم ترشيحه لأن الاعتراضات عليه من الحكومة ستكون شديدة، كما أعلنت الشخصية النقابية أنها على الاستعداد للترشيح في حالة تعذر ترشيح أحمد صادق عزام. وقررنا اختيار أحمد صادق عزام للترشيح، وبدأنا في الإعلان عن ذلك. وتم الإعلان عن ذلك الترشيح في سرادق خاص وفي حضور عمالي وجماهيري كاسح. وكان من بين ردود الأفعال تجاه هذا التأييد الشعبي

الكاسح انسحاب أحمد فهيم وزير العمل ورئيس اتحاد عمال مصر من الترشيح فى حلوان وانتقاله إلى الترشيح فى مدينة السويس. لكن الحكومة قطعت علينا الطريق بسرعة واعترضت على ترشيح أحمد صادق عزام. كما علمنا أنها سوف تعترض على الشخصيات الأخرى. ولذلك قررنا تأييد حفنى الأسمر رئيس نقابة شركة حرير حلوان الذى ترشح بعد الاعتراض على مرشحينا. وقد نجح فى تلك الانتخابات، وهو من أبناء قرية الشعراء بدمياط.

•• الانتقال مؤقتًا إلى دمياط فى فترة الانتخابات:

بعد الاعتراض على ترشيح احمد صادق عزام فى حلوان، قرر الحزب أن أذهب إلى دمياط للإشراف على المعركة الانتخابية وتنظيم الدعاية للزميل سعد أبو رمضان مرشح الحزب هناك. وهذا الزميل هو الابن الأكبر لأحد كبار المشتغلين بصيد وتجارة الأسماك فى دمياط، وكانت له علاقات قوية بأبناء عزبة البرج التى يعمل معظم سكانها بصيد الأسماك. وتقع هذه القرية عند التقاء النيل بالبحر المتوسط. وكان سعد من الشخصيات البارزة فى مدينة دمياط وله علاقات قوية مع كافة الشخصيات والمثقفين والعائلات. وبعد وصولى إلى دمياط وضعنا خطة للعملية الانتخابية بما فى ذلك الدعاية والاتصالات وتشكيل اللجان الخاصة بكل ناحية. فقد كانت الدائرة تشمل نواحى عديدة تضم مناطق تبدأ من قرية الشعراء على طريق المنصورة حتى مدينة دمياط علاوة على قرى الشطوط مثل غيط النصارى والخياطة وصولاً إلى عزبة البرج على البحر الأبيض المتوسط.

وتحول أحد المقاهى فى سوق الحسبة بوسط مدينة دمياط، الذى يلتقى به معظم الشخصيات العامة من أهل المدينة، إلى ما يشبه المقر العام لنا. وعشت هناك باسمى الأول فقط، أى أحمد. وكان من المعروف أننى أمثل الشيوعيين دون الإعلان عن ذلك صراحة. وقد تركتنا الحكومة فترة طويلة نسبيًا دون اعتراض. وعندما بدأنا فى ترسيخ وجودنا أخذوا يشعرون أن سعد أبو رمضان يحظى بحضور ونفوذ جماهيرى. وفى النهاية صدر قرار بالاعتراض على ترشيحه.

وتوضح تلك التجربة أن العمل الجماهيري مسألة جوهرية فى تطور وعى الكوادر الحزبية وانطلاقها. ويلاحظ أن جميع أعضاء الحزب فى دمياط بمختلف شرائحهم الاجتماعية، من

عمال إلى مثقفين، قد شهدوا طفرة كبيرة فى الخبرة والوعي نتيجة مشاركتهم النشطة فى تلك المعركة الجماهيرية التى لم تستمر طويلاً.

•• تأسيس نشاط جديد لحدتو فى مركزى فاقوس والحسينية بمحافظة الشرقية :

بدأت مع شقيقى عيداروس القصير فى تأسيس هذا النشاط الشيوعى الجديد خلال الإجازات الصيفية؛ حيث كانت دراستنا بالقاهرة فى المرحلة الثانوية. وكنا نسافر أحياناً خلال الدراسة لمتابعة هذا النشاط فى ناحيتى فاقوس والحسينية. وقد غطى هذا النشاط عددا من القرى بالإضافة إلى مدينتى فاقوس والحسينية. وتتمثل تلك القرى فى قرية الجمالية، وقرية سماكين الغرب، وقرية الإخيوة بمركز الحسينية. كما شمل نشاطنا الجديد بهذا المركز عدداً من العزب التى تقيم فيها أعداد كبيرة من العمال الزراعيين. وغطى نشاطنا بمدينة فاقوس المرأة حيث تشكلت مجموعة من الفتيات الحزبيات.

ويلاحظ أن هذا النشاط بمحافظة الشرقية غير معروف، ولم يتم توثيقه، ولا تجرى الإشارة إليه فى كتابات الشيوعيين المصريين. وتشير الأدبيات المختلفة عادة إلى نشاط "حدتو" فى محافظة الدقهلية وريفها فقط دون إشارة إلى ريف محافظة الشرقية الذى ظهر به نشاط حزبى للشيوعيين باسم تنظيم حدتو أيضاً. وقبل الحديث عن نوع ذلك النشاط الذى أسسناه فى تلك النواحى، أود أن أشير إلى أن حملة الاعتقالات فى الفترة ١٩٥٩- ١٩٦٤ شملت ٨ من زملائنا من مدينتى فاقوس والحسينية ومن بعض قرى مركز الحسينية.

وقد اعتقل من الفلاحين الزملاء محمد سالم الحين وهو من قرية الجمالية ولطفى السيد القصير من قرية الإخيوة. كما اعتقل من قرية الإخيوة أيضاً زميل آخر هو السيد عرابى. ومن مدينة الحسينية تم اعتقال عبد السلام رزق وهو محام وعضو الآن فى حزب التجمع، ومحمد عبد السلام وهو محام أيضاً، ومحمد أبوسوشة وهو موظف فى بنك التسليف. وفى مدينة فاقوس اعتقل فتحى السجان (مدرس) وشاكر يعقوب (صاحب أملاك). وأذكر أنه بعد توسع النشاط الذى أسسناه قرر التنظيم ضمه إلى منطقة بحرى وعين الشيخ عراقى مسئولاً عنه.

•• نوعية النشاط الحزبى الجديد بالشرقية :

غطى النشاط الحزبى عدة مجالات من بينها مشاكل المزارعين والعمال الزراعيين. كما شمل تأسيس فصول لمحو الأمية بالإضافة إلى التوعية السياسية من خلال الخطابة فى المساجد خاصة من خلال خطبة الجمعة. وكان شقيقى عيداروس الذى لعب دوراً رئيسياً فى النشاط الحزبى بالمنطقة يخطب عادة فى صلاة الجمعة فى أحد المساجد التى يتجمع فيها أبناء عدة قرى صغيرة. كما شمل النشاط محاولة إيجاد تنظيم للعمال الزراعيين فى المنطقة. وعلاوة على ذلك شمل النشاط محاربة استغلال المشايخ والعمد وأقاربهم للأهالى.

وأتذكر أيضًا أن البعض أراد محاربة نشاطنا بقرية الإخيوة، وهى أكبر قرى مركز الحسينية، وزعموا أنه لا يجوز للناس أن تمحو أميتها عن طريق الشيوعيين. ودار جدال فى القرية حول هذا الأمر. وفى النهاية نصحت شخصية بارزة بالقرية الأهالى بأن يستمروا فى الالتحاق بفصول محو الأمية لأن محو الأمية مسألة هامة، كما أعلن لهم أن كل من يسهم فى ذلك لابد أن يلقى الشكر. وقد أقمنا فصول محو الأمية فى منزل تم تخصيصه لذلك يمتلكه زميلنا السيد عرابى. وكان لنشاطنا الحزبى تأثيراته الإيجابية على بعض المسئولين المحليين فاتخذوا قرارات وإجراءات فى صالح المزارعين على الرغم من أن القانون كان لا يتيح لهم ذلك. ففى عام ١٩٦٤ قام عمدة قرية الجمالية بالتعاون مع سكرتير الجمعية الزراعية وهو شقيقى الأكبر، بتسجيل جميع الحيازات الزراعية بالقرية باسم المنتفعين بدلاً من الملاك.

وأثار هذا الأمر ملاك الأراضى فى النواحى المجاورة من جانب والسلطات الحكومية على أعلى المستويات من جانب آخر. ولم تقم السلطات الحكومية بإلغاء الإجراءات التى اتخذها العمدة وسكرتير الجمعية الزراعية، غير أنها قررت أن تعاقبهما، فاتخذت قيادة الاتحاد الاشتراكى بالقاهرة قراراً بإسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكى عن سامى عبد الغنى (عمدة الجمالية) وعن محمد القصير (سكرتير الجمعية الزراعية بقرية الجمالية). ومن ثم لم يعد لهما الحق فى تولى أى مناصب. وبهذا تم إبعادهما عن العمودية وعن أمانة الجمعية الزراعية، لأن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت شرطًا لتولى أى منصب. وبعد فترة وجيزة من الوقت صدر قانون يقضى بأن تكون الحيازة للمنتفع فى كافة البلاد. أى تم تعميم الوضع الذى تم بسببه فصل العمدة وسكرتير الجمعية الزراعية، ولكن دون أن يتم إلغاء قرار إسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكى عنهما.

كان العمدة شخصية عالية الثقافة، وهو محام ومن مواليد القاهرة. لكنه ترك وظيفته في القاهرة وانتقل للإقامة الدائمة في عزبته حيث يمتلك ٨٠ فدانا، وبدأ يشرف على زراعتها بمحاصيل غير تقليدية. وتسمى هذه العزبة الثمانين وتتبع قرية الجمالية وهي بجوار عزبة الأربعين حيث تقيم أسرتي والتي تتكون من عدد صغير من المنازل. وكان العمدة صديقًا لوالدي وشقيقي الأكبر منذ فترة سابقة على توليه منصب العمودية. وعندما كبرت في السن بدأت أجلس معه حيث كان يستقبل أصدقاءه كل ليلة في منزله. وعن طريقه تعرفت على يوسف حلمي الشخصية السياسية المشهورة. فقد كان العمدة متزوجًا من ابنة شقيقة يوسف حلمي، وكان متأثراً بدور يوسف حلمي في إحياء تراث سيد درويش عن طريق الجمعية التي أسسها لهذا الغرض. ويعتبر يوسف حلمي أحد المراجع الرئيسية في ذلك التراث. وقد تأثر العمدة بذلك، ولهذا كان يغني في جلساته وسهراته أغاني سيد درويش. وكنا نشاركه الغناء. كما كان يردد الأغاني معه بعض الفلاحين الذين يعملون في أرضه ويسهرون معه ليلاً. وبهذا كان العمدة ينشر مناخاً ثقافياً خاصاً تقدمي الطابع.

•• نشاطي في مجال الجامعة :

ذكرت في جلسة الحوار السابقة أن تجربتي في النشاط الحزبي بالجامعة كانت محدودة نظراً لقصر الفترة بين التحاقي بالجامعة في أكتوبر ١٩٥٣ واعتقالي في شهر ديسمبر من العام نفسه. ولكن هناك ما يقال عن الفترة التي أعقبت الإفراج عني في ١٩٥٦، وبعد الإفراج كان عملي الحزبي مرتبطاً بحلوان وليس بالجامعة والعمل الطلابي. ومع ذلك كانت لي صلة سياسية مستمرة بالجامعة خاصة كلية الآداب جامعة عين شمس. فقد التحقت بعد الإفراج عني في النصف الثاني من الخمسينيات بقسم الاجتماع بتلك الكلية. وكان ذلك لأنني وجدت قراراً من مجلس قيادة الثورة بفصلي من كلية الحقوق. ونصحني الدكتور محمد حلمي مراد وكيل كلية الحقوق حين ذاك بعدم الاعتراض على الفصل من الحقوق والاستفادة من أن القرار اقتصر على الفصل من كلية ولم ينص على الفصل من الجامعة. وأرسلني بخطاب شخصي إلى د. مهدي علام عميد كلية جامعة شمس الذي وافق على تسجيلي منتسباً بالكلية. وقد تحولت إلى منتظم فيما بعد لكي أشترك في فريق الهوكي بالكلية. ومن المصادفات أن هذا الفريق جمعني بزميل شيوعي هو فؤاد المادي الذي أصبح فيما بعد أستاذاً التاريخ بجامعة

الأزهر مثلما كان فريق الهوكي بمدرسة حلوان الثانوية يجمعني بزميل شيوعي أيضاً هو خالد فصل منصور.

ومنذ التحاقي بكلية الآداب أسهمت بدور في المجال العلمي والفكري ساعد على اعتبار مبادئ المادية التاريخية قواعد أساسية لمنهج علم الاجتماع. كما أسهم هذا الدور في بروز ما يسمى مدرسة عين شمس في مجال علم الاجتماع. وقد تضافرت عدة عوامل على تحقيق ذلك أذكر منها ما يلي:

أولاً: التعاون بين الطلاب الشيوعيين بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية رغم اختلاف انتمائهم الحزبي. وكان بالقسم مجموعة متميزة من الطلاب اليساريين منهم فاروق عبد القادر وقدري حفني وفرج أحمد فرج ولطفي فطيم. وقد حصلوا جميعًا على الدكتوراه في علم النفس ما عدا فاروق عبد القادر، وذلك لأن المباحث العامة اعترضت على تعيينه معيداً بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، وبالتالي تم حرمانه من السفر في البعثة الدرسية التي حصل عليها الشخص الذي يليه في الترتيب.

ثانيـاً: وجود شخصية علمية مهمة بالقسم وتتمثل في الدكتور مصطفى زيوار أستاذ علم النفس المشهور. وكان د. زيوار يتبنى هؤلاء الطلاب جميعاً ويشجعهم على التفوق. وقد أثر ذلك في كل من الطلاب والأساتذة بقسم الدراسات النفسية والاجتماعية الذي تحول فيما بعد إلى قسمي علم الاجتماع وعلم النفس. وأسهمت القيمة العلمية المتميزة التي يجسدها الدكتور مصطفى زيوار في وجود مناخ يدعو إلى الانفتاح الفكري وإلى الإبداع.

ثالثـاً: من العوامل ذات الأهمية أيضاً المناخ العلمي والفكري الذي توفر بالقسم نتيجة وجود أساتذة متميزين علمياً وفكرياً لهم صلة أيضاً بالدكتور زيوار. وأعني بهؤلاء الدكتور مصطفى صفوان أستاذ التحليل النفسي في باريس حالياً، وعبد السلام القفاش الذي ذهب إلى إنجلترا في نهاية الخمسينيات لإعداد الدكتوراه لكنه بقي هناك وعمل بهيئة الإذاعة البريطانية، والدكتور أحمد فائق أستاذ علم النفس الذي فصل من الجامعة بعد حرب ١٩٦٧ لأنه أسس تنظيمًا سريًا باسم "جبهة تحرير مصر". وقد هاجر إلى كندا بعد اعتقاله وفصله من الجامعة. وكان الدكتور أحمد فائق يقوم بدور متميز في القسم يتسم بالهدوء والحسم في آن واحد. وكان يعمل على حماية الطلاب الشيوعيين في القسم من الاضطهاد الذي يمارسه ضدهم بعض أساتذة القسم التقليديين. وكان هو الذي عرفني على بعض المعيدين المتميزين

فى شعبة علم الاجتماع، وكانت لهذه الصلة تأثيرات ساعدت على أن يتخلص البعض منهم من توجهات المدرسة الوظيفية فى علم الاجتماع وتبني مفاهيم جديدة انعكست بشكل واضح فى التدريس وفى بعض الدراسات أيضاً.

كما كان د.أحمد فائق وراء المساندة العلمية والفكرية التى تلقيتها من د. مصطفى زيوار على الرغم من أننى لم أكن على معرفة شخصية به. فقد قرأ الدكتور زيوار- بواسطة د. أحمد فائق - بحثًا أعددته عن الأسس المنهجية فى علم الاجتماع المعاصر أوضحت فيه عجز المدارس التقليدية خاصة الوظيفية، كما أشار البحث إلى أهمية مبادئ المادية التاريخية المنهجية لعلم الاجتماع. وتحمس الدكتور زيوار لنشر هذا البحث، وأرسلنى إلى الدكتور فؤاد زكريا لهذا الغرض. وعلى الرغم من أن البحث لم ينشر، فإنه كان الأساس الذى تطورت منه فيما بعد رسالة الماجستير التى أعددتها حول الموضوع نفسه والتى صدرت فى كتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بعنوان "منهجية علم الاجتماع بين الوظيفية والماركسية والبنيوية".

رابعًا : من بين العوامل التى ساعدت على خلق المناخ الفكرى الجديد بقسم علم الاجتماع، وعلى إتاحة الفرصة للمساهمة فى ترسيخ المفاهيم والتوجهات الجديدة فى علم الاجتماع، الأسلوب الليبرالى الذى اتبعه معنا الدكتور السيد بدوى أستاذ علم الاجتماع بجامعة الإسكندرية (توجد قرابة بينه وبين د. فؤاد زكريا). فقد كان يحضر لتدريسنا مادة النظريات الاجتماعية بالدراسات العليا. ووجد أننى أناقشه بوجهات نظر مختلفة، وأتاح لى فرصا كبيرة لعرض الأفكار التى عبرت عنها. واستمرت هذه الفرصة عدة أسابيع، وشمل ما قدمته نقداً لما يتم تداوله وتدريسه بالجامعات المصرية وتفسيراً لأسباب قصور الدراسات التى يقدمها المتخصصون فى علم الاجتماع. وجذبت التجربة التى أتاحها الدكتور السيد بدوى بعض أساتذة قسم علم الاجتماع بكلية آداب جامعة عين شمس فاقترحوا تعميمها. وكان الدكتور غسان بدر هو أول من قدم هذه الفكرة. ومن ثم نشأت فكرة السمنار الأسبوعي بالقسم، وتم تنفيذ الفكرة بالفعل. وقد أسهم هذا السمنار فى تطوير الدراسات بالقسم، واكتسب شهرة علمية. كما يعود إليه الفضل، بدرجة ما، فى نشأة ما يُسَمَّى بمدرسة عين شمس فى علم الاجتماع وإن كان المستوى العلمي لهذه المدرسة تعرض للتدني فى السنوات الأخيرة نظراً لضعف الأجيال الجديدة.

خامسًا : ساعد على رسوخ الترجهات الجديدة بقسم علم الاجتماع بعين شمس ترحيب الدكتور حسن الساعاتي، الذي كان عميداً لكلية الآداب ورئيساً لقسم علم الاجتماع، بحضور أساتذة زائرين متميزين فكرياً وعلمياً لتدريس طلاب الدراسات العليا. وقدم بعض هؤلاء الأساتذة سلسلة محاضرات كان يحضرها جميع أعضاء هيئة التدريس إلى جانب طلاب الدراسات العليا بشعبتي عم الاجتماع وعلم النفس. وكان الدكتور حسن الساعاتي يرحب بهؤلاء الأساتذة على الرغم من اختلاف منطلقاتهم الفكرية عن مواقفه. وكان من أبرز هؤلاء الأساتذة جاك بيرك المستشرق الفرنسي الشهير، وأنور عبد الملك المفكر المصري البارز. وقد ألقى علينا جاك بيرك محاضرات استمرت أكثر من شهرين. وكان يحضرها طلاب الدراسات العليا فى علم الاجتماع وعلم النفس. أما محاضرات أنور عبد الملك فقد استمرت عدة أسابيع، وكان يحضرها طلاب الدراسات العليا فى علم لاجتماع وجميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم.

وقد استفدت شخصياً من الليبرالية التى كانت يتحلى بها الدكتور حسن الساعاتى تجاه بعض الذين يختلفون معه فكرياً. فهو الذى وافق على إعطائى فرصة لإعداد رسالة ماجستير في موضوع نظرى لا يتم عادة تسجيل رسائل علمية حوله وهو الأسس المنهجية فى علم الاجتماع المعاصر. وقد انتقدت فى هذه الرسالة التوجهات الفكرية السائدة في علم الاجتماع بالجامعات المصرية خاصة ما يتعلق بالمدرسة الوظيفية الأمريكية، كما انتقدت المنهج الوصفى الذى تقوم عليه كافة الأعمال الرئيسية للدكتور الساعاتى نفسه. وأوضحت، علاوة على ذلك، أن علم الاجتماع يحتاج من الناحية المنهجية للمفاهيم الرئيسية للمادية التاريخية. كما تناولت أوجه الاتفاق والاختلاف بين المدارس الاجتماعية الرئيسية فى مجال دراسة البنية الاجتماعية. ويجب أن أذكر أيضاً أن قسم علم الاجتماع قام بتسجيلى لدرجة الماجستير أثناء وجودي داخل المعتقل بسجن المنيا سنة ١٩٧٠. فقد أرسلت طلباً للتسجيل بطريقة سرية غير رسمية. وأرفقت مع الطلب رسالة شخصية إلى أحد الأساتذة بالقسم ليس له أى انتماء سياسى وهو د.غسان بدر. وطلبت منه فى الرسالة أن يعرض طلبي على مجلس القسم.

وقد عرض طلبى بالفعل وتم تسجيلى للماجستير خاصة أننى كنت قد أنهيت دراسة المرحلة التمهيدية للماجستير قبل اعتقالى. لقد ساعدت مختلف العوامل التى ذكرتها آنفًا على وجود مناخ علمى أدى إلى تثبيت مفاهيم جديدة بقسم علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس. وهو ما أفضى إلى تراجع المدارس التقليدية نسبياً خاصة المدرسة الوظيفية الأمريكية. ومن ثم ظهر ما يُسمى بمدرسة عين شمس، وإن كانت الأعمال والدراسات التى تم إنجازها لا تتناسب

مع الشهرة التى نالتها تلك المدرسة. كما أن الجيل الحالى من أبناء تلك المدرسة يتسم بالضعف العملى الواضح. كما يبدو سلوك البعض منهم وكأنه لا يعرف شيئًا عن الأخلاق الباسعية والتقاليد العلمية.

•• حول حصيلة الصراع الفكرى داخل الحزب فى المعتقل :

عاش الشيوعيون ظروفاً صعبة وقاتلة بدنياً ونفسياً داخل المعتقل فكانوا يواجهون التعذيب من جانب حكومة توصف بأنها وطنية يقودها جمال عبد الناصر الذى اتخذ خطوات التأميم داخلياً وسياسة خارجية تتسم بالمواجهة مع القوى الاستعمارية. لكن هذه الحكومة تقوم فى الوقت نفسه بقتل الشيوعيين فى المعتقل. وفى ظل هذا المناخ المعقد كان يدور النقاش والصراع بين الآراء والأفكار المختلفة لقيادة الحزب وكوادره. وفى بداية طرح الأفكار حول تقييم عبد الناصر وقيادته فى أعقاب تأميم بنك مصر فقدنا مفكراً وقائداً بارزاً هو شهدى عطية الذى تم قتله فى عملية تعذيب بشعة فى أوردى ليمان أبى زعبل.

وبمجرد أن التقطنا أنفاسنا بدأ الحوار لتحديد طبيعة السلطة وهو حوار بدأ فى أوائل الستينيات من القرن العشرين واستمر حتى خروجنا من المعتقل فى الشهور الأولى من عام ١٩٦٤. وكانت حصيلته سلسلة من القرارات والتقارير والإجراءات. وسوف أشير إلى أكثرها أهمية.

ويجب قبل الحديث عن القرارات والتقارير السياسية أن أشير إلى أننى كنت داخل المعتقل مسؤولاً عن حفظ وثائق الحزب وقراراته وتقاريره، لكن تلك الوثائق لم تشمل المراسلات. وأقول ذلك بهدف المساعدة فى البحث عن الوثائق المفقودة. فقد كان فؤاد حبشى هو المسؤول عن المراسلات بما فى ذلك إرسال نسخ من الوثائق إلى خارج المعتقل ليتم حفظها. وأذكر أننى سلمته نسخاً من كافة الوثائق مكتوبة على ورق البافره (الذى يستخدم فى لف السجائر) من أجل إرسالها إلى خارج المعتقل.

•• قرار المجموعة الاشتراكية :

صدر هذا القرار عن مؤتمر انعقد فى سجن القناطر وضم جميع الزملاء. فقد تم نقلنا من أوردى ليمان أبى زعبل بعد أن طلبنا من النيابة التى حققت فى مقتل شهدى عطية حمايتنا من

انتقام الضباط الذين قاموا بتعذيبنا وقتلوا زميلنا. ودار في سجن القناطر نقاش في ظروف صعبة استمر عدة شهور. وأعقب ذلك صدور قرار "المجموعة الاشتراكية" الذي يرى وجود مجموعة اشتراكية بزعامة جمال عبد الناصر في قمة السلطة في مصر.

وتعود بدايات النقاش فعلاً إلى ما قبل استشهاد شهدي عطية. وجاء قرار المجموعة الاشتراكية ليمثل عملية توفيق أو توليفة بين اتجاهين مختلفين. وكان يمثل الاتجاه الأول بعض أعضاء القيادة وعدد قليل من الكوادر. وكانوا في مجموعهم يمثلون أقلية ويعتبرون أن جمال عبد الناصر يبنى الاشتراكية بالفعل. ومن أبرز المدافعين عن هذا الرأى إبراهيم عبد الحليم وعادل حسين. وينتمي الأول إلى القيادة والثاني إلى الصف الثاني من الكوادر.

أما الرأى الثاني فكان يمثل الأغلبية في القيادة وبين الكوادر. ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن إجراءات عبد الناصر والتأميمات لا تبنى الاشتراكية وإنما هى إجراءات تقدمية تسهل الطريق إلى الاشتراكية. وقد عبر شهدي قبل استشهاده، أثناء مرافعته أمام المحكمة العسكرية بالأسكندرية، عن هذا التوجه. كما عبّر عنه أيضًا خلال المناقشات الشخصية معه. وبعد المؤتمر صدر قرار المجموعة الاشتراكية ليشكل رأيًا توفيقيًا أو توليفة بين الرأيين السابقين. وكان بهيج نصار هو الذي قام بصياغته.

•• تقرير الحزب عن الميثاق يحدد الاختلافات الفكرية مع عبد الناصر :

عقد الحزب مؤتمراً بسجن الواحات حول الميثاق الذي أصدره عبد الناصر بعد انفصال سوريا عن مصر. وبعد مناقشة الميثاق وتحليل الأفكار الواردة فيه، أصدر هذا المؤتمر تقريراً باسم تقرير الميثاق. وقام صلاح حافظ بصياغة ذلك التقرير في ضوء حصيلة الأفكار التي طرحت. وجاءت الصياغة شديدة التحديد والدقة وبأسلوب متميز.

وتعرض التقرير تفصيلاً لمفاهيم الميثاق، وناقش مدى اختلاف واتفاق تلك المفاهيم مع فكر الحزب والشيوعيين. ومن بين النقاط التي أكد التقرير عليها الاختلاف بين الشيوعيين وعبد الناصر حول مفهوم الطبقة والطبقات الاجتماعية. وتتمثل أهمية ذلك التقرير في أنه تناول لقضايا التي تجاهلها وابتعد عنها قرار "المجموعة الاشتراكية". فقد عبر تقرير الميثاق

بوضوح عن أشكال التمايز والاختلاف الفكرى بيننا وبين عبد الناصر. ولذلك يعتبر من أهم الوثائق الحزبية لأنه اتسم بتأصيل سياسى ونظرى وفكرى لا يوجد فى أى وثيقة حزبية أخرى. كما أن صياغته جاءت فى مستوى رفيع نادر فى بلاغته.

وقد جرت كتابة عدة نسخ من هذا التقرير على ورق البافره، وأرسلت إلى خارج المعتقل عن طريق فؤاد حبشى الذى كان مسؤولاً عن المراسلات مع خارج المعتقل. وقد سلمته شخصياً تلك النسخ. وكان الغرض من ذلك أن يصل التقرير إلى المسؤولين وإلى جمال عبد الناصر وأن يتم حفظه من الضياع

•• مؤتمر الحزب وبعض القضايا الحاسمة:

تم بعد ذلك إعداد سلسلة من التقارير انعقد بعدها المؤتمر العام للحزب فى عام ١٩٦٣، وترتب على المؤتمر قضايا مهمة تتعلق بالتقارير الصادرة عنه وانتخاب قيادة مصغرة. وتتمثل تلك التقارير فى:

•• ١- التقرير السياسى التاريخى:

وهو مطول وجرى إعداده على امتداد فترة طويلة نسبيا وبمشاركة جميع الزملاء. وكان محمد شطا هو المحرر الرئيسى لذلك التقرير الذى يمثل محاولة لتسجيل تاريخ الحركة الشيوعية. وقد أرسلنا منه بعض النسخ (على ورق البافره) إلى خارج المعتقل. وكان معي نسخة منه لكن المباحث العامة استولت عليها عند اعتقالى فى عام ١٩٧٥.

•• ٢- تقرير "نحو هيكل تنظيمى واحد":

يعبّر هذا التقرير حسبما يشير العنوان إلى أمنيات خاصة بالسعى إلى شكل تنظيمى يضم جميع الاشتراكيين بما فى ذلك التنظيم الطليعى لعبد الناصر. وأعتقد أن قراءة هذا التقرير الآن سوف تلقى الضوء على التطورات اللاحقة أو تفسر على الأقل بعض تلك التطورات.

•• مخاطر قرار مؤتمر الحزب بتقليص عدد أعضاء اللجنة المركزية:

فى الأيام الأخيرة لمؤتمر الحزب المشار إليه آنفًا ظهر اتجاه عبّرت عنه القيادة يدعو إلى ضرورة تقليص عدد أعضاء القيادة لكى تتشكل من عدد محدود يبلغ ستة أشخاص فقط. وقد

قاومنا هذا التوجه لفترة لأن حصر مصير الحزب في يد عدد محدود يمثل مخاطرة كبيرة. ولكن حدثت علينا ضغوط مستمرة من أجل إقرار هذا التوجه الجديد. وكان بين تلك الضغوط الوعد بأن تقليل عدد أعضاء القيادة، أي اللجنة المركزية، سيؤدى إلى استبعاد الذين ينادون بحل الحزب. وهى وعود لا معنى لها لأن الاتجاه العام فى المؤتمر كان ضد انتخاب أى شخص يدعو صراحة أو ضمناً إلى حل الحزب. وقد مارس تلك الضغوط أحمد الرفاعى وزكى مراد. وبعد أن خضعنا لتلك الضغوط والوعود التى لا معنى لها تم انتخاب قيادة من ستة أعضاء فقط منهم خمسة فى داخل المعتقل وواحد فى الخارج. ولم تضم اللجنة المركزية الجديدة أى شخص له رأى معلن حول حل الحزب. بل تم بالفعل استبعاد كل من له رأى يطالب أو يدعو إلى حل الحزب. ولكن هذا لا ينفى أن بعض الذيـن تم انتخابهم قد تكون له نية غير معلنة فى هذا الشأن أو يعتزم دخول التنظيم الطليعى بعد الخـروج من المعتقل.

•• مؤتمر مصغر يدين حل الحزب قبل الخروج من المعتقل بأشهر معدودة:

قبل الإفراج عنا بفترة قصيرة ردد بعض الزملاء بسجن الواحات أفكاراً حول حل الحزب. وكانوا من الكوادر الأساسية وليس القيادة. وانعقد مؤتمر مصغر لمناقشة هذا الأمر حضره الذين كانوا يقولون بحل الحزب. وقد حضرته مثلما حضرت الاجتماعات الموسعة والمؤتمرات السابقة. وقرر هذا المؤتمر المصغر إدانة أى دعوة لحل الحزب. كما شارك أعضاء اللجنة المركزية الذين حضروا المؤتمر فى هذه الإدانة بشكل واضح.

•• فترة ما بعد الخروج من المعتقل عام ١٩٦٤ :

خرجنا من المعتقل فى أبريل سنة ١٩٦٤، بعد أكثر من خمس سنوات من المعاناة والمقاومة والصمود فى مواجهة عمليات تعذيب منظمة هدفها تحطيمنا بدنياً ومعنوياً. ولم يكن هدف التعذيب الحصول على اعترافات أو معلومات لاستخدامها فى إدانة الشيوعيين فى المحاكمات. فلم تكن الأجهزة الأمنية تهتم بذلك، لأن المحاكم العسكرية تصدر الأحكام بالإدانة دون الحاجة إلى أى دليل. ومثال ذلك ما فعلته المحكمة التى ترأسها الفريق هلال عبد الله هلال فى قضية

شهدى عطية التى كنت متهماً فيها.

لكن حالة التماسك تغيرت بعد الإفراج. فقد اختلف الوضع وانهار التماسك الذى كان داخل المعتقل. ويرجع السبب الرئيسى لهذه الحالة إلى دخول عدد من الزملاء، خاصة القياديين منهم، التنظيم الطليعى لعبد الناصر. فقد شكَّل هذا الأمر انقساماً خطيراً غير معلن. وعبَّر هذا الانقسام من جانب آخر عن مشكلة لا تقبل الحل، وأصبح زملاء الأمس فى مفترق طرق. البعض منهم ملتزم بالحزب والعمل الحزبى، بينما أصبح البعض الآخر تحت قيادة جديدة هى قيادة عبد الناصر. وهى قيادة لا تقبل بوجود أى تنظيم مستقل.

وسوف أعود الحديث عن التأثيرات الضارة والدمرة لذلك الوضع، بعد الحديث عن قرار إسقاط العضوية الذى اشتُهر بأنه قرار حل الحزب (حدتو). وقد سبق اتخاذ ذلك القرار من جانب الحزب الشيوعى المصرى "حدتو" عدة اجتماعات ومؤتمرات لمواجهة الأزمة، ولكن تلك المؤتمرات لم تصل إلى نتيجة. وقد حاول بعض أعضاء القيادة منع انتخاب بعض الذين يقفون ضد حل الحزب ضمن المندوبين الذين حضروا أحد المؤتمرات التى ناقشت المشكلة. ومثال ذلك قيام مبارك عبده فضل بإعادة إجراء انتخاب المندوبين، وإعلان بطلان نتيجة الانتخابات التى كانت قد أجريت بالفعل وأسفرت عن انتخاب أغلبية ضد حل الحزب.

•• قرار إسقاط العضوية :

فى ظل مناخ الانقسام والبلبلة السياسية والفكرية، اجتمعت مجموعة من كوادر الحزب فى ١٤ مارس ١٩٦٥ فى مؤتمر للنظر فى الوضع الراهن والمستقبلى. وكانت هذه المجموعة هى الكتلة الرئيسية المتبقية من الحزب الشيوعي "حدتو" التى تمارس النشاط الحزبى بعد الإفراج عن المعتقلين. ووصل الأمر ببعض الزملاء إلى اعتبار أن الحزب الشيوعى قد انتهى ولا توجد أى حاجة إلى عقد أى اجتماعات. وقد واجهتُ هذه الحقيقة حيث كنتُ مسؤولاً عن الدعوة للمؤتمر، وعن تبليغ الزملاء فى مختلف المحافظات. وناقش المؤتمر تقريراً مؤداه أن دور الشيوعيين فى مصر لا يزال ضرورياً ولن ينتهى، وأن الحزب الشيوعى لا يحل نفسه.

وقد أضيفت للتقرير عبارة تقدمت بها شخصياً تقول إننا ندين كل الدعوات إلى حل الحزب الشيوعي ومن بينها الدعوة التى عبَّر عنها أحمد حمروش فى مجلة روزاليوسف. وأقر الجميع

اقتراحي هذا وتمت إضافته إلى التقرير الصادر عن المؤتمر. وكان كمال عبد الحليم هو الذى أعد التقرير. ولم ينص ذلك التقرير على حل الحزب بل نص على إسقاط العضوية عن الزملاء، كما كلف المؤتمر كمال عبد الحليم بإعداد تقرير اخر عن المرحلة المقبلة. وقد نص التقرير على أن أعضاء حدتو يشكلون تيارًا ثوريًا فى مصر. وبعد إقرار التقرير المقدم إلى المؤتمر، واتخاذ القرارات المشار إليها، أعلن كمال عبد الحليم من جانبه إنهاء الشكل المستقل.

•• التيار الثورى :

بعد انتهاء جلسة ذلك المؤتمر الذى أسقط العضوية، عقد أربعة أشخاص من الذين حضروه ووقّعوا على بيانه اجتماعًا فى اليوم نفسه لتأسيس « لتيار الثورى» تأكيداً للفكرة الواردة فى البيان الصادر عن المؤتمر المشار إليه. وجرى الاجتماع فى كافيتريا الشاى الهندى بشارع طلعت حرب. ولم يتم الإعلان عن تأسيس حزب جديد. لكن النشاط الذى بدأ كان شديد التنظيم سواء بالنسبة للتدرج التنظيمى الهرمى أو فى توزيع المسؤوليات فى مختلف المحافظات لإعادة النشاط الحزبى. وحاولت عملية إعادة النشاط ضم الزملاء القدامى من جانب، وتجنيد زملاء جدد من جانب آخر. كما شملت هذه العملية مناطق عديدة أذكر من بينها القاهرة والأسكندرية وبورسعيد والدقهلية ودمياط والشرقية وأسوان. والزملاء الأربعة المشار إليهم هم : كمال عبد الحليم، وطاهر البدرى، ومحمد عباس فهمى، وأحمد القصير. وبعد فترة وجيزة اتسعت الدائرة القيادية للتيار الثوري على نحو ملحوظ. وهو ما عكسته الاعتقالات التى تعرضت لها هذه المجموعة بين عام ١٩٦٦ وعام ١٩٧١، ثم عقب انتفاضة ١٨ و١٩ يناير سنة ١٩٧٧، ومن أبرز أدوار هذه المجموعة تأكيدها على أهمية وجود التنظيمات السياسية المستقلة عن الحكومة، علاوة على أهمية دور الشيوعيين والتنظيم الشيوعى فى الحياة السياسية بمصر. فقد تم التشديد على أن دور الشيوعيين فى مصر لا يمكن أن ينتهى أو يتوقف تحت أى مبرر.

•• تجارب فى العمل السياسى والجماهيرى :

كما انعكس نشاط هذه المجموعة فى بعض الأعمال الجماهيرية التى شكّلت تجارب سياسية مهمة من بينها تجربة انتخابات الاتحاد الاشتراكى فى عابدين بالقاهرة والتعاون مع

التنظيم الطليعى بالقاهرة فى تلك الانتخابات. وهى تجربة تكشف عن الكثير من الممارسات غير الديمقراطية للتنظيم الطليعى الذى كان يمثله عبد المجيد فريد شخصيا فى تلك التجربة. وكنت مسؤولاً عن التنسيق معهم بشأن تلك الانتخابات. ويحتاج هذا الأمر إلى حديث خاص وتفصيلى، لكن يمكننى أن أشير إلى أن تلك التجربة أوضحت أيضًا أن الأهمية السياسية لأعضاء التنظيم لا ترتبط بالمستوى التنظيمى للعضو بل بمدى اقترابه أو ابتعاده عن مراكز السلطة. كما أود أن أضيف إلى ما سبق أن المناقشات التى دارت بيننا وبينهم أثناء اللقاءات التى تمت فى النادى السياسى الخاص بهم فى القاهرة قد تم تسجيلها ووصلت المباحث العامة. ومثال ذلك المناقشات التى دارت فى إحدى جلسات النادى السياسى حول الميثاق. وقد اعتبر أعضاء التنظيم الطليعى أن الميثاق عبارة عن دليل نظرى. غير أن عيداروس القصير زميلنا فى التيار الثورى اعترض على ذلك قائلاً بأن الميثاق لا يمثل دليلاً نظريًا بل هو محاولة لتفسير إجراءات وسياسات تمت فى الواقع العملى.

وقد شملت الأعمال الجماهيرية التى قام بها التيار الثورى أيضًا التجربة الخاصة بنجاح أحد الأشخاص لعضوية مجلس الشعب فى إحدى دوائر القاهرة. فقد تم التفكير فى إمكانية نجاح مرشح لنا فى انتخابات مجلس الشعب. وتم النجاح فى تنفيذ الفكرة. وقمنا بمناقشة عدة اختيارات ثم استقر الأمر فى النهاية على اختيار قبارى إسماعيل للترشيح فى دائرة قصر النيل. وكان الرسام زهدى هو أول من اقترح اسم قبارى بوصفه أفضل الذين يمكن ترشيحهم. وأسفرت التجربة عن نجاحه فى الانتخابات وحصوله على عضوية مجلس الشعب عن دائرة قصر النيل.

•• تأثيرات دخول بعض الزملاء التنظيم الطليعى :

كانت هناك قناة اتصال غير معلنة تأتى لنا عن طريقها توجهات الحكومة أو تحذيرات التنظيم الطليعى. وكان لذلك الأمر تأثيرات ضارة عديدة من بينها إيجاد فرقة بين زملاء الأمس. وظهر ذلك فى حالتين: الأولى عند تأسيس «مكتب يوليو للترجمة» الذى تغيّر اسمه فيما بعد إلى دار "الثقافة الجديدة" بناء على اقتراح من جانبى. فعندما أردنا أن نؤسس دارًا للنشر جاء تحذير من الحكومة يقول بأنها لا تريد أن يؤسس الذين خرجوا من المعتقلات دورًا للنشر. لكن محمد يوسف الجندى تحمس لتجاهل هذا التحذير على أساس أن ما نقوم

بتأسيسه ليس داراً للنشر وإنما مكتباً للترجمة. وقد أخذ محمد الجندى باقتراح لكمال القلش بتسمية المكتب "مكتب يوليو للترجمة". وضمت المجموعة التى أسسته : محمد الجندي وعبدالحميد السحرتى وأحمد القصير وفؤاد عبد الحليم وآخرين. وبدأ العمل وأصدرنا بعض الكتب. وشاركتُ فى ترجمة بعضها ومراجعة البعض الآخر، كما كتبت مقدمة بعض الكتب المترجمة.

وفوجئت بعد فترة من العمل بمحمد الجندى يطلب التحدث معى فى جلسة على انفراد، حضرها عبد الحميد السحرتى. وطلبا مِني أن أترك المكتب لأن استمرارى سيؤدى إلى إغلاقه. وبالسؤال عن السبب أخبرانى بأن بعض المسئولين يقولون إن أحمد القصير هو "المسؤول الحزبى فى المكتب". ولهذا فمن الأفضل أن تتركه. لكنهما لم يفصحا عن هوية المسؤولين الذين قدموا هذا التحذير. واتهمتهما بالخضوع للمباحث العامة، وتركت العمل بالمكتب.

وقمتُ على الفور بالتعاون مع زملاء بالتيار الثورى بتأسيس دار "الثقافة الجديدة" للنشر، واتخذنا مقراً مؤقتًا لها بميدان طلعت حرب. وسرعان ما اتضح لى بأن التنظيم الطليعي هو الذى قدَّم التحذير وليس المباحث العامة. وعلمت ذلك من زكى مراد عندما ناقشته فى الموضوع، وتساءلت كيف يمكن أن يخضع محمد الجندى لضغوط المباحث العامة فأجابنى بأن الذى طلب استبعادي من مكتب يوليو هو التنظيم الطليعي وليس المباحث العامة. وكان عبد الحميد السحرتى فى ذلك الحين قد دخل التنظيم الطليعى ويستلم نشراته. لكننى لم أعرف وضع محمد الجندى فى هذا الشأن.

وبعد فترة طلب مني محمد الجندى العودة للعمل فى مكتب يوليو. فقدمت له شرطين. ويتمثل الأول فى تحديد خطة للنشر تبدأ بإعادة نشر ديوان "أحرار وراء القضبان" للشاعر فؤاد حداد. ويتمثل الثانى فى أن يتم تغيير الاسم إلى دار "الثقافة الجديدة" بدلاً من مكتب يوليو. ولم يكن القصد هو التخلص من اسم يوليو، وإنما كان هدفى الاحتفاظ باسم دار "الثقافة الجديدة" التى قمت بتأسيسها. ووافق محمد الجندى على اقتراحاتى. وتم تغيير الاسم فعلاً، واختفى اسم «مكتب يوليو»، وظهر بدلاً من ذلك اسم دار "الثقافة الجديدة" الذى لا يزال موجوداً حتى الآن. غير أنه لم تتح لى فرصة المشاركة فى تنفيذ برنامج النشر الذى اتفقنا عليه؛ حيث تم اعتقالى.

ومن الأمثلة الأخرى التى توضح أن دخول بعض الزملاء التنظيم الطليعى أسهم فى تعميق الانقسام فى صفوف الشيوعيين ما حدث عند اعتقال كمال عبد الحليم فى عام ١٩٦٦، فقد تعرَّض بعد ذلك الاعتقال إلى حملة هجوم من جانب بعض الزملاء، وتناقشت فى هذا الأمر مع زكى مراد الذى كان على علاقة وثيقة بالزملاء الذين يهاجمون كمال عبد الحليم، وطلبت أن يكف زملاء الأمس عن ذلك الهجوم، وأن يطالبوا بالإفراج عنه بدلاً من الهجوم عليه. فأخبرنى بأن هؤلاء الزملاء لهم العذر «لأنكم تؤسسون مع كمال عبد الحليم تنظيماً شيوعياً وهذه مسألة خطيرة فى مثل هذا الوقت».

شهادة

إيفون حبشي[1]

الاســــــــــم : إيفون حبشى رزق الله

تاريخ وموطن الميلاد : ١٠/٤/ ١٩٣٥ - ولدت فى شبرباص ثم بحكم وظيفة أبى انتقلنا إلى قطور وكان عمرى أربع سنوات. ثم انتقلنا إلى طنطا فى عام ١٩٤٧.

المــــؤهـــــلات : خريجة معهد معلمات خاص - تربية فنية

المهن التى عملت بها : عملت مدرسة تربية فنية - وفصلت من الوظيفة عام ١٩٥٩ ثم أعادونى بعد خروجى من السجن - وواصلت العمل فى الوظيفة ولكن فى الإدارة، ومنعت من التدريس، ولم يسمح لى بالنزول فى المدارس إلا عندما أصبحت موجهة تربية فنية وكان هذا بعد كفاح ونقاش طويل.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : رشحت عام ١٩٥٦ و لم انضم رسمياً إلا عام ١٩٥٧ حتى تم التحقق منى، لأنهم كانوا قلقين لأن لى أخ ضابط شرطة، وبالصدفة كان عريان نصيف صديقنا وجارنا، وعندما علم عريان بترشيحى فى التنظيم، قال لهم إنه لا يوجد خوف منه فهو رجل طيب جداً، فقبلونى.

فترة السجن والاعتقال : الحبسة الأولى من ٢٧ مارس ١٩٥٩- ٢٣ يوليو ١٩٦٠.
والثانية من أبريل ١٩٦١ تقريباً، وسجنت ١٢ شهراً(قضية تحت التحقيق).
أما الثالثة والأخيرة فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٢/ مدة سبعين يوماً.

النشأة ومدى تأثيرها فى تكوينى :

كان أبى صراف أموال مقررة، وهذه الوظيفة كان يقوم بها مسيحى، فكانت من ضمن مسئولية صراف الضرائب العقارية على الأراضى الزراعية وتطهير البرك، وتوريد الفلاحين للقيمة التى يحددها الصراف من الزرعة إلى الشونة، وكانت الكراسة التى يكتب فيها طولها متر ونصف وفيها بيانات كثيرة جداً.

وبحكم هذه الوظيفة انتقلنا إلى قرية قطور محافظة الغربية (وهى مركز الآن) وكان عمرى فى هذا الوقت أربع سنوات، وتكونت فى هذه القرية، وأدخلنا أبى مدارس الأمريكان أنا وأخى الكبير، وكنا نسكن فى منزل نظيف بناه الإنجليز بالخشب مُكون من دورين، وكل دور مُكون خمس غرف. استأجره أبى بخمسين قرشاً فقط، وكانت حالتنا ميسورة بحكم وظيفة أبى حيث

خمس غرف. استأجره أبى بخمسين قرشاً فقط، وكانت حالتنا ميسورة بحكم وظيفة أبى، حيث كانت تقدم له دائمًا هدايا. وعندما كنت أشعر بأن هناك تميزاً فى أوضاعنا كنت ألعب مع الأطفال فى الشارع، وهناك بعض الصور التى ثبتت فى ذهنى وجعلتنى أبدأ فى التساؤلات. فمثلاً عندما كنت أسرق بعض القراقيش التى كانت والدتى تخبزها لنا دائماً، وأعطيها للولد الذى كنت ألعب معه وأنا صغيرة وكان اسمه "محمود". واكتشفت أمى ذلك ذات مرة، وشخطت فيَ، إلا أن أبى قال لها أن محمود هذا حالته متعبة جداً لدرجة أنه يقلب جلبابه لأن أهله لا يملكون حق الصابونة لكى يغسلها. وثبت فى ذهنى هذا الكلام، وفى اليوم التالى سرقت صابونة وأعطيتها له محاولة منى أن أحل المشكلة.

كما شاهدت ولفت نظرى من خلال وقفتى فى الشباك مدى ما تعانيه الفلاحة المصرية، فهى تقوم بجهد شاق جداً، حيث تقوم منذ الصباح الباكر بحلابة البهائم وتنقية الأرز وتقليم الجميز، وتأتى تشحت من أمى شرابات أبى القديمة لكى تحمى أيديها من القشف وخلافه. وفى آخر اليوم تأتى راكبة الحمار وعليه حمل البرسيم وتسحب البهائم وراءها.

وأتذكر أنى كنت أدرس فى المرحلة الابتدائية درسًا يتحدث عن الفلاحة المصرية، وأعجبت بجملة تقول: "إن الفلاحة تحب العمل وتكره الكسل". لذا كنت أقف فى الشباك دائمًا لكى أراها وأكرر عليها هذه الجملة.

وكانت حالة الفلاح بشكل عام مهينة جداً، وكان يمشى حافى القدمين، أما الإقطاعيون الذين يملكون العزب فكانوا يأتون إلى أبى بالعربات الفخمة لكى يدفعوا الضريبة. وذات مرة جاء واحد من أصحاب العزب للتفاوض مع أبى، لكى يطلب منه أن يعفيه من دفع جزء من المال ووعده بأنه سيوزعه على الغلابة. لكن أبى رفض، فخطفوا أخى الصغير، وعندما حلت المشكلة انتقلنا من البلد عام ١٩٤٧.

كل هذه المشاهد أثرت فيَ وجعلتنى أسأل والدى: لماذا هذه التفرقة، ولماذا حالة محمود هكذا وحالتنا ميسورة، ولماذا هناك بشر يركبون هذه العربات، وناس تمشى حافية؟! فأجاب: ربنا عايز كده، فقلت له: وهل ربنا ظالم، لا يمكن أن يكون غير عادل. وبدأت أذهب إلى الكنيسة بعد هذه الحادثة، فالكنيسة تقول اعطفوا على الفقراء.. إلخ. ودخلت مدارس الأحد، وأخذت معى دفتراً لكى أجمع (فلوس) من أجل الفقراء، وبهمة ونشاط بدأت أورد ما أجمعه للكنيسة، واعتقدت أيضًا أن هذا سيحل المشكلة.

ولكنى اكتشفت أن المشكلة لم تحل، وبدأت الأسئلة تتزايد فى ذهنى خاصة عندما انتقلنا

إلى طنطا في عام ١٩٤٩، كنت في الابتدائية، وأثناء زياراتي لزميلاتي اكتشفت أنهم أغنياء أكثر منا ويملكون بيوتٌ جميلة وفيها نجف .. إلخ. فعدت وسألت أبي لماذا لا يوجد لدينا نجف، ولماذا أنت لست الملك؟.

فقال لي أبي : أنت لو استمريتي في طرح هذه الأسئلة، سيقولون عليك شيوعية، وسوف تحبسي. وخزنت الكلمة في رأسي وخفت أن أسأله عن معناها.

وعندما انتقلت إلى أولى ثانوي، سألت مدرسة المواد الاجتماعية : ماذا تعني شيوعية، فارتبكت المدرسة وخافت وتركتني مما أثار فضولي أكثر.

كنت أحب التطريز وشغلت شنطة وحزام عام ١٩٥٤، وبالصدفة ذهبت لكي أجلدهم في أحد المحلات فوجدت المحل مغلقاً، وعندما سألت عن سبب غلقه، قالوا لي إن صاحبه شيوعي ومحبوس، وهذا جعلني أراقب هذا المحل حتى خرج صاحبه من السجن عام ١٩٥٥، وذهبت إليه وأنا خالية الذهن تماماً، وقلت له مباشرة : ما هي الشيوعية، فلم يرد عليّ وافتكرني من المباحث. وكان هذا الشخص هو "جابر عوارة" .

ثم عُينت مدرسة تربية فنية ابتدائي في الدلجمون (تبعد عن طنطا بـ ١٥كم) بعد تخرجي من المعهد الفني عام ١٩٥٦ مباشرة.

عندما جاءت انتخابات ١٩٥٧ والاستفتاء عليها، كنت أريد أن أحصل على إجازة وبما أنني كنت "معينة جديد" فكان هذا ممنوعاً، وأثناء ذلك زارنا ابن عمتي من كفر الشيخ – وكان شخصاً مثقفاً جداً ويكره الشيوعية. وقال لي إنه يمكن أن يحل مشكلة الإجازة لو ذهبت معه إلى دكتور الصحة بكفر الشيخ فهو يعرفه وسوف يعطيني شهادة مرضية، وبالصدفة عندما ذهبت إلى كفر الشيخ قابلت صديقه "توفيق خليل" أثناء زيارته له وكان شيوعياً. وفتح حواراً معي وبدأنا نتناقش، ووجدني جاهزة تماماً، وسألني عن موعد رجوعي إلى طنطا، واتفقنا أن نسافر معاً وسلمني إلى مجموعة طنطا.

وبدأت أطرح كل الأسئلة التي كانت تدور في ذهني، وكنت سعيدة جداً لأنني وصلت إلى ما كنت أبحث عنه منذ أكثر من سبع سنوات.

وأعطوني أولاً كتاب "مائة سؤال وجواب" وتوالت القراءات ثم وضعوني في خلية صغيرة، وقابلت عريان نصيف مرة في خلية، وكان هو والمرحوم محمد مراد مسئولي التنظيمي. ثم قابلت جابر عوارة مرة أخرى أثناء حضوري مؤتمراً في المحلة الكبرى.

وكانت الخلية عبارة عن أربعة أفراد. وفى البداية بدأوا يعرفوننا على الماركسية، وبعد قراءة "مائة سؤال" أخذت كتاب "رأس المال" ولم أفهم منه شيئًا، وكنت محرجة أن أقول ذلك، وحاولت أن أقرأه مرة أخرى ولكن لم أفهمه فتركته، ثم قرأت المادية الجدلية. وناقشتها معهم، وبعض الكتب الأخرى والنشرات ك (الانتصار) والمنشورات.

هكذا وجدت نفسي فى تنظيم اسمه الحزب الشيوعي المصرى (التكتل)، ولم أكن أعرف أن اسمنا التكتل إلا عندما اعتقلت عام ١٩٥٩، وأن هناك تنظيماً آخر اسمه (حدتو) ولم أفهم أكثر من ذلك. وكنت أسمع هجوماً شديداً على المنظمات الأخرى مثل م. ش. م والراية وعمال وفلاحين، ولكن لم أكن أتكلم خوفاً من حدوث أى حساسية طالما لا أعرف الخلفيات.

وبدأتُ - كما ذكرت - حياتى العملية، وحاولت أن أوظف الفن فى خدمة الغلابة، وبدأت أعلمهم صناعات يدوية كعمل فطائر، شغل مناديل بقويه. وعمل مقاطف (بعد أن ذهبت إلى صانع مقاطف وتعلمت منه)، وقفص للفراخ، وبدأنا نبيع كل هذا فى المدرسة والقرية، وكنت أخيط ملابس وأبيعها وأرسل معظم حصيلتها للتنظيم. كما بدأت أعلمهم كيف نعمل مجلة حائط كنشاط ثقافى فى المدرسة، وعملت فصلاً لمحو الأمية، ولكن الرجال رفضوا تماماً. كل ذلك وأنا غير مدركة خطورة هذا الظهور. فالتنظيم لم يفهمني ما كان يجب أن أعمله، وكيف أتصرف حتى لا يكشف أمرى للمباحث. فأنا كنت كالقطار أعمل ما أراه مناسباً، وكان التنظيم يعرف عنى هذا.

وأتذكر فى هذه الفترة أيضاً أنى بدأت ألف على المقاهى لجمع توقيعات لمناصرة جميلة أبو حريد، واكتب على الحوائط. كل ذلك بانطلاقة غير مسئولة.

وعندما كانت تحدث مؤتمرات فى طنطا كانوا يقدمونني لكى أتكلم، وفى البداية كان الكلام غير مصقول، ثم أصبح بالخبرة مصقولاً. وأصبح لي علاقات بمعظم الناس الفقراء من حولنا (السكرى - صاحب عصير القصب..)

وحضرت مؤتمراً كبيراً عام ١٩٥٨ للشعوب الأسيوية الأفريقية، حضره مشاركون من كل أنحاء العالم عقد فى جامعة القاهرة، وكان معى م. سعد بطرس الطويل.

•• مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة والفلاحين :

هذه القضية كانت بالنسبة لى مأساة، فعندما كنت أدرس فى القرية حاولت جاهدة وبشكل عشوائى أن أجذب الناس لهذه الأفكار بطريقة غير مباشرة.

أما على مستوى التنظيم فالارتباط كان ضعيفًا جداً، وكان اهتمامهم يتركز أكثر حول الصراع الأيديولوجي والتحليل الخارجي للبلاد الأجنبية. وفي كل اجتماع كنت أطالب بضرورة الارتباط والعمل وسط الجماهير، حتى ولو بطريقة غير مباشرة، فالناس لا تعرفنا، ونحن لا نهتم إلا بالكلام والكتابة والنشرات، والشعب المصري لا يحب أن يقرأ. والكلام الكبير غير مفهوم وسط شعب نسيجه ديني - كما كنت أقول لعريان نصيف - سوف يؤدى هذا إلى توليد كوارث من الجماعات الإسلامية، فنحن لم ندخل وسط الكنيسة أو الجامع، كل ما قمنا به هو تجنيد عدد قليل جداً من الناس للتنظيم. ولم نستخدم آلية معينة بحيث يعرف العامل والفلاح أن هؤلاء الناس يعملون لمصلحته. وبالتالى حدثت فجوة شديدة جداً رغم التضحيات الضخمة التى قدمها الحزب الشيوعى المصرى على مختلف اتجاهاته. وهذا ما يحزننى فالحصيلة طبعًا ليست صفراً ولكن قليلة.

كما لا أتذكر أني قرأت أى محاولات لدراسة الواقع المصرى، ففكرة الاقتراب من الحارة المصرية والشارع المصرى كانت معدومة.

•• تجربة السجن / والإضراب :

تم القبض عليّ وأخذونى إلى القسم فى طنطا، وكنت أنا السيدة الوحيدة التى وضعوا فى أيديها الحديد، ولم أكن أعرف القوانين لكي اعترض، وشحنونى إلى مصر مع الرجال المقبوض عليهم من منطقة الغربية في عربية السجن.

ولم يكن أهلى بالطبع يعلمون عني أى شئ، ففوجئوا بالقبض عليّ، وعن طريق أخى جاء أبى لزيارتى عند المأمور وكانت الزيارة ممنوعة، لذا مررت فقط من أمامه.

وأتذكر أنهم عاقبوا أخى بنقله من الإسكندرية إلى مركز أبو ضشت، وحضر المعارك التى كانت تدور بين البوارة والفلاحين كعقاب له، كما حاولوا الضغط عليه وتهديده إذ لم يساعدهم فى القبض على الهاربين من يناير ١٩٥٩، واستدعوا والدي ويهدلوه، كما فعلوا مع والد عريان.

وكان رئيس المباحث اسمه "أنور منصور" حاول أن يقص شعرى فشوهه، وأحضروا كرباج

وبدأوا يلوحون به .. كتهديد. واتهمونى بأننى كنت أساعد الزملاء الهاربين من قبضة يناير.

(بالطبع كان لدى دور فى مساعدتهم، حيث كنت أتخفى وأقابل بعض الزملاء وأتذكر بعض الحيل التى قمت بها عندما كنت أشعر بأنى مراقبة، فمثلاً عندما نظرت من البلكونة ذات مرة ووجدتهم، طلبت من أختى وكانت تشبهنى، إلا أنها سمراء، أن تلبس البالطو الخاص بى وتنزل قبلى وانتظرت حتى وجدتهم يمشون وراءها ثم نزلت وأديت المهمة المطلوبة منى).

وعندما أصبت بالحمة المالطية، انتقلت إلى مستشفى إمبابة ومكثت فيها ستة شهور. وأثناء وجودى فى المستشفى كان يأتى أبى لزيارتى ويرسل لى فلوس. وكانت تزورنى أيضاً أم سعاد بطرس وتحضر لى طعام، وعندما تحدد موعد خروجى أحضرت لى كتبًا ومنشورات وفلوسًا، واستطعت أن أخبئها بذكاء، حيث طلبت من رجل البوفيه صندوق كرتون وطلبت منه الصور المرسوم عليها شريب الشاى، ولصقت المنشورات تحتها. لأنهم كانوا متشددين جداً، ويفتشون حتى ثنية الفستان. وكنا أحياناً نضع لهم «فلوس» فيها لنصرف نظرهم.

ثم انتقلت إلى السجن نصف ساعة، وقالوا لى إفراج، وذهبت إلى المباحث ووصلونى إلى البيت فى طنطا. وكان هذا فى ٢٤ يوليو ١٩٦٠، خرجت أنا ومحسنة وبنت كانت اسمها زينب كان عمرها ١٧ سنة.

وعندما خرجت من السجن قرأت إعلان عن وظيفة مصممة ملابس لشركة نسيج القاهرة للمنسوجات الحرارية، وقدمت فيها ونجحت، وانتقلت إلى القاهرة وعشت فى شبرا مع قريبة والدى.

وكنت بالطبع على اتصال بالزملاء داخل سجن أبو زعبل، وكانوا يرسلون لى تقارير على ورق السجاير أو أى ورق – كلما أمكن ذلك – مع عسكرى، وقمت بتجميع كل هذه الأوراق فى ظرف وأرسلته مع بقال بجوارنا–بدون أن يعلم ما بداخله – عندما عرفت أنه يسافر إلى لبنان لشراء الجبنة – إلى جريدة لأنوار بلبنان، كما قال لى عبد المنعم شتلة، وكانت تصلنى الجريدة بعد نشر هذه الأوراق فيها، ثم أرسلها لهم فى السجن مع العسكرى الذى يحضر لى تقارير أخرى. ومن هذه الأوراق ما ذكر أثناء القبض علىّ أنا ومحمد عثمان. وقد لفت نشر هذا الخبر فى الجريدة نظرهم إلىّ، وتم القبض عليّ بعدها من عند أقاربى.

وبالرغم من أن الغرفة التى كنت أعيش فيها كانت ملغمة بالمنشورات، إلا أننى كنت أأمنها بشكل جيد، فمثلاً ورق البفرة كنت أضعه تحت لوح الخشب الذى يربط فيه حبال الغسيل.

ودبسه بدبابيس، وبالتالي لم يستطيعوا أن يمكسوا أي أوراق معي.

وبالمناسبة لم يقم التنظيم بأي تدريب لنا على عملية التأمين هذه، أو ما الذي نقوله عندما يتم القبض علينا. فقد كان كل فرد يتصرف بذكائه هو، لدرجة أن الناس عندما كان يتم القبض عليهم ويقول البوليس لهم إننا وجدنا معكم ستة منشورات يقولون لهم: لأ ستة عشر منشوراً. ويهمني أن أذكر مره أخرى أنني لم أكن مصقولة، فالمسألة كنت أعملها بعواطف شديدة، وكما يطلب مني.

وتم القبض علي المرة الثانية تقريباً في أبريل ١٩٦١، وسجنت ١٢ شهراً(قضية تحت التحقيق). وبالتأكيد لم يعد أبي يزورني أو يرسل لي فلوساً، لأني كررت الغلطة من وجهة نظره.

وأثناء هذه الحبسة قمنا **بالإضراب.**

وأنا دخلت أسبوع واحد فقط في تجربة الإضراب لأني كنت تحت التحقيق، وجميع النساء تحملتها بكل قوة، وجاء هذا الإضراب نتيجة سماعنا في الراديو عن الحديث الذي قام به كارانجيا الهندي مع عبد الناصر، وعندما سأله عن وجود معتقلين في مصر، أجابه عبد الناصر بالنفي، فانفجرنا وذهب بعضنا إلى المأمور (حسن الكردي) وكان إنساناً معنا وحاول أن يهدأنا، ولكن نحن تمادينا ودخلنا حجرة الصهارة فحشرنا أنفسنا جميعاً فيها، وأتذكر «أسماء حليم» كانت حاملاً وطلبت منها أن تقف ورائي لحمايتها، وجاء عباس قطب بعد أن استدعاه حسن الكردي— وكان رجلاً فظيعاً- بفرقة عسكرية، وحاول إرهابنا بتصويب السلاح علينا، إلا أننا ضحكنا، فاستفزهنا وأمر بنزول مسجونات الحشيش والسوابق لضربنا، وبالفعل سحلونا في الحوش. وأنا أول من جررت فشعرت أن أيدي حديد تمسكني كان يوماً فظيعاً، وعندما عدنا إلى الزنزانة بدأنا نغني معاً :

«علشان بنحب الشعب بيدونا المعتقلات

من الطور للهايكستب للقناطر والواحات

علشان بحبك يا بلادي بروحي وبدمي بفادي

نروح سجون كله يهون

في سبيل الشعب نكافح

مهما نلاقي من الصعوبات

علشان بنحب الشعب بيدونا المعقلات»

ثم أحضروا لنا سجانة اسمها أم عفيفي كانت بشعة، فألفنا لها أغنية (يا أم عفيفي بالي .. يا وش البوم بالي.. كان قدمك شوم بالي .. امتى تفرقينا يالي..)

كما أحضروا لنا مأموراً آخر اسمه عبد القادر، وكان يقوم بتفتيش المكان كل نصف ساعة تقريباً. فكنا نبذل مجهوداً كبيراً في البحث عن حيل لتخبئة الممنوعات، فمثلاً كانت معنا «ليلى شعيب» بنت هادئة مثل الملاك وعظيمة جداً وكانت مريضة، فاتفقنا أن تنام على السرير ونضع تحتها كل الممنوعات، وعندما يأتون للتفتيش نحملها بالملاءة ونترك لهم السرير لكي يفتشوه. أتذكر مرة وضعتها في الشراب ولبسته، وطبعاً كانت بعض هذه الحيل تكتشف ويأخذوا منا كل الممنوعات.

ولابد من الإشارة إلى أنه كانت هناك بعض المواقف الإنسانية من بعض الضباط تجاهنا، فمثلاً أثناء التحقيق معنا في النيابة ونحن في العودة أنا وثريا شاكر، طلبنا من الضابط أن نشترى بعض الأشياء من الشارع ووافق، وبعض الزميلات أيضاً أثناء التحقيق معها طلبت أن تزور أهلها فوافق.

وأثناء حجزى في قسم الضاهر، كنت أعامل معاملة خاصة. عندما عرفوا أن أخى «ضابط» وكانوا يحضروا لى الجرائد، وقال لى المأمور إننا كلنا معك، ولكن إذا طُلب منك أن تكتبي ورقة بأنك لن تعملي في السياسة اكتبيها من أجل أهلك .. إلخ. واستمروا في إرسالي كل يوم إلى المباحث لمدة عشرة أيام، ولكن لم يطلبوا منى شيئاً. حتى أفرجوا عنى وأعطاني الضابط (البهي) بعض النقود الفضة لكي أسافر بها إلى طنطا، إلا أنني رفضت أن آخذها ورميتها، وأعتقد أن هذا العمل من الأسباب التي جعلتهم ينتقموا منى بعد ذلك.

أما المرة الثالثة والأخيرة فكانت في ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٦٢، وقد حاولوا أن يقبضوا عليّ متلبسة بأي أوراق أو منشورات، فقد اتصل بي شخص وقال لي إنه من طرف عبد المنعم شتلة، وأنه يرسل لي بعض الأشياء، ويريد نقوداً. وأنا كنت في هذا الوقت في الشركة. فاستشعرت أنه مباحث، ولكن كون الزملاء يريدون نقود جعلتني أتحرك، وقابلته أمام أمريكين سليمان باشا، وأعطاني ورقاً، وأثناء مروري من أمام الحديقة، شعرت بشيء غير طبيعي، فرميت الورق فوراً، وتم القبض عليّ في الشارع، وكانت هذه القضية مع سبعة

أفراد منهم عبد المحسن شاشة وحسن بيومى .. إلخ، وكان مقبوضاً على أم نسيم وأم العطار فى غرفة مجاورة لى، وتعرفت عليهما من خلال كلامهما.

وكانت حبسة انتقامية استمرت ٧٠ يوماً، ووضعونى فى عنبر الحشاشين عنبر كبير جداً ومملوء بالحشرات، ورفضوا أن يعطونى أى وسيلة لتنظيف المكان، وخرجت أثناء زيارة خروتشوف لمصر.

•• قضية الثورة الاشتراكية :

أثيرت هذه القضية فى مناقشتنا، وكان من رأينا أنها ستتم على مرحلتين، المرحلة الاشتراكية ثم الانتقال بزيادة الإنتاج والوفرة إلى المرحلة الشيوعية. وناقشنا كيف ستكون مشاكل الفن والأدب فى المرحلة الشيوعية عندما نصل إليها. فقيل إنه لا يوجد شئ يخلو من المشاكل، ولم تكن هناك إجابة محددة، وقيل إن هذه المرحلة أيضاً لن تخلو من العثرات والتناقضات، ويمكن أن يتشكل فن وأدب جديدان طبقاً للمرحلة.

•• دور المحترفين فى التنظيم :

تقييمى لدور المحترفين أنهم أناس تعذبوا كثيراً وتشردوا وعملوا أقصى ما يمكن عمله. وهذا لا يقاس بالأخطاء البسيطة التى كانت نتيجة للسرية، وتحملوا الجزء الأكبر من الدفاع السياسى والسجن والتشريد والضرب. فالمحترفون هم الجبل الذى يشد والقوة التى تدفع، ولا أحد ينكر ذلك، التنظيم كان يوفر لهم معيشة إلى حد كبير.

•• الموقف من وحدة ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها :

كنت سعيدة جداً عند إعلان الوحدة، وكنت أتصور أنها ستساعد فى تقوية جبهتنا.

وقبل الوحدة بدأ كل فريق يشرح لى رأيه فى الوحدة باستفاضة، وكان على أن أختار، فقابلت كلا الطرفين (عريان نصيف، عبد المنعم شتلة). وكإنسانة ليست لديها تجارب، ومحصورة فى طنطا فقط، وما زلت حديثة وغير مصقولة، وضعونى فى التكتل ولم أعرف،

واكتشفت بعد ذلك أنهم أثناء التجهيز للوحدة، كان التنظيم الشاطر هو الذى يقدم أسماء أكثر لكى يأخذ نسبة كراسى أكبر. وهذا ما أدى إلى فشلها سريعاً. وبنفس طريقة التلاعب التى تمت بها الوحدة حدث الانقسام. وقام كل فرد بالاستيلاء على ما وجده تحت يده سواء مال أو الأجهزة الفنية (لقد سمعت أن فؤاد حبشى سرق الجهاز الفنى لأنه هو الذى كانت لديه المطبعة).

•• الموقف من قضية اليهود والأجانب :

كانت هناك مناقشات وصراعات فهناك شق يقول إن اليهود يجب أن ينتهوا من الحزب، وشق يقول إن الدعوة أممية وليست عنصرية، وأننا يجب أن نقبل أى أحد موجود طالما يوافق على اللائحة والبرنامج ومخلص .. إلخ. وإلا ماهو الفرق بيننا وبين الآخرين بالنسبة لليهود أو الأفغان.

بالنسبة لى كان معنا بعض اليهود داخل المعتقل فى عام ١٩٥٩، ولم أقاطع داخل المعتقل غير مارسيل ميرو الجاسوسة الإسرائيلية، وميرى بابا دبلو لأنها كانت صديقة حميمة جداً لها. وهى لم تكمل مدة السجن لأنهم بدلوها بخمسين ضابطًا. وذهبت لإسرائيل وأخذت منصب، وأنا شخصياً كنت ضد اليهود.

وبالرغم من رحيل اليهود عن مصر كانت توجد مجموعة فرنسا، وكان يتم الاتصال بهم عن طريق سعد كامل .

•• الموقف من القضية الفلسطينية :

بالنسبة للقضية الفلسطينية، لم تكن هناك مناقشة للقضية داخل اجتماعاتنا، ولكن المسائل كانت مكتوبة فى المنشورات.

وبالنسبة لقرار التقسيم عام ١٩٤٧ أعرف أن (حدتو) قد وافقت عليه وقيل عنهم : إنهم خونة.

أما عن رأيى الشخصى كنت أوافق على قرار التقسيم فى وقتها على أساس أن الغلبة ستكون للفلسطنيين. بالرغم من أنى كنت صغيرة. إلا أننى كنت أتابع.

•• الموقف من النضال المسلح ١٩٥١ :

كنت مازلت في المدرسة بطنطا، وقمنا بمظاهرة فى طابور المدرسة، وصعدت إلى الناظرة وقلت لها إننا لسنا أقل من الرجال، ولابد أن نفعل شيئاً. فأخذتني إلى المكتب، وحاولت أن تقنعنى بأننى عندما أكون ربة منزل وأربى أولادى بشكل جيد فإن هذا يعتبر عملاً وطنياً.

•• حركة أنصار السلام :

كنت أتصور أنها بعيدة عن الشيوعيين، وأنها مجرد عمل جيد يقوم به مجموعة عادية ليست ذات اتجاه، وسط الغبار الموجود فى الدنيا، ولكن عرفت بعد ذلك أنها مرتبطة بالتقدميين.

•• الموقف من سلطة يوليو :

بالطبع عندما سمعت خبر إعلان الثورة عام ١٩٥٢، كان هذا مفرحاً جداً بالنسبة لي، وكذلك عندما ألغوا الباشوية. إلا أننى كنت أراهم مجموعة برجوازية صغيرة، وعلى الرغم مما قامت به من أعمال قيمة كتأميم القناة، وتمصير الشركات، وقوانين الإصلاح الزراعى. كنت سعيدة جداً بتحقيقها، وكنت أتصور أن الشعب المصرى سيهنأ فى يوم ما بحاجته، إلا أنها ضربت الشيوعيين ولم تصل إلى شئ؛ وهذا ليس بمستغرب لأن نسيجهم كما قلت نسيج برجوازي، وليست لديهم آلية أو ثقافة أو مقدرة على العطاء أكثر من ذلك.

وقد قامت ببعض الأعمال الشنيعة مثل أحداث كفر الدوار (إعدام خميس والبقرى) وكلنا كنا ضد هذه الأحداث. ولا أنكر أنه كان داخل مجلس الثورة مجموعة ضد هذه الأعمال كيوسف صديق وخالد محيي الدين وعبد الناصر.

وعبد الناصر لم يكن أبداً خائناً أو عميلاً حتى وإن أثبت التاريخ أنه كان على علاقة بالمخابرات الأمريكية سواء قبل الثورة أو بعدها، وقد قام بشراء صفقة الأسلحة التشيكية كنوع من التصرف الذكى.

•• الموقف من ضرب الإخوان المسلمين :

هذا السؤال يذكرني بموقف حدث لى أثناء دراستى فى الثانوية تقريباً عام ١٩٥١-١٩٥٢، حيث دعتنى زميلتى سعاد رمضان (وكانت أخت سعيد رمضان أحد قادة الاخوان) إلى اجتماع لحزبهم، وكان المكان فوق سينما مصر، فذهبت معها وجلست معنا السيدة وفاء زوجة سعيد رمضان وهى ابنة حسن الهضيبى، وبدأت توعظنى وتريني بعض الصور لأناس أسلموا، ثم بدأ الواعظ يلقى خطبته وفى نهايتها طلب منا أنه لا يجب التعامل إلا مع المسلمين، فمثلاً إذا أحد مرض فعليه أن يذهب إلى طبيب مسلم .. وهكذا.

ومن يومها عرفت اتجاه هؤلاء الناس ومن هم الإخوان المسلمين، لذا كنت أوافق عبد الناصر على ضربهم.

•• العدوان الثلاثى :

عندما انتهى العدوان الثلاثى وانتصرنا، قيل إننا انتصرنا بقوة ربنا وقوتنا، وأنكروا تماماً عملية الإنذار لروسى، وقد حاولت أن أشرح للناس، إلا أننى اكتشفت بالخبرة والتجربة أن كلمة الحكومة قوية جداً حتى لو كذب.

وأتذكر أن أخى عندما كان مسئولاً عن معسكر فى طنطا، أعطى مفتاح المعسكر لعريان نصيف وطلب منه أن يقوم بعمل التدريبات التى يريدها وعريان يتذكر هذا

•• الوحدة مع سوريا :

كنت ضد هذه الوحدة، لأن سوريا كان لديها حزب شيوعى قوى، والحياة الاقتصادية إلى حد ما أفضل من مصر، كما أن العادات والتقاليد والآلية وتاريخهم بشكل عام مختلف عن تاريخنا، لذا كنت أتوقع أنها لن تستمر، وقلت ذلك لبعض الأصدقاء من حولى، ولكن لم يصدقونى، لأن الدعاية كانت رهيبة والأغانى مستمرة طوال الوقت ..

•• علاقتنا بالاتحاد السوفيتى :

لم يكن فى استطاعة أحد الاقتراب من أى نص من النصوص، وأتذكر فى مناقشة داخل السجن ذات مرة، أننى شتمت لينين باعتبار أن كلامه ليس بقرآن أو انجيل، وتمت مقاطعتى

ن كل المنبر. وكنت ضد أن يساعدنا الاتحاد السوفيتي، لأن نبض الشارع المصرى كان يكرهه، وقد ساعدت الصحف على هذا، ومنها جريدة الأخبار التى لعبت دوراً مهماً فى الهجوم عليه من خلال مقالات حسنين هيكل فى عز مساعدته لمصر، ولم يدرس الاتحاد السوفيتى هذا بعمق لكى يوظفه أو يساوم عليه أو يضع شروطاً. ولكن كان يعطى فقط. أما الحزب الشيوعى المصرى فكان سعيداً جداً بهذه العلاقة ولم يدرسها أيضاً بعمق، فهو كان تجربة رائدة لنا. بل كان هناك من يرى أن ما يقوله الاتحاد السوفيتى هو قاعدة مسلمة، حتى ما يقوله سكرتير الحزب الشيوعى الإيطالى فهو قاعدة مُسلم بها أيضاً.

•• حل التنظيمات لنفسها :

رأيى الشخصى فى الحل أن الزملاء تعبت جداً داخل السجون والمعتقلات، فقد كان هناك تحطيم لشخصياتهم ببطء، وساعد على هذا إقامتهم مدداً طويلة فى ظل ظروف صعبة بشدة، بالإضافة إلى الصراعات الطاحنة فيما بينهم - كما سمعت من معظمهم - لدرجة وصولها إلى العداء الشخصى، وبالتالى لم يكن فى استطاعة هذه التنظيمات الاستمرار بهذا الشكل. ولذا بدأت المشاورات بين الرفاق الذين كانوا خارج السجن كـ (أحمد الرفاعى) وبعض القادة بالداخل.

ولكن هذا لا يبرر حزنى الشديد على الحل، خاصة أنهم لم يأخذوا رأينا. بل أخذوا رأى الكبار فقط، وعملوا اجتماعاً، ومضوا على قرار الحل، وقد حاول زوجى أن يتنصل، وقبل أنه هرب من الاجتماع ولكنه مضى فى النهاية.

•• أسباب الطابع الانقسامى :

الزعمة، والصراع على الكرسى، وليس حباً فى الشعب المصرى، ولم يتغير هذا حتى الآن. مما أدى إلى الإحباط من فعل أى شئ وتفريغ البشر من مضمونها.

ولكن هذا ليس معناه الندم، فلست نادمة نهائياً، بل لو عاد الزمان بى سوف أكرر التجربة.

وفى النهاية أريد أن أؤكد على أن هناك العديد من الضحايا لهذا التاريخ مثل : فريد حداد، ومحمد عثمان الذى مات فى مباحث طنط، وغيرهم الكثير .. عفواً لا أتذكرهم جميعهم.

كما يوجد رفاق عديدون رحلوا قبل أن يتم التوثيق لتاريخهم مثل فؤاد حبشي، أم عريان نصيف (كانت عضوة في الحزب، ووقفت ضد المباحث بشكل خطير)، أم محمد عثمان، أم نسيم، وأم العطار، وأتذكر إنجي أفلاطون تلك الشخصية التي استطاعت برغم تربيتها الأرستقراطية أن تعيش معنا دون أن تشعرنا بأي فرق، وتقبلت رداءة المعيشة داخل السجن بكل قوة وصلابة، وأثناء حبستي تحت التحقيق كان مسموحاً لي بالزيارة والطعام، واستغل أهل إنجي ذلك وكانوا يرسلون إليها الطعام باسمي، وقد كان مأمور السجن يعلم بكل هذا ويسكت (حسن الكردي) وهذا الشخص يجب أن يؤرخ له لأنه وقف معنا في الإضراب كما ذكرت.

وهناك من الزميلات اللاتي لا يزلن أحياء، ويمكن الحصول على شهادتهن مثل : إيزيس زوجة عريان نصيف، وربحية الساعي، وزوجة فؤاد حداد، وإجلال السحيمي، وزينب وسيدة، وعايدة بدر.

ملحوظة : لم أعط شهادتي من قبل إلا للدكتور. فخري لبيب أثناء دراسته عن الفترة ما بين ١٩٥٨- ١٩٦٥.

شهادة

سامي عجيب

الاســـــــــم : سامي عجيب ميخائيل

تاريخ وموطن الميلاد : ١٩٢٩/١٢/١١ مركز أبو تيج محافظة أسيوط

المؤهــــلات : بكالوريوس علوم - جامعة القاهرة - دور نوفمبر ١٩٦٤

المهـــنـــة : مدرس علوم، وعضو فنى لمدة ٩ شهور

ثم بعد ذلك بالشركة العامة للتجارة والكيماويات (قطاع عام - تجارة خارجية) حتى خروجى للمعاش فى ديسمبر ١٩٨٩ .

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢١ عاماً

فترة السجن والاعتقال :

عتقال حوالى ٤٥ يومًا فى أعقاب حريق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢م.

- هروب لعدة شهور خلال فترة اعتقالات الثانوية العسكرية ١٩٥٣

- اعتقال وسجن حوالى خمس سنوات من شهر سبتمبر ١٩٥٩ حتى شهر مايو ١٩٦٤ .

بيانــات شخصــية : أنا من أسرة متوسطة الحال. والدى لم يكن موظفًا ورث عن والده بعض الأرض المحدودة، باعها واشترى سيارة بعد سيارة لاستخدامها فى النقل بين بلدتنا أبو تيج والقرى المجاورة. ثم بعد ذلك كان مالكًا لمقهى بشارع المحطة ثم أخيراً وكيلاً لشركة مصر للتأمين بأبو تيج.

كان والدى يكسب كثيراً ويصرف كل ما يكسبه ويعيش معيشه أثرياء البلدة.

وكان لوالدى ميزات طيبة كثيرة - تأثرت بها تمامًا. كانت له علاقات اجتماعية واسعة، وكان شخصية محبوبة شجاعة وقوية ومهابة، وكان شديداً فى تربيتى رغم أننى ابنه الوحيد مع شقيقة، وعلمنى أن أكون صادقًا - إذ أنه رغم شدته كان لا يعاقبنى طالما كنت صادقًا مهما كان الخطأ الذي وقعت فيه.

توفى وهو فى الخمسين بحمى التيفود، نتيجة تخلف العلاج فى بلادنا. وقد أثر ذلك فىّ كثيراً

•• التعرف على الفكر الماركسى :

كانت بدايه التعرف على الفكر الماركسى من بعض الأصدقاء الطلبة الذين سبقونى فى الدراسة وذلك عند عودتهم من القاهرة فى الإجازة الصيفية، حيث كانوا يتكلمون عن الافكار اليسارية فى الجامعة، وعن المنظمات الشيوعية، لكنهم لم يكونوا على علم كافٍ بهذه المبادئ؛ لانهم لم يكونوا أعضاء فى أى منظمة، إلى أن دخلت الجامعة فى العام الدراسى ١٩٤٨ - ١٩٤٩، حيث توقفت الدراسة عدة مرات بعد اغتيال رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى، ثم مقتل الشيخ حسن البنا، وكان قبلها تم اعتقال العديد من الشيوعيين، ثم بعد ذلك الإخوان المسلمين.

فى نهاية عام ١٩٥٠، طلب منى أحد الزملاء من بلدياتى وكان عضواً بمنظمة النجم الاحمر، وهو الزميل معين مينا (المحامى حاليًا) إستضافة أحد الزملاء الهاربين فى مسكنى وكان هذا الزميل هو المرحوم عدلى جرجس.

ومنذ لحظة وصوله بسكنى، بدأت أناقشه فى كل المسائل السياسية الجارية، ورأى منظمة النجم الأحمر فيها، كما تعرض بالهجوم على حدتو، وأذكر أنه لم يتعرض فى هذا التوقيت لمنظمة د.ش، واعتبرها أقرب المنظمات للنجم الأحمر.

وكانت النتيجة إقناعى بما أمكن عرضه من الفكر الماركسى، كما اقتنع أيضًا زميل آخر كان يسكن معى فى الشقة نفسها هو الزميل فكرى تادرس، وتم انضمامنا معًا لمنظمة النجم الأحمر - وكنا معا بكلية العلوم. كما تعرفنا فى التوقيت نفسه، بالزميل جمال البراد الذى كان ايضاً عضواً بمنظمة النجم الأحمر.

•• ما قبل الانضمام للحركة الشيوعية :

عاصرت أحداث الحرب العالمية الثانية ١٩٢٩ - ١٩٤٥، وكنت أتابع أحداثها يوميًا من الجرائد، وكذلك الاستماع إلى محطة برلين ومذيعها الشهير «يونس بحرى»، وكذلك محطة لندن. ولفترة زمنية كنت معجبًا بقوة وتنظيم الجيش الألمانى الذى استولى على العديد من الدول الأوروبية فى أسابيع معدودة، لكن بعد ذلك تم انحيازى لجانب الحلفاء بعد التعرف على

بعض تصرفات الجيش الألماني الوحشية في البلدان التي يحتلها.

كما عاصرت مدى تأثر بلادنا بهذه الحرب، خصوصاً عندما كانت الأسكندرية والقاهرة تُضربان بالقنابل الألمانية كل يوم، بعد وصول جيوشهم لمنطقة العلمين. وكنت أذهب لمحطة القطار صباحاً، وأرى معاناة ومآسي المهجرين من الأسكندرية والقاهرة الذين تحملهم القطارات يومياً للاقامة عند الأقرب أو في أي مأوى بعيداً عن قنابل الألمان.

وفي هذه المرحلة من عمري (مرحله الابتدائيه وبدايه لمرحله الثانويه) استفزتني كثيراً أعمال القتل لأتفه الأسباب، وعادة الثأر في الأرياف المحيطة. كما أثارني جداً مدى سطوة وجبروت كبار ملاك الأرض والعمد والمشايخ في هذه الأرياف، الذين كانوا يستولون على أراضي ومنازل الفقراء وصغار الملاك بالقوة وبدون مقابل أو بثمن بخس.

ولا أنسى في الصيف عندما يأتي فيضان النيل، ويكون موسم جني القطن، وتأتي عربات النقل لتحمل الناس من الشارع بالقوة لجني القطن لكبار الملاك وأصحاب النفوذ بالسخرة. أما زراعات صغار الملاك فكانت تتعرض في أحيان كثيره للغرق.

وكان مركز أبو تيج وكذلك مركز صدفا المجاور يقعان تحت نفوذ حزب الأحرار الدستوريين، لأن محمد محمود باشا زعيم حزب الأحرار الدستوريين من بلدة ساحل سليم والتي يفصلها عن بلدتي (أبوتيج) نهر النيل.

وفي انتخابات عام ١٩٥٠ فاز مرشحو حزب الوفد في دوائر أبو تيج وصدفا والغنايم، وسقط مرشحو حزب الأحرار الدستوريين التقليديين في هذه الدوائر وكان ذلك بداية تعاطفي مع حزب الوفد.

وفي العام نفسه، وكنت طالباً بالسنة الثانية بكلية العلوم، انضممت إلى مجموعة حزب الوفد بالكلية، وشاركت في كل اجتماعاتها حتى انضمامي لمنظمة النجم الأحمر في نهاية هذا العام.

•• المستويات التنظيمية التي اشتركت فيها :

بقيت في منظمة النجم الأحمر لمده عامين تقريباً – لكن رغم عضويتي لم أكن عضواً

بمجموعة، بل كانت الاتصالات فردية، الأمر الذى جعلنى أشعر بعدم وجود تنظيم حقيقى. وفى هذه الفترة كان الزميل جمال البراد قد اختلف مع النجم الأحمر بسبب توزيعه بيان كان الزميل الشهيد شهدى عطية أرسله من السجن، وترك منظمة النجم الأحمر وانضم لمنظمة طليعة العمال.

بعدها دعانى الزميل جمال البراد وأقنعنى بالانضمام لمنظمة طليعة العمال، وفعلاً تم ترشيحى للعضوية لمدة عام تقريبًا بعدها أصبحت عضواً بالمنظمة، وكان معى فى المجموعة زميل آخر من كلية العلوم أيضًا وزميل آخر لم يستمر طويلاً هو يعقوب الشارونى، وكان المسئول الزميل جمال البراد.

وكانت هذه الفترة ابتداءً من نهاية عام ١٩٥٠ بداية النشاط الحقيقى. فكنت مع الزميل جمال البراد نقوم بتوزيع المنشورات ليلاً بالجيزة وامبابة، بالإضافة إلى عمل جرائد الحائط بكلية الهندسة والعلوم وتوزيع المنشورات أيضًا داخل الجامعة، وحضور كل الندوات فى نقابة الصحفيين وغيرها، وكذلك فى رابطة الطلبة الأردنيين التى كانت تعج بالطلبة اليساريين. وفى حملة اعتقالات الثانوية العسكرية عام ١٩٥٣، هاجم البوليس منزلى عدة مرات، ولكننى كنت قد هربت، ولم يتم اعتقالى فى هذه الحملة.

وأذكر أننى فى هذه الفترة تمكنت من دخول الكلية من السور الجانبى عن طريق مصلحة البساتين الملاصقة للجامعة، وجمعت تبرعات من طلبة الكلية، وقمت بعمل منشور طبعته بمطبعة صديقة بالجيزة، وتم توزيع هذا المنشور فى كليات الهندسة والعلوم والآداب والحقوق بجامعة القاهرة وكلية الهندسة والحقوق بجامعة عين شمس (كان التوزيع غالبًا يتم بقذف المنشورات من الشبابيك العليا بالكليات والهروب بعد ذلك).

بعد ذلك تم تصعيدى لقسم الطلبة وكان المسئول هو الشهيد رشدى خليل -الذى تعلمت منه الكثير- ولكن بعد حوالى ٦ شهور صدر قرار بحل قسم الطلبة، على أساس أن هناك مظاهر للشللية بين أفراده.

ثم تم تكليف الزميل المرحوم عادل فهمى بإعاده تشكيل مكتب جديد للقسم، وكنت عضواً فيه وبعد ذلك تم انتخابى مسئولاً لقسم الطلبة وعضواً بمنطقة القاهرة التى كان مسئولها الزميل صفوت ياسين.

ولابد أن أذكر أنه عند دخولى كلية العلوم ١٩٤٩ (وكانت معروفة بالكلية الحمراء). لم ألاحظ وجود نشاط ملموس للشيوعية ولا للإخوان، لكنى علمت بعد ذلك بأن هذا الوضع نتيجة لحملات الاعتقال والسجن للشيوعيين ثم بعد ذلك للإخوان، وكذلك استبعاد المعيدين بالكلية، ومنهم الزملاء الشيوعيين عبد المعبود الجبيلي وعبد الرحمن الناصر وفاطمة زكي.

وفى انتخابات الاتحاد كان أحد الطلبة وهو المرحوم المأمون أبو شوشه وكان يتميز بنشاطه الأدبي - وليس له أى نشاط سيسي - يأتى يوم لانتخابات ويلقى خطبة أدبية يحصل بعدها على أصوات الطلبة.

ولكن بعد إطلاق سراح الإخوان، بدأ نفوذهم يقوى فى الجامعة، ومن ثم بدأوا يسيطرون على العديد من كليات الجامعة. قمنا بعمل جبهة بكلية لعلوم من الشيوعيين والاشتراكيين والمستقلين فى مواجهة المسلمين، ورشحنا الأخ عادل حسين (أمين عام حزب العمل حالياً) ولكن للأسف لم ينجح لقوة النفوذ الإخوانى بالكلية فى ذلك الوقت.

وفى الفترة من أوائل عام ١٩٥٤، واجهنا أحداث مارس، وإضراب عمال النقل (تحت قياده الصاوى/ وشريكه - للأسف لم أعد اتذكر اسم هذا الشريك) واشتركنا وقدنا مظاهرات الجامعة الداعية إلى عودة الجيش للثكنات، وعمل انتخابات ديمقراطية.

وفى هذه الفترة صدر قرار باعتقالي، فتركت مكان إقامتي، لكنني وبعض الزملاء كنا ندخل الجامعة من أسوار مصلحة البساتين لقيادة المظاهرات والخروج من الجامعة بالطريقة نفسها.

كما أننا - بعد ذلك - عارضنا اتفاقية الجلاء التى وقعها الرئيس عبد الناصر لوجود بند يعطى للقوات الإنجليزية الحق فى العوده فى حالة تعرض لمنطقة للخطر. كما عارضنا فى هذه الفترة اتفاقية النقطة ارابعة.

وبعد لتحول السياسى بعد مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥، وصفقة الأسلحة التشكيلية وبدايه سياسة احياد، وتعديل سياسة المنظمة إلى تأييد هذه المواقف، قام قسم الطلبة بعمل مظاهرة مهمة فى قاعة جامعة القاهرة عند قيام فرقة الرقص الشعبى الروسى بزياره مصر وعمل حفلة مسائية بقاعة الجامعة - هتفنا بحياة الصداقة السوفيتية المصرية، وقد ردد الشعارات أغلبية

الحضور. وكانت واجبات ومواقف قسم الطلبة تتمثل فى الآتى :

- وضع خط المنظمة السياسى فى التنفيذ عن طريق الخطب والمظاهرات بالجامعة ومجلات الحائط وفى الندوات المختلفة.

- الدفاع عن حق الطلبة فى الاشتغال بالسياسة داخل الجامعة والمدارس الثانوية والعمل على تكوين اتحاد عام للطلبة المصريين.

- إلغاء الحرس الجامعي لأنه يتجسس على الطلبة متعاوناً مع المباحث العامة.

- إلغاء نظام الترمات والاستمرار بنظام الدراسة على أساس العام الكامل حتى يتمكن الطلبة من المشاركة السيسية فى أحداث بلدهم، بالإضافة إلى متابعة الأنشطة الرياضية والثقافية والفنية.

- تخفيض أسعار الكتب الجامعية وأسعار الإقامة بالمدن الجامعية وزيادة عددها.

كما كان قسم الطلبة يساعد المنظمة باشتراكات الطلبة وتبرعاتهم، وفى الحملات الماليه بعمل الرحلات النيلية وغيرها التى تقدم بعض العون لمالية المنظمة.

لقد كان للمنظمة وجود قيادى قوى ومؤثر داخل كليات الهندسة والحقوق والآداب والطب والعلوم بجامعة القاهرة، وكذلك كليات الهندسة والحقوق والتجارة بجامعة عين شمس.

وخلال الفترة من عام ١٩٥١ حتى نهاية عام ١٩٥٥- كنت دائما أقضى جزءاً من الإجازة الصيفية، وإجازة نصف السنة، فى بلدتى أبو تيج، واستخدمت المقهى الذى ورثته عن والدى مكاناً لنشاطى ومقابلاتى.

وكانت بداية النشاط بجمع توقيعات نداء السلام، ومحاولات لتكوين لجنة سلام بالبلدة. ونتيجة لهذا تم القبض عليٌ فجر ٢٧ يناير ١٩٥٢ فى عقب حريق القاهرة (رغم وجودى أثناء هذه الأحداث بأبوتيج)، كما تم أيضاً القبض على بعض الذين بدأوا الارتباط بى، منهم الأستاذ بشرى بستان المحامى والسيد/ أحمد الملط من الأعيان، ورمزى زكى رئيس حسابات بنك التسليف الزراعى وطلعت أنيس الطالب بالثانوى.

وبعد يوم واحد تم الإفراج عنهم، ولم يفرج عنى وعن طلعت أنيس وبعض الأشقياء.

والخطرين على الأمن الذين أعجبهم فكرنا اليسارى. وبعد الإفراج عنا، بعد حوالى ٤٥ يوماً، كانوا يأتون لزيارتى فى المقهى مبدين استعدادهم لعمل أى شئ أطلبه.

بعد ذلك بدأت التزاور مع زملاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بساحل سليم، أذكر من بينهم الزملاء خليل، وعبد الرحمن، وأحمد السعيد، وأبو ضيف عبد الجليل- وبدأنا التنسيق لعمل لجان سلام بأبوتيج وساحل سليم (علاقة تغلب عليها علاقات الجوار والبلديات الصعيدية أكثر من القرب السياسى).

وفى عام ١٩٥٧ حين بدأنا التحضير للانتخابات النيابية سافرت لأبوتيج فى محاولة لترشيح أحد المتعاطفين معى وهو الزميل حسين جاءالله والذى كان شخصية عامة ومن أبطال رفع الأثقال وابن عصبية كبيرة هى رابطة الأشراف- وفعلاً سافرنا سوياً للقاهرة، حيث قابلنا زميلنا يوسف درويش الذى كان مشرفاً على العمل الجماهيرى الخاص بالانتخابات

لكن تقدم للانتخابات الأستاذ عبد الخالق عمرو، وهو من كبار رابطة الأشراف أيضاً، وبالتالى لم يتقدم الزميل حسين جادالله للترشيح، خاصة أن الاستاذ عبد الخالق عمرو وافق على أن يشمل برنامجه الانتخابى جزءاً من برنامجنا فى الانتخابات التى اشترك فيها بفعالية كبيرة، الزميل المرحوم أنور ابراهيم والزميل وليم زكى مع بقية الزملاء بالمنطقة.

وفى عام ١٩٥٦ تم تصعيدى وأصبحت مسئولاً لمنطقة القاهرة وأصبح مسئولى هو الزميل المرحوم أحمد صادق سعد.

وكانت المنطقة تضم قسم الطلبة وقسم الأحياء وقسم عمال يضم زملاء نقابة نسيج الظاهر ونقابة البوتاجاز ونقابة الأحذية وغيرها.

وبعد تأميم القناة والعدوان الثلاثى وقيام اللجان الشعبية فى أكثر من مكان، كان أهمها منطقة روض الفرج، اشترك العديد من الزملاء فى التدريب على حمل السلاح، وفى النشاط السياسى والتثقيفى فى لجان المقاومة الشعبية، والذى ترتب عليه زيادة طلبات الترشيح لعضوية المنظمة، الأمر الذى ترتب عليه مضاعفة أعضاء المنظمة بالقاهرة.

وفى عام ١٩٥٧ تم تقسيم منطقة القاهرة إلى ثلاثة أجزاء- جزء تحت مسئوليتى، وآخر تحت مسئولية الزميل المرحوم حسن صدقى وجزء ثالث تحت مسئولية الزميلة المرحومة عنايات أدهم وجميعنا تحت مسئولية الزميل يوسف درويش.

ولا يفوتني في هذا الصدد، أنه منذ النصف الثاني لعام ١٩٥٤ وحتى منتصف عام ١٩٥٦، كان تنظيم طليعة العمال هو التنظيم الوحيد الذى له نشاط فى القاهرة، إذ أن بقية المنظمات كانت قد توقفت إلى حد كبير لوجود كوادرها فى السجن والمعتقل. وكان ذلك نتيجة حرص منظمة طليعة العمال على التدقيق فى إعطاء العضوية لأى عنصر قادم، بالإضافة إلى سرية عدد من كوادره.

وفى أوائل عام ١٩٥٧، تم عمل كونفرانس بالمنطقة حضره مندوبون من الأقسام وتم انتخابى ومعى الزميل المرحوم حسن صدقى والزميلة المرحومة عنايات أدهم لحضور المؤتمر.

وفى ابريل عام ١٩٥٧ تم انعقاد المؤتمر، والذى أذكره بأنه كان هناك اتفاق سياسى لدى الجميع ، فيما عدا ما يتعلق بالوحدة للمنظمات الشيوعية حيث كان يوجد أكثر من اتجاه.

وانتهى المؤتمر بانتخاب اللجنة المركزية لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى بناء على ترشيح قيادة المنظمة - لعدد ١٥ عضواً، كنت واحداً منهم.

(للأسف سقط من ذاكرة زميلنا نبيل صبحى- محرر الباب السادس من كتاب وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصرى» للزميل أبو سيف يوسف - أسماء الزميل المرحوم السيد فتحى سالم والزميل سامى عجيب كأعضاء فى اللجنة المركزية لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى).

•• نشأة المنظمة والانقسامات التى حدثت بها :

- حقيقة لم أعرف كثيراً عن نشأة طليعة العمال، لكننى عرفت أنه منذ تكوينها لم يخرج منها أى انقسام.

•• مدى ارتباط منظمة طليعة العمال بالطبقة العاملة :

عرفت وتأكدت أن التنظيم له ارتباطات حقيقية بالطبقة العاملة فى شبرا الخيمة وحلوان بمصانع النسيج، وبنقابة عمال نسيج الطاهر، ونقابة البوتاجاز، ونقابة الأحذية. وكانت هناك أعمال نضالية فى شكل إضرابات عن العمل من أجل تحسين أحوال العمال والدفاع عن

مصالحهم فى مواجهة أصحاب العمل.

ومن القادة المعروفين الزميل محمود العسكرى ويوسف المدرك وطه سعد عثمان وعبد الجواد القطان وياسين مصطفى ومصطفى حسنين وغيرهم (ذكرت فقط بعض الأسماء لكن بالتأكيد هناك أسماء أخرى كثيرة).

•• دور المنظمة بين الفلاحين :

– بالنسبة لدور المنظمة وسط الفلاحين، فلم أعلم عنه شيئًا إلا فى منتصف عام ١٩٥٧ حيث علمت بوجود بعض العلاقات فى محافظة المنيا.

•• المجلات الجماهيرية والتنظيمية التى كان يصدرها التنظيم :

– المجلة الخارجية التى كان التنظيم يصدرها هى مجلة المقاومة الشعبية وكانت غير منتظمة الصدور، هذا بالإضافة إلى مجلة داخلية أقل انتظامًا.

•• دور التنظيم فى تثقيف أعضائه :

– كان التنظيم يدعونا لقراءة الكتب الماركسية مثل الأسس اللينينية، البيان الشيوعى، ما العمل، والمادية الجدلية وغيرها، وكذلك كتيبات الرفيق ماو تسى تونج وليو تشاوتشى – بالإضافة إلى كتب الرافعى والجبرتى.

وقد قرأت شخصيا هذه الكتب لكننى للأسف لم أواصل الاهتمام بالقراءة لأنى غرقت تمامًا فى العمل التنظيمى.

•• المقومات والخطوط التنظيمية التى أصدرها التنظيم والموقف من قضية الثورة :

وأذكر أننى قرأت ما سُمى بالاستراتيجية والبرنامج السياسى واللائحة التنظيمية. وكنا نرى أننا فى مرحلة استكمال الثورة الوطنية الديمقراطية ثم الثورة الاشتراكية.

•• الموقف من المحترفين :

- بخصوص المحترفين فى التنظيم : إننى أرى أن الثورى المحترف ضرورة حتى يتمكن التنظيم من القيام بدوره المطلوب - فجميع أعضاء التنظيم رغم تفارت إمكانيات العطاء لكل منهم، لكن لا يمكن إتمام الواجبات بدون توافر الثورى المتفرغ تماماً لعمل التنظيم. ولكن لاحظت فى بعض المنظمات أن الثورى المحترف هو بعض من فقد عمله نتيجة نشاطه السياسى أو غير ذلك - دون اعتبار لإمكانياته الثقافية والتنظيمية والفنية التى تجعله قادراً على العطاء لكل ما يحتاجه التنظيم بالقدر المناسب.

- **الموقف من التنظيمات الأخرى :** رغم أنى فى الأغلب كنت متشككاً من التنظيمات الأخرى، وحذر تجاهها بشكل عام - لكننى كنت أتعاون وأحترم بعض كوادرها الذين التقيت بهم خلال نشاطى السياسى.

ففى كلية العلوم تعاونت مع الزميل المرحوم نصر حمود، وصبحى يَسى وهما من النواة، والزميل سمير كامل وهو من حدتو، وفكرى تادرس وكان فى النجم الأحمر.

وفى بلدتى أبو تيج تعاونت مع زملاء حدتو بساحل سليم.

•• الموقف من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية :

الشيوعية لا تفرق بين المواطنين سواء أكانوا يهوداً أم من أى ديانة أو عقيدة أخرى.

ومن الطبيعى أن الحزب الشيوعى المصرى يجمع بين صفوفه المتدينين وغير المتدينين

ولما كانت كل المنظمات الشيوعية فى مصر سرية ثم كان حزب ٨ يناير حزباً سرياً، لم تكن هناك مشكلة لوجود يهود بداخله سواء فى القاعدة أو فى القيادة.

ولكن نتيجة الحروب العدوانية لإسرائيل واحتلالها الأرض الفلسطينية وبعض الاراضى العربية، بالاضافة إلى أعمال المنظمات الصهيونية الإرهابية الوحشية قبل وبعد قيام دولة إسرائيل، ونتيجة لوجود تيارات رجعية فى العالم العربى اختلط الامر على المواطن العادى - بين العداء للصهيونية وهى القوة الرجعية المرتبطة بالامبريالية وبين اليهودية كديانة. وبالتالى

للاسف – غالبية البسطاء من الناس أصبحت – خطأ – تعدى كل ما هو يهودى.

ومرحليًا – ونى حالة امكانية وجود حزب شيوعى علنى شرعى (وهذا بعيد الاحتمال حاليًا)– فالافضل أن لا يكون فى القيادة يهود – لحين تصحيح المفاهيم لدى غالبية الشعب.

أما الموقف بالنسبة للأجانب – فيكتفى بأن يكونوا أعضاء فى القاعدة فقط.

ولابد ان أذكر باننى عاصرت وتعاملت عن قرب – تنظيميًا وشخصيًا – مع زملاء من أصل يهودى وهم الزميل المرحوم أحمد صادق سعد والزميل يوسف درويش والزميل المرحوم ريمون دويك؛ وأشهد بإخلاصهم الشديد لقضايا الشعب المصرى ولقضية الشيوعية، وثقافتهم الرفيعة ونضالهم وتضحياتهم الضخمة.

•• الموقف من وحده ٨ يناير والانقسامات التى أعقبتها :

بعد تردد وتشكيك طويلين بالمنظمات الأخرى – كنت أحد الموافقين على وحدة ٨ يناير بالطريقة التى تمت بها .

ولكن بعد ذلك، خصوصًا فى عامى ١٩٦٤، و ١٩٦٥، اكتشفت أن ما تم كان خطأً كبيراً، وأنه كان من أهم الأسباب التى أوصلتنا لقرار حل الحزب.

لقد كانت وحده فوقية سهلت الانقسام الحدنوى، كما أنه بالطريقة التى تمت بها كشفت كل كوادر المنظمات جميعًا (السرى والعلنى) منها. وأصبحت كل إمكانيات وقوات وكوادر الحزب ومستوياتهم معروفة تمامًا للمباحث العامة، بل أصبحت كل أسرار الحزب فى الشارع وعلى المقاهى.

لقد كان الواجب– فى حينه – أن تتم الوحدة على مرحلتين :

المرحلة الأولى : بتكوين لجنة عليا للوحدة من مندوبى المنظمات التى ترغب فى الوحدة هدفها الوصول لفكر سياسى يتقارب شيئًا فشيئًا فى المسائل الأساسية، ودخول القواعد فى معارك نضالية مشتركة بدعوة من اللجنة العليا للوحدة.

وهذه المرحلة لابد أن تحتاج لوقت ليس قصيراً حتى يتم تقارب القواعد مع بعضها، وتكوين

الثقة اللازمة بين هذه القواعد من خلال المعارك النضالية اليومية .. إلى أن يتم الانصهار الكامل داخل هذه القواعد.

المرحلة الثانية : الدمج الفعلى لقيادات والقواعد، وتكوين قيادة واحدة لحزب لقيادة قواعد تم تطهيرها تمامًا من التشكيك فى بعضها البعض، ولرفاق تعاونوا يوميًا فى المعارك التكتيكية، وأسعدتهم النتائج والمكاسب ليومية التى أحرزوها نتيجة توحدهم.

وبهذه الطريقة يكون من الصعب لخروج بانقسام على الحزب، ولو حدث سوف يكون انقساماً هزيلاً لا مستقبل له.

وفى الوقت نفسه نكون قد حافظنا على سرية بعض كوادرنا - لمواجهة مالابد أن يحدث من حملات بوليسية لضرب الحزب.

لقد كنتُ ضد الانقسام الحدتوى الذى حدث ، كما أنى كنت ضد أى عمل تكتلى أو انقسامى من أى مجموعة كانت - كانت هذه معتقداتى الراسخة والتى دعمتها تربيتى داخل طليعة العمال.

لقد كنت دومًا أعارض ما لا أومن به، واتفق مع ما أراه سليماً فى كل المسائل السياسية والتنظيمية، لكنى كنت دومًا ملتزمًا برأى قيادة المنظمة أمام المستويات الدنيا. وفى داخل حزب ٨ يناير، وكنت عضواً فى لجنة الدعاية المكونة منى ومن الزميل عادل سيف النصر والزميل الشهيد شهدى عطية، تحت مسئولية الزميل سعد زهران، كنت أحيانًا اتفق فى الرأى فى بعض المسائل مع الزميل الشهيد شهدى عطية، وأختلف مع الزميل سعد زهران والزميل عادل سيف النصر - مما كان - للأسف - محل شكوى من البعض.

•• مسيرتى فى حزب ٨ يناير :

كأحد أعضاء اللجنة المركزية لحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، حضرت الاجتماع الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى - حزب ٨ يناير - والذى كان اجتماعًا تعارفياً ووديًا.

وبعد تصغير اللجنة المركزية أصبحت عضوٌ باللجنة المركزية الاحتياطية وعضواً بلجنة الدعاية (السابق ذكرها).

وتم تكليفي بمسئولية الجهاز الفني أيضاً، واستلمت جهاز طباعة للبروفة عبرة عن قاعدة حديدية يتحرك عليها يدوياً سلندر. وفي فترة وجيزة، وبالاستعانة بأحد العاطفين، تم شراء كمية مناسبة جديدة من حروف الطباعة، وتجديد السلندر، وطبعنا كمية حوالي ٢٠٠٠ نسخة من مجلة الحرب في ثلاثة أيام بمجموعة الجهاز الفني المكونة من الزميل صابر البياع وكانت له خبرة سابقة في تجميع حروف الطباعة والزميل كمال فراج.

وفي مناسبة ذكرى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى تمكنا من طباعة المجلة وعلى صدرها صورة الرفيق لينين - لقد حققنا في فترة وجيزة طفرة كبيرة في الطبعة الحزبية، ومن أجل الأمان نقلنا الطبعة في آخر عام ١٩٥٨ إلى شقة أخرى، خوفاً أن يكون قد تم ملاحظة دخول وخروج كميات من الورق، بالإضافة إلى الصوت الذي كان يحدث أثناء الطباعة.

وفي أول يناير ١٩٥٩ صباحاً علمت بحملة الاعتقالات، وعلى الفور تركت المنزل ولم أعد له ثانية، وكان عليّ أن أمتحن مادة تخلف خلال شهر يناير للحصول على البكالوريس، ولكني لم أحضر الامتحان ولم أمتحن مادة التخلف إلا في نوفمبر ١٩٦٤ بعد الإفراج عنا في مايو ١٩٦٤.

لقد قضيت بكلية العلوم ١٥ عاماً كان منهم حوالي سبع سنوات سجن واعتقال وهروب - بالإضافة إلى عدم الاهتمام بالدراسة.

وهنا لابد أن أوضح أنه كان هناك اتجاه يساري، خصوصاً في منظمة النجم الأحمر يقول «إننا نحتاج إلى مناضلين، وليس لدرجات البكالوريوس والدكتوراه».

وكان هذا خطأً كبيراً أدى إلى أن العديد من الطلبة الشيوعيين أهملوا دراساتهم وفشلوا في كلياتهم - الأمر الذي أعطى بعض الناس إنطباعاً بأن الشيوعيين هم الطلبة الفاشلون، فضلاً عن المشاكل الكبيرة التي واجهتهم مع أسرهم نتيجة تخلفهم في كلياتهم.

وكان الواجب أن يكون الطالب الشيوعي هو الطالب الاجتماعي والمتميز في كليته، وأن

نشاطه السياسي لا يجب أن يعطله عن تحصيل دراسته.

وخلال شهر يناير ١٩٥٩ تمكنت من الاتصال بالزميل أبو سيف يوسف سكرتير الحزب الذى اعاد تشكيل اللجنة المركزية من زملاء اللجنة المركزية الأساسيين الذين لم يتم اعتقالهم، وإضافة البعض من أعضاء اللجنة المركزية الاحتياطية وكنت واحداً منهم. وتم تكليفي بالمسئولية المالية، بالإضافة إلى العمل الفني، وبعد حملة اعتقالات مارس ١٩٥٩ وفقدان مطبعة الحزب الرئيسية، كان لا يزال هناك جهاز فنى آخر طرف الزميل المرحوم صابر زايد، عبارة عن آلة كاتبة وجهاز رونيو، تم الاتصال به وأشرفتُ عليه في مجمرعة مع (شخص آخر)، والذى كان يتولى استلام المطبوعات من الزميل صابر زايد للتوزيع الداخلى.

وكنتُ فى هذه لفترة بحكم مسئوليتي المالية على علاقة بأغلبية كوادر الحزب الهاربين بالقاهرة والأسكندرية.

وفى اواخر سبتمبر ١٩٥٩ ذهبتُ للأسكندرية لمقابلة الزملاء الهاربين هناك، ثم قابلت الزميل أبو سيف يوسف، وبقيت فى مسكنه حتى الصباح ثم عدت مساءً إلى القاهرة.

وفى صباح اليوم التالى كان موعدى مع الزميل سليمان سيداروس بمقهى بشبرا لدراسة إمكانية معاونته فى تنفيذ مطبعة بروفه جديدة – بصفته صاحباً لورشة خراطة، وبعد مقابلتنا بنصف ساعة تقريباً هاجمتنا المباحث العامة من كل جانب حاملين مسدساتهم وتم القبض علينا.

وعلى الفور – كالمعتاد – أشرت للزميل سليمان سيداروس بأننا لا نعرف بعض، ولم نكن جالسين مع بعض. وهو ما تم فعلاً أمام النيابة وبالتالى لم يدخل الزميل سليمان سيداروس فى أى قضية.

•• التعذيب بالمباحث العامة ومواجهة النيابة :

بعد القبض علينا أخذونى فى عربة بمفردى للمباحث العامة، حيث سألونى عن سكنى، فذكرتُ لهم سكنى الاصلى بالعجوزة، وأخذونى بصحبة أربعة من رجال المباحث وعربة أخرى

خلفنا لتفتيش منزلى، لكنهم بدلاً من أن يذهبوا لعجوزة رجدتهم يذهبون لسكنى بالظاهر حيث كنت أختبئ، ثم حضر العقيد حسن طلعت مفتش مباحث القاهرة للاشتراك شخصياً فى التفتيش، ثم رجعنا للمباحث العامة.

وفى بداية الإظلام بالمساء أخذونى مرة أخرى فى عربة بصحبة رجال المباحث وبعد السير فى عدة شوارع حتى وصلنا شارع العباسية ربطوا عينى بالإضافة إلى أنى كنت مقيداً ثم دفعونى لدواسة العربة ثم قاموا بالسير بعض الوقت، ثم وقفت العربة وحركونى من دواسة العربة وأنا مازلت مقيداً ومربوط العينين - رجل من كل جانب - لأسير معهم كما يأمرون إلى أن أدخلونى فى مكان لم تصلنى فيه أى أصوات من الخارج، ثم فكوا قيدى من الأمام، وقيدونى من الخلف وربطونى فى حلقة بالحائط، وإنهالوا علىّ ضرباً وركلاً فى كل جسمى وأنا لازلتُ مربوط العينين، وبعد فترة من الضرب والعبث فى أماكن حساسه : كان سؤالهم فين الرفيق عباس- أبو سيف يوسف - يا عمار؟؟

ولما كنت أعرف مكان الزميل أبو سيف يوسف وغيره، قررت أن يكون ردى المتكرر كلمة واحدة هى : ماعرفش.

ثم كانوا يصرخون : موش عاوز تقول يا عمار

وكان ردى أنا موش عمار، ومعرفش فين أبو سيف يوسف.

هذا بالإضافة إلى صراخهم إنك سوف تدفن هنا زى ما عملنا مع غيرك.

بعد ذلك رفعوا الرباط من على عينى، وأتوا بكشاف كهربى حرارى سلطوه على وجهى وتركونى.

وكانوا يعودون بعد ذلك ليكرروا الضرب والتهديد المختلف.

وبقيت هكذا طوال الليل، رافضين إعطائى كوب مياه، ومع بداية الصباح بدأت أشعر بالتعب والإرهاق الشديد، وخارت قوى، ولم أعد قادراً على الوقوف، وكدت أقع وتتكسر يداى، فصرخت بأعلى صوتى. ويبدو أن الحارس الواقف خارج هذه الغرفة لمراقبتى أخبرهم بالموقف ففتحوا باب هذه الغرفة وفكونى من الحلقة بالحائط وقيدونى من الأمام وتركونى ملقياً

على الارض، ولم يسمحوا لى بالذهاب لدورة المياه وتركونى أتبول على نفسى.

وتكرر التعذيب نفسه فى اليوم التالى، وكان ردى المتكرر معرفش وأنا موش عمار، ثم تركونى.

وفى الصباح سمحوا لى بالذهاب لدورة المياه، وكانت ملاصقة لغرفة التعذيب، وكان أول شئ فعلته هو أن ملأت الكوز الوسخ المموء صدأ بالمياه وشربت.

وبعد أن رجعت مع الحارس من دورة المياه «سألنى بتعاطف : موش عاوز أى خدمة» فطلبت منه ورقة وقلماً وكتبت خطاباً لأسرتى أخبرهم بأنى مقبوض عليَّ (حيث كنت أخشى أن يكون مصيرى مصير المرحوم الشهيد محمد عثمان الذى قُتل فى لتعذيب، وأنكروا أنهم قبضوا عليه أو يعرفون عنه شيئاً فى هذا التوقيت).

وفعلاً هذا الحارس سلَّم الخطاب لأسرتى، وأتى لى بالرد. وقامت المباحث بتصوير الخطاب والرد، وشجعنى هذا الحارس على كتابة رسائل أخرى حيث كانوا يتوقعون أى خطأ من جانبى يقيدهم. وعندما قابلنى العقيد حسن طلعت قبل تقديمى للنيابة قال لى «إنت جاى تستغفلنا فى المباحث العامة يا ابن .... ورمى صور الخطابات فى وجهى.

وفى نهاية اليوم الثالث قدمونى للنيابة بعد أن جعلونى أغسل وجهى، ووضعونى فى أحد المكاتب للتهوية بدلاً من المقبرة التى كنت فيها، وأحضروا لى رغيف عيش به قطع من اللحم.

حضرت النيابة لاستجوابى فى (مبنى المباحث العامة) وبدأوا بالسؤال التقليدى عن اسمى وعنوانى. فرفضت الإجابة إلا بعد تسجيل التعذيب الذى تعرضت له وبأنى مقبوض علىَّ منذ ٣ أيام ولا أعرف أين كنت.

وفعلاً سجلت النيابة مختصراً لكلامى.

وكانت إجاباتى أمام النيابة هى إنكار كل شئ استمراراً لموقفى مع رجال المباحث العامة فى غرفة التعذيب.

بعد ذلك تم نقلى لسجن القلعة حيث مكثت حوالى عشرة أيام - انفرادياً - ثم بعد ذلك فى معتقل الحزب بالفيوم - حوالى شهر فى عنبر به حوالى ٢٠ فرداً، وكان ذلك بمثابة إفراج

بالمقارنة بما عانيته بغرفة تعذيب المباحث العامة.

بعد ذلك نقلونا لمعسكر التعذيب بأوردى ليمان أبو زعبل، حيث الاستقبال بالضرب المبرّح بالشوم ونحن عراة تماماً، بعد ذلك التعذيب المخطط اليومى فى الصباح فى الطابور المسمى بطابور الرياضة وهو طابور العذاب إلى ما يُسمَّى بالتفتيش وهو عملية ضرب أخرى، ثم الطلوع للجبل حفاة لحمل مقاطف التراب جرياً لنقلها إلى نهاية حافة الجبل، ثم إعادتها إلى مكانها فى اليوم التالى. ثم نقلونا لعملية تكسير حجر البازلت، ومعاقبة من يدعون أنهم لم ينفذوا المقطوعية. وكان الأكل هو اليمك الأبيض أو الأخضر المغطى بالرمل والغير معروف مكوناته، والحمام الأسبوعى الساخن والبارد معاً، والضرب ونحن عراة. أما الرعاية الصحية فلم يكن يوجد حتى قرص اسبرين.

واستشهد زميلنا رشدى خليل الذى إرتفعت حرارته، وانحنى ظهره، ونقلوه فى عربية نقل، والذى رفض المستشفى قبوله لأنه كان قد فارق الحياة.

ثم استشهد الزملاء فريد حداد وشهدى عطية وهما على باب الأوردى نتيجة عنف الضرب بالشوم.

لقد كان التعذيب فى أوردى أبو زعبل عنيفًا وقاتلاً لم يقابل الشيوعيون المصريون مثله من قبل، مقارنة بسجن الأجانب ثم سجن مصر.

وبعد توالى الاستشهاد، وانتشار أخبار هذا المعسكر سيئ السمعة محلياً وعالميًا توقفت أعمال التعذيب وبدأ الترحيل للواحات للمعتقلين ولسجن القناطر بالنسبة لمن لهم قضايا.

ولا أنسى - فبعد استشهاد الزملاء، حضر اللواء ممت، وأعلن وقف أعمال التعذيب، وقال «إنى أشهد أمام الله أنكم كنتم رجالاً فى مواجهة هذه المحنة».

ثم نقلونى فى أواخر عام ١٩٦٠ لسجن القناطر تمهيداً لتقديمى للمحاكمة. وكان مسئول لجنة منطقة القناطر الزميل محمود العطار ومعه الزميل جمال الشرقاوى وآخرين، وبصفتنا مركزيين، أصبحت أنا مسئولاً للجنة منطقة القناطر ومعى الزميل المرحوم السيد فتحى سالم والزميل نسيم يوسف والزميل أحد الجبالى والزميل سعد بطرس، وفى مرحلة أخرى كان معنا الزميل شوقى مجاهد.

وكانت مهمتنا كلجنة منطقة القناطر تتمثل فى الآتى:

أ- التحضير لكل قضية يتم تحديدها بدراسة الوضع القانونى لكل زميل، وكذلك المستوى الحزبى والجماهيرى، وبناء على ذلك يتم تكليفنا للزملاء بكيفية مواجهة المحاكمة.

فبالنسبة للمركزيين كان موقفنا عمومًا هو الدفاع عن عضوية الحزب وكذا بعض الجماهيريين، طبقًا لأوضاعهم القانونية.

وكان تكليفنا العام عدم السماح للمحامين الموكلين أو المقيمين بالتهجم على الشيوعية والشيوعيين أو على السياسة العامة لحزبنا.

كذلك كنا نساعد ونرفع من معنويات بعض الزملاء صغار السن وحديثى العضوية لتصحيح بعض أوضاعهم أمام المحكمة.

عمومًا نجحنا فى أن تتم كل القضايا بشكل سليم ومشرف.

وبالنسبة لقضيتى التى كنت المتهم الثانى فيها، والتى تشمل ١١ زميلاً، والتى كانت من أقوى القضايا فى هذه الفترة، حيث كنا فى ذهابنا وعودتنا من المحكمة نهتف بسقوط الأحكام العرفية، ومن أجل إطلاق الحريات والإفراج عن المعتقلين.

وكنا فى قاعة جلسة المحاكمة التى كانت برئاسة المستشار العدوى، نقاطع النيابة أو أيًا من المحامين لأى تصرف أو كلام لا نقبله.

ولما شعر رئيس الجلسة بقوتنا، طلب منا عدم الكلام، وبأنه سوف يعطينا الفرصة فى آخر الجلسة.

وكان علىّ أنا والزميل جمال الشرقاوى مهمة الدفاع عن عضوية الحزب. إلا أن رئيس الجلسة حاول إنهاءها دون أن يعطينا الكلمة كما وعد - فصرخنا فى وجهه بأننا نتشرف بعضويتنا للحزب الشيوعى المصرى، وكنا قد أعددنا دفاعات سياسية مكتوبة - خشية منعنا من الكلام- رميناها فى وجه رئيس المحكمة وطلبنا تسجيلها فى مضبطة الجلسة.

وعلى أثر ذلك تم احتكاك بيننا وبين الحرس بالضرب واللكم المتبادل، إلى أن حضرت قوة كبيرة سيطرت على الموقف ونقلتنا لسجن القناطر.

ب - رفع معنويات زملاء الحزب والتمسك بوحدته :

كانت قوات الحزب في القناطر تتشكل من زملاء من أصول مختلفة، وكان علينا التعامل مع الجميع بهدوء وصبر كبيرين في مواجهة الخروج على النظام أحياناً وأحياناً أخرى عدم الالتزام بالتكليفات.

وقد نجحنا في المحافظة على وحدة الحزب داخل منطقة سجن القناطر، فلم يخرج أحد من الحزب لينضم إلى المنقسمين أو قيام أي تكتل داخل المنطقة، بل انضم إلينا أحد زملاء المنقسمين وهو الزميل حمدي مرسي، كما انضم لحزبنا الزميل المرحوم الدكتور غالي شكري بعد وصوله سجن القناطر.

ومن أهم المعارك التي خضناها في مواجهة إدارة السجن والمباحث العامة: معركة الإضراب عن الطعام الذي استمر ٢٢ يوماً، وكان إضراباً منظماً تنظيماً دقيقاً، تم على ثلاث دفعات، مع نجاحنا في الاتصال بخارج السجن للدعاية له بين أسر المسجونين والرأي العام. وقد شارك في الإضراب غالبية زملاء الحزب من كل الأصول، ولم نترك إلا عدداً قليلاً من الزملاء خارج الإضراب لعمل الاتصالات اللازمة للدعاية للإضراب.

وكنت مع زملاء آخرين في أول دفعة دخلت الإضراب، كما كنت المتحدث باسم المضربين في ظل قيادة جماعية من الزملاء سعد بطرس ومحمود العطار وجمال الشرقاوي، والمشاورة مع كل المضربين أحياناً.

ونجح الإضراب بدون أية خسائر رغم طول مدة الإضراب، وحقق الآتي :

- الحق في الزيارة السلك الأسبوعية بالإضافة للزيارة الخاصة الشهرية بتصريح من النيابة.

- دخول الصحف والكتب.

- فتح أبواب الزنازين طوال اليوم

- الحصول على احتياجاتنا المتاحة بالكانتين.

ومن المهم أن نذكر أن مجموعة المنقسمين بسجن القناطر تحت قيادة المرحوم فاروق ثابت رفضت المشاركة في الإضراب.

وبعد إعلان الأحكام فى قضيتي، واعتمادها من الحاكم العسكرى، بالحكم علىَّ بسبع سنوات، تم ترحيلي مع آخرين لسجن الواحات وكان ذلك فى نهاية عام ١٩٦٢.

وظللت في سجن الواحات حتي أبريل ١٩٦٤، إلى أن حدثت مشادة مفتعلة مع إدارة السجن، أطلق على أثرها الحرس النار علينا، وأدت إلى استشهاد الزميل لويس اسحق.

بعدها تم ترحيلنا إلى سجن أسيوط، ثم إلى سجن مصر، ثم إلى سجن بنها، ثم سجن مصر، ثم قسم بوليس شبرا حتي تم الإفراج عني من هناك في ١٤ مايو ١٩٦٤.

•• موقف التنظيم من القضية الفلسطينية :

بخصوص القضية الفلسطينية، فإنى لم أعاصر فترة ٤٦، ٤٧، ٤٨، وما عرفته بعد ذلك أن كل التنظيمات عارضت قرار التقسيم، أما في فترة الخمسينيات فكان موقف التنظيم هو تحرير الأرض الفلسطينية وقيام دولة فلسطين وعودة اللاجئين وتعويضهم، وظل هذا الموقف ثابتًا حتى حل حزب ٨ يناير .

•• موقف التنظيم من النضال المسلح فى القناة عام ١٩٥١ :

– لم أشترك فى النضال المسلح في القناة عام ١٩٥١، واعتقد أن ذلك كان موقف كل التنظيمات.

•• الموقف من حركة السلام :

– وبالنسبة لحركة السلام، فقد شاركت مشاركة كبيرة فى جمع التوقيعات على نداء استكهلم فى الجامعة وفى بلدتى أبو تيج، وكنت على وشك تكوين لجنة سلام بأبى تيج، لكن بسبب القبض علىَّ مع بعض المتعاونين عقب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، لم يتم استكمال تكوين لجنة السلام.

•• الموقف من تنظيمات ثورة يوليو :

كان موقف تنظيم طليعة العمال هو عدم الاشتراك فى هيئة التحرير والاتحاد القومى. ولكن بعد الإفراج عنى حاولت دخول الاتحاد الاشتراكى، لأنى رشحت نفسى لعضوية لجنة الاتحاد الاشتراكى فى الشركة التى أعمل بها (الشركة العامة للتجارة والكيماويات) ولكنى لم أحصل على العضوية، وبالتالى انسحبت من الترشيح.

•• الموقف من قوانين الإصلاح الزراعى :

– لقد وافقنا على قوانين الإصلاح الزراعى باعتبارها خطوة فى تفتيت الملكيات الكبيرة وتقليم أظافر كبار ملاك الأرض.

•• الموقف من أحداث كفر الدوار عام ١٩٥٢ :

– تم بقوة معارضة إعدام خميس والبقرى، وكان إعدامهم نقطة تحول فى سياسة طليعة العمال تجاه حركة الجيش، واعتبارهم مجموعة عسكرية دكتاتورية معادية للطبقة العاملة والشعب.

•• الموقف من هبة مارس ١٩٥٤ :

– وفى هبة مارس ١٩٥٤ شاركت شخصيًا فى الجامعة فى التحضير وقيادة بعض المظاهرات التى تمت فى هذا الوقت، وكانت النداءات بعوده الجيش للثكنات وإلغاء الأحكام العرفية وإعادة الحريات وحق تكوين الأحزاب.

•• الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين :

– وبالنسبة للإخوان المسلمين، فإن الثورة فى بدايتها أفرجت عنهم بما فى ذلك المحكوم عليهم، مُعتبره قضاياهم قضايا سياسية، ولم تفرج عن المحكوم عليهم من الشيوعيين مُعتبره قضاياهم قضايا جنائية !!

وفى بداية الثورة تحالف الإخوان مع الثورة محاولين احتوائها، ولعدم نجاحهم فى تحقيق هدفهم، بدأت معارضتهم لها ثم محاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر فى المنشية بالأسكندرية، وعلى أثرها تمت حملة كبيره لاعتقالهم ومحاكمتهم.

•• الموقف من مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية :

– وبالنسبة للموقف من باندونج وصفقة الأسلحة لتشيكية ثم سياسة الحياد، فإن منظمة طليعة العمال كانت أول منظمة تؤيد هذه المواقف.

•• الموقف من تأميم قناة السويس :

– بالطبع أيدنا تأميم قناة السويس، ووقفنا ضد العدوان الثلاثى، واشترك عدد كبير فى التدريب على السلاح فى المقاومة الشعبية، وكذلك بدور كبير فى المؤتمرات الشعبية فى أحياء القاهرة. ولكن لم يكن لنا اشتراك داخل بورسعيد.

•• الموقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ :

– فى انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧ رشحت المنظمة عدداً من الزملاء الجماهيريين فى بعض الدوائر، وتمت دعاية مكثفة لهم، لكن تم استبعادهم جميعًا ما عدا الزميل عبد العظيم أنيس الذى وقفت المنظمة بجانبه فى مواجهة عبد العزيز مصطفى الذى كانت تؤيده منظمة حدتو. كما قمنا بالدعاية لبرنامجنا خلال المعركة الانتخابية، ومعاونة بعض المرشحين الذين اتفقوا معنا جزئيا أو كليًا مثل دائرة جزيره بدران ومرشحها دكتور فائق فريد، ودائره مسرة ومرشحها أحمد شفيق أبو عوف، ودائرة مصر الجديدة ومرشحها أحمد شهيب، ودائره الجيزة ومرشحها أبو الفضل الجيزاوى ودائرة أبو تيج ومرشحها عبد الخالق عمرو.. وغيرها.

•• الموقف من الأحلاف العسكرية :

– بالطبع عارضت المنظمة بقوة مشروعات الأحلاف العسكرية (ايزنهاور – الهلال الخصيب- حلف الشرق الأوسط) ولنقطة الرابعة.

•• الموقف من تمصير الشركات والبنوك الأجنبية :

- لقد وافقنا على تمصير الشركات والبنوك الأجنبية وكذلك على قرارات التأميم. وفى عام ١٩٥٩ أوضحنا أن ما تم هو نوع من رأسمالية الدولة الاحتكارية.

•• الموقف من وحدة مصر وسوريا :

- لقد أيدنا وحدة مصر وسوريا، لكن طالبنا بأن تكون وحدة ديمقراطية مع مراعاة الظروف الموضوعية والتاريخية لكل بلد. كما عارضنا إنزال القوات الإمبريالية فى الأردن ولبنان. لكننا أيدنا ثورة العراق.

•• الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتى :

- كان موقف التنظيم دائمًا متوافقًا مع سياسة الاتحاد السوفيتي الدولية، وعلاقاته بحركات التحرر فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

•• أحداث المجر :

وبالنسبة لأحداث المجر كان موقف التنظيم متوافقًا أيضًا مع الاتحاد السوفيتي فى مواجهة أحداث المجر على أساس أنها كانت ثورة مضادة.

•• التعايش السلمى :

- وبالنسبة لسياسة التعايش السلمى، فكنا مع سياسة الاتحاد السوفيتى أيضاً لتجنيب البشرية حرباً ذرية هيدروجنية مدمرة للعالم كله.

•• الاتحاد السوفيتى والبورجوازيات الوطنية :

- أما موقف الاتحاد السوفيتى من البرجوازيات الوطنية فى العالم الثالث، فإن مساندته لها فى مواجهة الاستعمار - كان ولا شك موقفًا سليمًا - لكن كان الخطأ فى تصوره - بشكل عام - بأنها على استعداد للمشاركة أيضًا فى الثورة الاشتراكية.

•• الموقف من التكتلات :

- منذ انضمامي لطليعة العمال في نهاية عام ١٩٥٢، تم التحول لحزب العمال والفلاحين الشيوعي المصري ثم الوحدة في حزب ٨ يناير وحتى حل الحزب لم أشارك في أي تكتل، بل كنت معادياً بكل قوة لكل تكتل وأي خروج على وحدة الحزب.

•• الموقف من حل حزب ٨ يناير :

كانت البداية - حين وضحت لي أفكار المنقسمين في سجن القناطر في عام ١٩٦١ - بإعلانهم بوضوح بأنه في السلطة مجموعة اشتراكية يجب الاتحاد معها وعدم معارضتها.

وعندما انتقلت إلى سجن الواحات في نهاية عام ١٩٦٢، وكان لدى الزملاء أجهزة راديو كانوا يتابعون بها بعض المحطات العالمية مثل موسكو وبراغ، التي غَذَّت بدورها اتجاهات المنقسمين والقليل من زملاء الحزب عن ما كان يُسمَّى «بالنمو غير الرأسمالي للدول المستقلة حديثاً» والإشادة المبالغ فيها في أحيان كثيرة لقادة هذه الدول.

ومنا بدأ المنقسمون يطرحون علناً فكرة حل الحزب ودخول الاتحاد الاشتراكي تحت قيادة عبد الناصر الذي يبني الاشتراكية.

ولابد أن أنكر أن قيادة الحزب في هذا التوقيت في سجن الواحات، بأنها كانت تُعارض وتهاجم هذه الأفكار وأيضاً فكرة حل الحزب.

وبعد فترة من الإفراج عنا في مايو ١٩٦٤ بدأت أيضاً تظهر فكرة حل الحزب، ثم كان قرار حل الحزب في عام ١٩٦٥.

إنني لم أكن مقتنعاً بحل الحزب على أساس سياسي، ولكني كنت من الموافقين على حل الحزب، لأنه في هذا التوقيت لم يعد هناك فعلاً حزب، بل أفراداً تتنازعهم أفكار متعارضة، وكل كوادر الحزب أصبحت معروفة تماماً للمباحث العامة وأجهزة الأمن، ولا يوجد شئ سري على الإطلاق.

ولا يجرؤ أحد - مدرك لحقيقة الوضع والظروف مهما كانت رغبته وإيمانه بضرورة وجود

الحزب وعدم حله - لا يجرؤ على تحمل مسئولية القيادة فى هذه الفترة وفى ظل هذه الأوضاع، لأنه لن يتمكن من تحقيق شئ سوى الزج بكل الشرفاء المعارضين لحل الحزب فى السجون دون تحقيق أي شئ طيب لصالح الشعب المصرى ولقضية الشيوعية.

وقد ذهبت إلى منطقة المنيا مكلفًا من قيادة الحزب لإبلاغهم بقرار الحل، ولم أجد معارضة من أحد.

كما أنى شاركت فى أحد اجتماعات منطقة القاهرة، حيث تولى الزميل إسماعيل صبرى عبد الله مسئولية الإبلاغ والدفاع عن قرار الحل، ولا أذكر الحاضرين، ولكنى أذكر أن الزميل المرحوم رجائى طنطاوى عارض بقوة حل الحزب.

•• أسباب أزمة الحركة الشيوعية قبل عام ١٩٦٥ والطابع الانقسامى للحركة الشيوعية :

أولاً : الطابع السرى للحركة الشيوعية -الذى منذ البداية - بعد التخلص من حزب عام ١٩٢٣، لقد حرم القانون وجود حزب شيوعى علنى تحت أسباب تم تقنينها.

ونتيجة للسرية ، وصعوبة عقد كونفرانسات ومؤتمرات لإمكانية تغيير سياسة المنظمة وقيادتها، برزت للبعض بأن الحل هو الانقسام.

ثانيًا : كانت القيادات الأولى لكل التنظيمات - تقريبًا - من الأجانب واليهود - رغم أن غالبيتهم كانوا شرفاء ومخلصين، وقدموا تضحيات كبيرة فى النضال من أجل الشيوعية - إلا أنه كان من السهل التشكيك فيهم والخروج بانقسامات.

ثالثًا : عدم الارتباط بقاعدة عمالية كبيرة، وعدم النجاح فى وجود قاعدة فلاحية وبالتالى عدم جماهيرية هذه المنظمات مما سهل انقسامها.

رابعًا : كانت غالبية هذه القيدات من المثقفين التى تجيد التنظير لأتفه الأسباب، بالإضافة إلى نعراتهم الفردية الشديدة.

خامسًا : الملاحقة المستمرة لكوادر هذه التنظيمات من الأمن، وبالتالى عدم التواصل بين

الجماهير والعزلة فى السجون والمعتقلات، مما أدى إلى وجهات نظر سياسية بعيدة عن الواقع، عمّقت الخلافات فى الرأى – وساعدت على تحقيق الانقسام.

سادسًا : إن مصر هى قلب وقيادة البلاد العربية، بالإضافة إلى تأثيرها على البلاد الاسلامية، فضلاً عن البلاد الأفريقية والأسيوية ودول أمريكا اللاتينية.. وليس أدل على ذلك ما تم من تأثير واضح لثورة يوليو فى نشاط القوى الوطنية فى هذه البلدان، وبالتالى كان من الطبيعى أن تتحالف قوى الإمبريالية مع قوى الرجعية الداخلية فكريًا ودعائيًا وامنيًا لعدم قيام حزب شيوعى قوى فى مصر.

سابعًا : ولأهمية بلادنا مصر، فإن تحقيق الاشتراكية فيها يتطلب كفاحًا طويلاً ممتداً تحت قيادة حزب شيوعى قوى، قادر على الوجود والاستمرار فى كل ظروف المد والجزر. وبالتالى كان من الضرورى والمهم جداً ضرورة بناء تنظيم سرى كامل بجانب التنظيم الجماهيرى .. وطبعًا تحت قيادة وحدة. وعدم خلط الزملاء السريين بالزملاء العلنيين.

لقد تصور البعض أن الاشتراكية أصبحت قريبة المنال، وتحرك السرى والجماهيرى متظاهرين بقوة أكثر من حقيقتهم، وكانت النتيجة لحزب ٨ يناير هى كشف كل كوادره حيث تم القبض على أغلبيتهم فى حملتين فقط.

ثامنًا : لقد أهدرت الانقسامات الجهد الكبير فى المجادلات والاتهامات الحقيقية وغير الحقيقية على حساب الاهتمام بدراسة الواقع المصرى والوصول للنظرية المصرية لتحقيق الاشتراكية.

تاسعًا : ولظروف السرية المتواصلة وعدم وجود حزب شيوعى واحد، كانت العلاقات بالأحزاب الشيوعية الأخرى تكاد تكون منعدمة، خصوصًا الحزب الشيوعى السوفيتى، وبالتالى لم تكن على علم بما يجرى داخل هذه الأحزاب من وجهات نظر فيما يتعلق بالسياسات الخارجية والمحلية. وكانت نظرتنا داخل الحزب تصل لدرجة تأليه القيادة السوفيتية التى كانت صورتها لدى غالبية الشيوعيين المصريين قيادة معصومة من الخطأ.

لقد كنا فى بعض الأحيان نصل إلى رؤية سياسية سليمة لبعض القضايا، ولكن يتم عدم الاعتداد بها تحت دعوى من بعض القادة فى الحزب بأن القيادة السوفيتية رؤيتها أوسع

وخبرتها أكبر.

كذلك كان الموقف بصورة أقل بالنسبة لآراء بعض الأحزاب الشيوعية، مثل الحزب الإنجليزي والفرنسي والإيطالي والسوري والعراقي - الأمر الذي كان يعطي الانقساميين مادة لتغطية عملهم الانقسامي.

فمثلاً في قضية الوحدة، فلا يختلف أي شيوعي في مصر أو في العالم كله على أهمية وضرورة وجود حزب شيوعي واحد في مصر. لكن كيف يتم ذلك ....؟ هذه فقط قضية الشيوعيين المصريين، لأنه مع احترامنا لخبرات الأحزاب الشيوعيه العالمية، فإنها لا تعرف كل الظروف والتفاصيل العديدة للوضع في مصر. وكانت نتيجة وحدة ٨ يناير بالطريقة التى تمت بها - حدوث انقسام بعد ٦ شهور فقط من إتمامها. كما كانت من أهم الأسباب لحل الحزب.

•• أكاذيب وافتراءات صابر زايد التى نشرها الدكتور رفعت السعيد :

اتصل بي الزميل نسيم يوسف حيث أفادني بقراءته لأقوال خطيرة في حقي على لسان صابر زايد منشورة في كتاب «تاريخ الحركة الشيوعية المصرية» للدكتور رفعت السعيد. وبالاطلاع على المجلد الخامس من هذا الكتاب «هكذا تكلم الشيوعيون» بالصفحة رقم ٤٩٣ ما يُسمَّى بشهادة صابر زايد - محضر نقاش ٥ يوليو ١٩٨٣، النصوص التالية :

«وعلى أي حال أنا كنت معزول تماماً عن الجميع ولم أكن أقابل إلا مسئول الاتصال وهو شخص من المجموعه الأخرى هو سامى عجيب»

«وبعد فترة قبض على مسئول الاتصال بي سامي عجيب، وأعتقد أنه عترف على مكاني في التحقيق».

«والحقيقة أن أوراق التحقيق في هذه القضية تتضمن أنه اعترف على مكان الجهاز الفني وعليَّ»

وحقيقة الأمر أن كل هذه النصوص أكاذيب وافتراءات شديدة القذارة والانحطاط لخدمة

أهداف خلقية للإساءة لفصيل «العمال والفلاحين» بصفة سامى عجيب أحد كوادره الأساسية.

مما دعانى للكتابة للدكتور رفعت السعيد فى ١٩٩٧/١٠/١٨ بما نصه الآتى :

«قرأت أخيراً كتابكم - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الخامس «هكذا تكلم الشيوعيون» حيث جاء بالصفحة رقم ٤٩٣ ما يُسمَّى بشهادة صابر زايد محضر نقاش ٥ يوليو ١٩٨٣. ولما كان ما جاء بهذه الشهادة غير صحيح بالمرة ولا يمت للحقيقة بصلة، فإن ذلك يعتبر قذفاً وتشهيراً بحقى.

لهذا فإننى أطلب منكم ضرورة وسرعة تكذيب وتصحيح هذا الوضع فوراً، وذلك عن طريق النشر العلنى وذلك خلال شهر من تاريخه مع رجاء إخطارى بذلك.

وحرصاً منى - ولعدم فتح معركة معكم فى هذا الشأن إدخاراً للوقت والجهد لخدمة القضايا الوطنية الملحة - فضلت أن تكون رسالتى هذه عن طريق البريد. والسلام عليكم.

سامى عجيب

ثم وصلنى بعد ذلك رد مطول من الدكتور رفعت السعيد مؤرخ ١٩٩٧/١١/١٨ متضمناً ما يلى :

- بأنه لا يتدخل فى الشهادة التى تُقدم له وينشرها كما هى لأنها تعبير عن رؤية أصحابها، وبأنه لم يعرف وسيلة للاتصال بى ليعرف رأيى لينشره مع رأى المرحوم صابر زايد.

- كما يذكر الدكتور رفعت السعيد أن الأستاذ مصطفى طيبه اتهم الدكتور جمال غرسه بالبوليسية، وأنه نشر فى الوقت نفسه التصويب الذى وصله من الدكتور جمال غرسه.

- وأنهى الدكتور رفعت السعيد رسالته طالباً منى أن أوافيه بردى على أقوال صابر زايد لنشرها حين تصدر لطبعة الثانية من كتابه........

وقصة هذا الموضوع تبدأ بعد حملات القبض فى يناير ومارس ١٩٥٩ وفقدان المطبعة الرئيسية، وكان لايزال طرف صابر زايد الة كاتبة وجهاز رونيو، وبصفتى المسئول المالى للحزب والمشرف على العمل الفنى فى هذا التوقيت (أى بعد يناير ١٩٥٩)، وفى نهاية يوليو

١٩٥٩، تمكنت من الاتصال بصابر زايد (وشخص آخر)، إذ أن صابر زايد كان يقوم بالطباعة ويسلم المطبوعات إلى (الشخص الآخر) الذي بدوره يسلمها لزميل آخر لتوزيعها داخل الحزب، وأصبحت المسئول السياسي عن هذه المجموعة المكونة من صابر زايد، و(الشخص الآخر) وكلاهما حدتوى الأصل.

وهذا يعني بوضوح أن صابر زايد كان على صله ايضاً بـ(الشخص الآخر)، وليس كما يدعى كذباً - بأنه لا يقابل أحد سوى سامي عجيب.

ثم تم القبض على صابر زايد وعليّ ولم يقبض علىٰ (الشخص الآخر)، وبالتحرى مع بعض الزملاء عن (الشخص الآخر) أفادوا بأن هذا الشخص مريب جداً.

كما أنه بعد القبض عليّ حددت بأنى أقيم مع عائلتي بسكنى بالعجوزة، إلا أننى وجدت رجال المباحث يقودون السيارة إلى المكان الذى كنت أختبئ فيه بالظاهر، مما يؤكد أنى كنت مراقباً، كما أصبح من المؤكد أن المراقبة وصلتنى ووصلت صابر زايد عن طريق (الشخص الآخر) الذى لم يقبض عليه.

وبعد انتهاء التحقيقات تم ترحيلنا إلى سجن القلعة ثم معتقل الفيوم ثم أوردى ليمان أبو زعبل، وهناك قابل صابر زايد العديد من قادة الانقسام وبعض زملاء حزبنا - إذ كان لايزال عضواً بالحزب (لكنه انضم إلى المنقسمين فور وصوله سجن القناطر).

وفجأة سرت إشاعة ضخمة داخل الأوردى بأن سامي عجيب اعترف على صابر زايد ومكانه، وتلقف البعض الخبر مشجعين صابر زايد في ذلك في حملة مسعورة ضدى وهى بالدرجة الأولى ضد رفاق «العمال والفلاحين» الذين كانوا قد تصدوا في المحاكم بالأسكندرية بوعى وبسالة دفاعاً عن سياسة الحزب ومفاخرين بشرف عضويتهم للحزب الشيوعى المصرى.

ثم قامت اللجنة المركزية بالأوردى بالتحقيق فى الموضوع وانتهت بأن الأمر كله فقط نتيجة مراقبة المباحث العامة.

ثم تم تقديمنا للمحاكمة فيما سُمى «بقضية يونيو - سبتمبر ١٩٥٩» من الآتى أسماءهم بالترتيب :

١ - صابر زايد أحمد اسماعيل ٢ - سامي عجيب ميخائيل

٣ - إكرام محارب غبريال ٤ - محمد مهران السيد

٥ - مصطفى عبد العزيز أحمد ٦ - نبيه زكى قلدس

٧ - وديع أمين حنا ٨ - حسن السيد حامد أبو الألطاف بدوى

٩ - محمد صبرى عبد العال ١٠ - جمال الدين الشرقاوى

١١ - إدوار ميلاد مصر.

وكانت تجميعة غريبة لزملاء بعضهم لا يعرف الآخر، ولم تكن لبعضهم أى صلة تنظيمية بالآخر، وبالنسبة لى كانت صلتى التنظيمية الوحيدة هى بصابر زايد فقط.

وفى المحاكمة - فإن كل قرارات الاتهام ومرافعة النيابة وشهادة ضباط المباحث العامة لم تُشر من بعيد أو قريب بشأن ما ادعاه - كذبًا - صابر زايد بأن أوراق التحقيق فى القضية تتضمن اعترافى على مكان الجهاز الفنى وطبه.

وعلى ذلك اعتبرت الموضوع أصبح واضحًا ومنتهيًا تمامًا.

إلى أن قام الدكتور رفعت السعيد بنشر هذه الأكاذيب فى كتابه «تاريخ الحركة الشيوعية المصرية» الأمر الذى وجدت فيه من الضرورى أن أحصل بأى شكل على ملف هذه القضية - وطوال سنتين لم أنجح فى ذلك.

وأخيراً فى النصف الثانى من شهر سبتمبر ٢٠٠٠، صدر الجزء السابع من كتاب «محاكمة الشيوعيين المصريين» «قضايا الحزب الشيوعى المصرى من عام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٢ للأستاذ عادل أمين المحامى متضمنة كامل قضيتنا (قضية يونيو - سبتمبر ١٩٥٩) شاملة كل التحريات والضبط والتفتيش والمطبوعات واستجواب كل زملاء هذه القضية، وليس بها ما ادعاه - كذبًا وجرمًا - صابر زايد.

وأقول للأخ الدكتور رفعت السعيد - ألم يكن واجبك الأول وقد تصديت لكتابة تاريخ الحركة الشيوعية المصرية تحري مجرد الدقة العادية فيما تنشر، باطلاعك على أوراق القضية لتتأكد من صحة ما يقول صابر زايد قبل النشر - خصوصًا إذا كان الأمر توجيه الاتهام - بالانهيار والخيانة - لأحد كوادر الحزب القياديين.

وهكذا كانت الانتسابية والحلقية تهدر كل ما هو طيب ومشرف فى تاريخ حزبنا، فبدلاً من الإشادة بالقوة والصلابة فى مواجهة التعذيب الوحشى، لزميل كان على اتصال بأغلبية كوادر الحزب الهاربة وعلى رأسهم سكرتير الحزب ولم تنجح المباحث العامة فى الحصول على أى معلومة منه.

وبدلاً من الإشاده ... كان الاتهام بالانهيار والخيانة.

•• الزملاء الشهداء الذين عرفتهم :

– الزميل الشهيد المهندس رشدى خليل : عندما تم تصعيدى لعضوية قسم الطلبة كان الزميل الشهيد هو مسئول القسم، كان مثالاً للنشاط والصدق والإخلاص – من عائلة قدمت الكثير للكفاح الوطنى الاشتراكى.

كان له أخ طيار استشهد فى حرب فلسطين – والأخ الآخر هو الدكتور فتحى خليل وهو مناضل شيوعى أيضاً قضى عدداً من السنوات فى السجن.

وله أختان كانتا أيضاً مناضلين شيوعيتين أما السيدة الفاضلة والدتهم فكان بيتها مفتوحاً لكل المناضلين الوطنيين والاشتراكيين.

آخر مرة رأيته فيها فى الأوردى وكان فى عنبر ٣ وأنا فى عنبر ٢ وكنا عائدين من الجبل – رأيته بسير حانى الظهر شاكياً من آلام ضخمة فى ظهره.

بعد ذلك ارتفعت درجة حرارته، وعلمت بعد ذلك بأن إدارة الأوردى نقلته فى عربه نقل ورمته على سلالم المستشفى بعد رفض المستشفى استقباله لأنه كان قد فارق الحياة.

– الزميل الشهيد لويس اسحق : كان زميلاً بسيطاً واضحاً خجولاً صريحاً، قابلته أول مرة فى «مؤتمر العمال والفلاحين» وبعد ذلك كأعضاء فى اللجنة المركزية «للعمال والفلاحين». كان هادئ الطباع يفكر كثيراً قبل أن يتحدث المختصر المفيد. وفى أثناء المعركة المفتعلة بيننا وبين حرس السجن أطلقوا النار علينا وأصيب الرفيق لويس ونقلناه إلى داخل العنبر، ورفضنا فى البداية تسليمه لإدارة السجن لنقله للمستشفى، لكن بعد تأكدنا بأن حالته متأخره ولا يوجد أى

نوع من العلاج في هذا السجن، واتفقنا على نقله للمستشفى وبعدها بيوم واحد علمنا بوفاته، ولا ندرى بالضبط ما حدث هناك.

- **الشهداء** : الدكتور وديع فريد حداد، وشهدى عطية الشافعى.

للأسف كانت علاقتى بهما سريعة لا تعطينى الحق فى التحدث عن هذين المناضلين الكبيرين، غير ما سمعته عنهم من إخلاص شديد ونضالية عالية وتضحيات ضخمة على طريق الشيوعية.

ولهذا يجب توثيق دور هؤلاء الشهداء، وكذلك بعض الرفاق الذين فارقوا الحياة مثل الزملاء، عبد المنعم شتله، لسيد فتحى سالم، عدلى جرجس، سعد رحمى، محمد بدر، فؤاد عبد المنعم، عوض الباز، محمود العسكرى (الحقيقة لا يمكنى حصر كل هؤلاء المناضلين الذين أدوا أدواراً مهمة، وتضحيات كبيرة فى سبيل قضية الشيوعية، بعضهم فارق الحياة خارج مصر مثل ريمون دويك، وأحمد صادق سعد).

شهادة

سعد جويدة

الاســــــم : سعد محمد جويدة

المـهـنـة : عامل

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية :

المـؤهـلات : حصلت على الشهادة الابتدائية القديمة.

ثقفت نفسي بقراءات كثيرة في كل الموضوعات (أدبية وغير أدبية).

أبي عربي من قبيلة السناجرة أولاد علي بالصحراء الغربية. وأمي مصرية. كان أبي يعمل في شبابه في الحرس الخاص لبرنس عمر طوسون، ثم عمل بنّاء منازل. كان يحصل على يومية قدرها جنيهاً كاملاً، عندما كان الجنيه الورق أحسن من الجنيه الذهب. أيام كنا نذهب إلى البقال ونقول: بتلاتة مليم سكر، واتنين مليم شاي، ونأخذ حتى حلاوة فوق البيعة.

كان أبي مرتاح الحال، وكنا نسكن في باب سدره في شقة من حجرتين وصالة. أبي وأمي وثلاثة أشقاء صبيان كنت أكبرهم. وكان لي ثلاثة أخوات كن متزوجات أيضاً.

كانت أمي مريضة نفسياً بسبب أزمة عائلية. ولذا لم أعرف حنان الأم مثل كل الناس لأنها كانت لا تعي شيئاً. دخلت أمي مستشفى الأمراض العصبية بالقاهرة، وكان على أبي رعايتنا ورعاية أمنا. كان عمري خمس سنوات. أدخلونا الملاجيء، وكان الدخول بالواسطة حيث إن أبي وأمي كانا موجودين. أدخلتنا خالتي بواسطة أقاربها الأغنياء. دخلت أنا الملجأ العباسي التابع للجمعية الخيرية بالشاطبي. ودخل أخي أحمد ملجأ البلدية بكوم الشقافة ودخل عمر ملجأ في محرم بك.

دخلت الملجأ في سن الخامسة وبقيت به حتى سن الخامسة عشرة. كنت أشقى تلاميذ الملجأ الذين يبلغون ٣٠٠ تلميذاً. فعينتني ناظر المدرسة باشويش ومعي شاويش وأنباشي بروجي. فحكمت المدرسة حكماً عسكرياً. كان عليّ إيقاظ التلاميذ في السادسة صباحاً يفطرون ثم فصول التعليم ثم الغذاء ثم الورش.

كان الملجأ لا يطعمنا مجاناً. كانت هناك ورشة السجاد، بها أفخر أنواع السجاد، وورشة لخياطة الملابس وورشة الفرش. وكان كل ذلك يباع بأغلى الأسعار. وكانت هنالك فرقة موسيقية

تؤجر فى أفراح الأغنياء وجنازاتهم. وكنت أنا عضواً فيها على آلة الباص التى كنت أجيد العزف عليها، وأفرح يوم أن يكون هنالك فرح أو جنازة للأغنياء. إذ كانوا يوزعون علينا النقود والهدايا. وكنا نخرج كل سنة فى طابور عرض فى شوارع الأسكندرية، وورائنا تلاميذ جميع مدارس الأسكندرية. وكان منظرنا يفرح الناس، لأننا كنا صغار السن ونجيد العزف مثل فرق البوليس والجيش.

الخلاصة أننى تربيت فى الملجأ فى يسر وراحة فى الوقت الذى كان فيه حال الناس من طبقتى، فى الثلاثينيات من القرن العشرين، حالاً سيئاً. الأزمة الاقتصادية كانت تطحن الناس، الذين يعانون المشقة والعذاب فى سبيل لقمة العيش. كنت أنا فى مثل هذه الظروف آكل كل يوم لحماً وأرز وسمك وخضار مطبوخ. آكل ثلاث وجبات جيدة.

مات أبى. وجاء أولاد عمى العرب وأخرجونى من الملجأ على غير رغبتى وأنا فى الخامسة عشر من عمرى، واستقر بى الأمر عند أختى وكانت متزوجة من ابن عمتها الذى كان يعمل سائقاً عند أحد الباشاوات. فأخذنى وأدخلنى سبورتنج كلوب كى أقوم بجمع كور التنس. كنت أكره هذا العمل وأحتقر نفسى، لأن عملى هو جمع كور اللاعبين الأجانب الإنجليز والمصريين. وكان الملجأ سيعيننى ضابط ألعاب حين أبلغ ستة عشر عاماً.

كان أجرى، فى النادى، جنيهاً شهرياً، وكنت أكسب كل يوم ٢ جنيه من الإنجليز الذين كنت أكرههم، وكانت أختى تأخذ منى كل ما أكسبه. ظللت فى هذا العمل مدة سنة، ذهبت للعمل فى مصنع سباهى بسبعة قروش فى اليوم والعمل من السابعة صباحاً إلى السابعة مساء. كان الشباب العاطل يقف بالمئات أمام باب المصنع، والأيدى العاملة رخيصة للغاية. كرهت نفسى أكثر إذ بعد كسبى ٢ جنيه فى اليوم فى الهواء الطلق والخضرة والزرع أصبحت أعمل ١٢ ساعة بسبعة قروش. بعد ستة شهور مرت كالجحيم. كرهت أختى التى أخرجتنى من الملجأ وذهبت عند أختى الثانية، وكان زوجها تاجر فحومات، ميسور الحال، فأخذنى إلى ورشة خراطة لأتعلم، كنت أود أن أكون أحسن مستوى من عامل الغزل المطحون. تعلمت البرادة خلال ثلاثة شهور، وذهبت للعمل فى الجيش الإنجليزى فى الدخيلة فى الصحراء. عُينت براد سلاح طقشجى بخمسين قرشاً فى اليوم.

لم أكن في تلك الأيام أعرف شيئاً عن السياسة، لكنني كنت أكره الإنجليز لأنهم يحتلون أرضي. عملت عند الإنجليز أثناء الحرب العالمية الثانية، وكنت في حدود ١٨ عاماً، كنت أميل للألمان، وأنا لا أعرف شيئاً عن الفاشية والديكتاتورية إلى أن انتهت الحرب وأصبحت مرة ثانية في الشارع بلا عمل.

عملت في ورشة ترام الأسكندرية بـ ٤٠ قرشاً في اليوم مدة سنتين. ثم عملت بشركة الغزل الأهلية بكرموز كعامل صيانة. وكنت حينذاك في العشرين من عمري.

كنت أقرأ كثيراً، لا أترك مجلة أو كتاب أو قصة إلا وقرأتها. عرفت في تلك الأيام طه حسين ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد الرحمن الرافعي.

كنت أميل لحزب الوفد لأنني كنت أكره بطبعي الأحزاب الطبقية المتواطئة مع الإنجليز. وكنت أرى في الوفد حزب الطبقات الشعبية، وكنت أحب النحاس باشا وأؤيده في كل صراعاته مع الملك. كنت أكره كل من يؤيد حزب السعديين أو الأحرار الدستوريين لأنهم عملاء الإنجليز. ولم أكن حينذاك أعرف شيئاً عن الماركسية، لم أكن منظماً عام ١٩٤٦، كنت من المتعاطفين مع حزب الوفد. وقد اشتركت في ثورة ٤٦ أيام إضراب البوليس. وقد عمل عمال شركة الغزل الأهلية إضراباً عن العمل للمطالبة بثماني ساعات عمل بدلاً من ١٢ ساعة عمل. كنت وسط الجماهير الثائرة وقد أطلق عليَّ الرصاص من قوات الجيش.

•• كيف تعرفت على الفكر الماركسي:

عندما كنت أعمل في شركة الغزل الأهلية، لم أكن راضياً عن حالتي الاجتماعية. كنت ثائراً في داخلي ثورة كبيرة.

يوم أن دخلت المصنع وجدت على ماكينة النسيج منشوراً. فظللت أبحث بكل قوة عن من فعل ذلك، حتى وفقت وعرفت أحد الزملاء لا أذكر اسمه، فأخذني إلى منزل به سيدة تعمل خياطة. وكانت من أشد الناس ثورية ونهماً وثقافة. وأنا لا أذكر اسمها الآن، لكنني سمعت أنها كانت تعمل بشركة الغزل الأهلية، ثم تزوجت أحد الرفاق وكان اسمه على ما أتذكر عبد

المنعم ابراهيم وكان ثوريًا مثلها. وكان هذا الزميل يعطينى الكثير من الكتب الماركسية مما زاد وعيي الطبقى. وظللت أجتمع بهذا الرفيق إلى أن جاء زملاء آخرون. وقد قرأت فى تلك الأيام المادية الجدلية لستالين والبيان الشيوعى لكارل ماركس وفردريك إنجلز.

كان التنظيم الذى ارتبطت به هو الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى. والتى كانت تُسَمَّى اختصاراً "حدتو". وكانت حدتو حركة ماركسية تعتمد على حركة الفلاحين أكثر مما تعتمد على الحركة العمالية.

•• المنظمة الشيوعية المصرية (م.ش.م) :

كنت يومًا جالسًا على مقهى، فجاءنى أحد الزملاء الذين كنت أعرفهم فى حدتو، وقال لى نحن تنظيم جديد نعتمد على الحركة العمالية لأنها أكبر تنظيمًا من الفلاحين وأشد ثورية. ولما كنت عاملاً فإننى سرعان ما انضممت إلى المنظمة الشيوعية المصرية "م.ش.م" لأنها أكثر ثورية وأكثر يسارية. كانت هذه المنظمة انقساماً على حدتو. كنت فى حدتو عضواً صغيراً غير مسئول لا أعرف شيئًا عن المؤتمرات أو المستويات التى هى أعلى من مستواى. غير أننى أسجل هنا أن "م.ش.م." كانت أكثر نشاطًا وتحركًا فى أوساط الطبقة العاملة. وقد ارتفع مستواى من لجنة مصنع إلى لجنة مدينة بسبب كثرة القبض على عناصر "م.ش.م." كان التنظيم فى حاجة ماسة لي وكان نشاطى النضالي أكثر من نشاطى فى حدتو.

التقيت عناصر كثيرة مثقفة كان أحدهم اسمه الحركى جبراني، وقد أعطانى هذا الزميل من الكتب والعلم الكثير. وأخذنى إلى القاهرة وسلمنى لزميلة مصرية سلمتنى فى ذات اليوم إلى ثلاثة عمال، نمت معهم. وكانت الزميلة قد طلبت منى أن أذهب فى العاشرة من صباح اليوم الثانى إلى ميدان وصفته لى وأمسك جريدة فى يدى اليسرى وأضع منديلاً فى جيب الجاكيت، ليجيء لى زميل ليسألنى عن الساعة فأقول الحادية عشرة. وجاءنى بالفعل الزميل ومعه عربة، وكان اسمه المستكاوى أخذنى إلى مستشفى القصر العينى وسلمنى إلى أحد الأطباء الذى ترك لى الحجرة وأتى لى بالطعام. وفى الصباح أخذونى إلى طبيب الأمراض العصبية حيث بقيت ١٥ يوماً بالمستشفى ولما عرف الطبيب أننى من الأسكندرية قال لى يمكن

معالجتي هناك. فجاءني المستكاوي وأخذني إلى المحطة وسافرت إلى الأسكندرية.

كنت قد مرضت بالسل. عدوى من أخي فطردتني شركة الغزل الأهلية فكانت النقابة تعطيني معونة قدرها ٢ جنيه شهريًا، فأعطاني تنظيم م.ش.م أربعة جنيهات، فأصبح دخلي ستة جنيهات. كنت أسكن منها في مسكن مكون من حجرتين بستين قرشاً.

في أوائل ١٩٤٩ أعطاني التنظيم مكتبة ضخمة من الكتب العربية والأجنبية كي احتفظ بها عندي، كانت الحالة السياسية شديدة التوتر، بعد مقتل محمود فهمي النقراشي من الإخوان المسلمين، وكان إبراهيم عبد الهادي رئيس الوزراء يحاصر الأحياء حياً حياً بحثًا عن الإخوان المسلمين، ولا مانع طبعاً من القبض على العناصر الماركسية فهي عنده وعند الطبقة أخطر وأشد نضالاً من الإخوان. كنت أسكن في بولكلي وكانت المكتبة عندي، أعطتها لي مسئولة التنظيم وكانت فتاة أجنبية لا أتذكر الآن اسمها الحقيقي أو الحركي. فلما طلبتها مني، كنت قد تصرفت تصرفًا خاطئاً للغاية، إذ أخذت المكتبة ووضعتها عند أحد الزملاء في محرم بك، بدون إذن تنظيمي من المسئولة، فقالت لي لابد من إحضارها من عند هذا الشخص لأنه مشبوه. فطلبتها من الزميل المشبوه فقال لي إنها في بيت أخته، فلما ذهبنا إلى البيت لم تكن المكتبة هنالك، وأتى بها من منزل آخر. فشككت فيه أكثر. وكانت الكتب موضوعة في صناديق أحذية. فركبت الترام من محطة مصر والكتب موضوعة على أرض الترام في آخر العربة الأولى. فلما ركبت ركب معي فقلت له اركب ترام اخر، فأصر على الركوب معي لأنه سوف ينزل في المنشية. لكنني أنزلته على قمة شارع فؤاد.

كان الترام يسير على قضيب واحد والترام الآخر ينتظر مروره. كنت أقف بجوار الكتب وتحت إبطي كيس به أوراق هامة للتنظيم، عندما صعد عسكري بوليس أنيق وله شارب وأخذ من تحت إبطي الأوراق وسد عليّ الطريق، فابتسمت له، فاطمئن وترك لي باب الترام، وكان الترام يسير ببطء شديد، فقفزت منه في سرعة عند قمة شارع السلطان حسين؟ وأخذت. كنت ألبس بلوفر بني وبنطلون رمادي، غيرت وأنا أجري شكلي بأن قلعت البلوفر. وظللت أجري حتى وصلت جامع إبراهيم في محطة الرمل، فأخذت تاكسي إلى سبورتنج حيث كانت الزميلة تنتظرني في مقهى، لكنني نزلت في زقاق قبله ثم ذهبت إلى الزميلة وأخبرتها بما جرى.

كنت فى ذلك الوقت مريضاً بالسل كما سبق وقلت، فأعطتنى الزميلة عشرة جنيهات وقالت لى أعط الدكتور خمسة جنيهات، وأدخل المستشفى للعلاج واختفي مدة شهر على الأقل.

فى يوم من الأيام سألتنى الزميلة الأجنبية إن كنت أعرف كتابة منشور سياسى للعمال. فقلت لها : نعم. كتبت المنشور ووافقت هى عليه وقالت لى أطبع منه نسخًا كثيرة، وأعطتنى عشرة جنيهات فاشتريت رزمة ورق أبيض وكربون وعلبه بالوظة وجاءنى يومها زميل يدعى كريم زكى الخرادلى. كان عندى مرآة داخل برواز أخذتها وعملت منها مطبعة بالقطعة. عملت حاجزاً من الورق للمرآة، أحضرت البالوظة بعد تسخينها ثم وضعت الكربون عليها. وأخذت أطبع حتى طبعت الرزمة كلها. وأعطيت المنشورات إلى كريم زكى الخرادلى.

•• القبض عليّ :

كانت الزميلة قد حذرتنى من النزول من المنزل مدة شهر، لكننى بعد أن طبعت المنشورات ذهبت إلى المستشفى، لأننى كنت آخذ حقنة كل أسبوع اسمها إبرة استرداح، وهى تؤخذ فى الصدر بواسطة الطبيب. كان فى المستشفى زميل مريض بالسل وكان مطلوباً منى أن أعطيه نسخة من المنشور. فى اليوم التالى ذهبت إلى القهوة. كان لدى فى شقتى مجموعة كبيرة من الكتب للمرة الثانية وعلبة البالوظة. بعد ربع ساعة حضر زميل من أيام الدراسة وكان يعمل معى بشركة الغزل الأهلية فطلبت له فنجاناً من الشاى. غير أنه قبل أن يشربه فوجئنا بأربعة ضباط طوال وضخام هم ممدوح سالم، والسيد فهمى، وسمير درويش وسعد لعل يخطفوننى أنا وصديقى من على المقهى إلى سيارتهم التى كانت تقف على بعد مائة متر، إلى قصر البوليس السياسى بالمحافظة القديمة. كان الذى أرشد عنى هو ذلك الزميل الذى أعطيته المنشور فى المستشفى. كان هو الوحيد الذى يعرف مكان أختى فى كوم الشقافة وكنت قد أريته فى منزل أخى الذى يوجد بجوار منزل أختى وقت أن كان هارباً من البوليس، ويعرف مكان القهوة التى أجلس عليها فى باب سدره . كان قد باع نفسه للبوليس. ولم يكن أحد غيره يعرف كل هذه الأماكن.

فى المحافظة فتشونى، وجدوا معى نوتة كنت أدون بها بعض الذكريات، وعرفوا من أسلوبى أننى ماركسى.

أردت أن أخرج هذا الصديق من القضية، لأنه لا ذنب له ولا يعرف شيئاً عن نشاطي السياسي. سألني سمير درويش عن علاقة هذا الشاب ولماذا يجلس معه على المقهى فقلت إنه مجرد صديق. سألني أين أسكن فقلت له إنني أسكن في بولكلي عند أختي. فقالوا ساكن في الرمل وتجلس على مقهى في باب سدره، فقلت من باب السخرية "علشان هنا فيه بنات حلوين" فكان نصيبي الضرب بالشلاليت والصفع من ممدوح سالم. غير أن سمير درويش قال: سيبوه : دا مريض بالسل. ثم سألني بعد أن اطلع على ورقة في الدرج عن أختي فذهلت أنهم يعرفون كل شيء، وأخذت أبحث في ذاكرتي عمن يعرف من الزملاء منزل اختي. وكان هو ذلك الزميل المريض بالسل، هو الذي يعرف هذا المكان.

أخذوني إلى منزل صديقي المقبوض عليه معي، ولم أكن أعرفه ثم طلعوا وظللت أنا بالعربة. ثم توجهوا إلى بيت أختي في كوم الشقافة وتركوني بالعربة ثم عادوا بعد ربع ساعة ومعهم أحد أقرباء زوج أختي، وكان يعرف سكني الذي به المطبعة والكتب وابنة اختي التي كانت تنظف المكان في ذلك اليوم. أخذوني إلى مسكني بعد استخراج أمر تفتيش، وعندما وصلت وجدت الباب مغلقاً ففرحت جداً، لأن المكان قد أصبح نظيفاً. قالوا افتح الباب فرفضت. فضرب سعد عقل الباب بحذائه فانفتح ووجدت الحجرتين نظيفتين والسرير مفروش ولا توجد كتب أو ورق أو بالوظة والمرآة معلقة على الحائط. فأخذوا يسبون أهلي. وأخذ المخبرون يمزقون المراتب والمخدات، وفجأة أمسك سعد عقل المرآة التي على الحائط ففرحوا جداً وقال لهم: خلاص هيا بنا.

تحملت مسئولية القضية كاملة. ودخلت سجن الحضرة الرهيب. لم أكن قد دخلت قسم بوليس قبل ذلك . وضعت في السجن في عنبر ١٠ الذي كان مملوءاً بالإخوان المسلمين وحدتو وم. ش. م. كانت م. ش. م. تسكن في غرف مستقلة، وكانوا أقل كثيراً من حدتو. كلما سألت عن ذلك قيل لي إن حدتو خونة وبوليس فلم أقتنع، كنت في طابور الشمس أترك م. ش. م وأذهب إلى حدتو، وكان فيها كمال عبد الحليم وجان لبيرفيتش، الذي كان أخوه في م. ش. م ولا يكلمه أبداً. وكان ذلك أول صدام لي مع م. ش. م لم أقتنع أن كمال عبد الحليم مسجون خمس سنوات وبوليس وخائن.

•• تجربتى فى السجن :

دخلت السجن وأنا مريض بالسل. كنت أعالج من قبل فى المستشفى الأميرى. كان هنالك عداء شديد من م. ش. م لحدتو، ولم أكن مقتنعاً بذلك. طلبت من قيادى م. ش. م داخل السجن كريم الخرادلى، كما بدا لى، مساعدتى للخروج من السجن كى أعالج فى المستشفى. كانوا يضربون عن الطعام كثيراً لمطالب مثل إنارة الزنازين بلمبات كهربائية، وأن تحسن الإدارة من أكل السجن. لكن رد التنظيم كان أننى ممكن أن أموت شهيد الحركة الماركسية. لن نساعدك فى موضوع شخصى. كان هذا ردهم. وكنت كلما نزلت إلى طبيب السجن يصرف لى مزيج صدرى ويقول لى : "نظر"، ولما فاض بى الكيل ووجدتنى أموت فى الزنزانة فعلاً فوق أرضيتها الأسفلتية والبورش والبطانية الواحدة، وأكل العدس والفول بسوسه الضخم فى حجم الصرصار، وأن التنظيم لا يريد مساعدتى بالتحدث إلى الإدارة أو طبيب السجن، قررت أن أستقيل من م. ش. م وكنت قد نقلت من عنبر ٦ بعيداً عن الشيوعيين. وأرسلت لهم الاستقالة مع سجين عادى. وكان نصها كالتالى :

"حضرات أعضاء م. ش. م بعد تفكير طويل عريض وتمحيص ووعى وإدراك وطول أناة وروية، قررت أن استقيل من م. ش. م لأننى كما تعلمون مريض، وهذا المرض يجعلنى ضعيف الإرادة، فما بالكم وأنتم تريدون عناصر من صلب وفولاذ، وأنا قلبى من صفيح. فإن أحيانى الله فلعله تكون عندى صلابة المكافحين أمثالكم. وحضرة المحترم الكريم كريم يقول وصراخ عال، إنه ليس مهماً أن أتعالج وأنا أقول لحضرة المحترم الكريم كريم: إن الماركسية إنسانية وليست حيوانية لكننى سأظل ما حييت أؤمن بمبادىء م. ش. م.

لكننى عدت إلى عنبر ١٠ مع م. ش. م فقالوا عيب تستقيل وأعطونى ورقة وقلم وقالوا لى انقد ذاتك. كنت أعيش فى زنزانة انفرادية لمرضى، فلما جلست ساعة القيلولة أنقد ذاتى، فوجدت أننى قد تصرفت تصرفات فردية كثيرة، وعصيت الأوامر، وكنت أسير فى طابور الشمس مع حدتو وليس مع م. ش. م، لكننى وجدت أيضاً أن حركة م. ش. م. قد تصرفت معى تصرفات خاطئة كثيرة، بأن رفضت التعاون معى فى الصراع ضد إدارة السجن والطبيب.

فوجئت أثناء كتابتى النقد الذاتى بدخول شاويش العنبر. لم أحس به وأخذ الورقة والقلم، وتلك كانت ممنوعات. ثم أخذتنى إدارة السجن إلى عنبر التأديب وأعوذ بالله من عنبر التأديب كان عبارة عن حجرة ضيقة، عالية جداً، بلا شبابيك. فى أول يوم فى زنزانة التأديب فقدت الوعى وتورم جسدى. فأخذت أدق على باب الزنزانة إلى أن جاءنى الشاويش. فقلت له بلغ الإدارة أن لدى أقوالاً أريد أن أقولها، وسرعان ما أخذونى إلى حجرة مساعد المأمور. ففتح محضر تحقيق فقلت له لدى أولاً أقوال أود الإدلاء بها. فقال : قل. قلت: إننى أتهم إدارة السجن بالتآمر على قتلى داخل التأديب لأننى مريض بالسل وليس مكانى السجن أو التأديب. فى صباح اليوم التالى جاءنى مساعد المأمور ومعه طبيب السجن، وكان رجلاً لا ينتمى إلى الإنسانية فى شىء. كان وحشاً، فلما رآنى قال: مالك؟ قلت : عيان. قال لى: طلع لسانك. أنت بتستعبط قلت : أنا عيان بالسل ويلزمنى عمل أشعة صدرية، وعمل تحليل بصاق. قال لى: أنا الدكتور. ثم أخذ الورق من المأمور ووقع عليه بأنه مسئول عنى. ثم أخذونى ثانية للتأديب. أى أن الإدارة لم تعد مسئولة والمسئول هو الطبيب، وكان اسمه صالح شكرى، يعمل عند الملك فى جبال الأوردى التى كانت مكان المعمورة الآن. وكان الملك يهدم هذه الجبال بالمساجين. وكان هذا الطبيب يضع شاطىء المسجونين المرضى فى مكان اسمه الحمامات وقد كُبلوا بجنازير الحديد، والحمام مملوء بالمياه، فيمكث فيه المسجون مدة يومين ثم يصاب بالتهاب رئوى حاد. وكنت أرى هؤلاء المساجين فى عنبر ستة. وجدت أن هذا الطبيب يريد قتلى من التأديب. فقلت للشاويش عندى أقوال أود أن أقولها. وعندما ذهبت إلى نائب المأمور طلبت ورقة وقلماً لتسجيل أقوالى. كتبت:

"حضرات أصحاب العزة والسعادة هنالك مسجون يقتل مهما كان أصله عاليا أو واطياً. فلابد أن تفعلوا شيئاً. لقد تآمر الدكتور صالح شكرى مع إدارة السجن على قتلى فى التأديب. إن مكانى ليس التأديب أو السجن، ولكن المستشفى. لقد اخترع الدكتور صالح شكرى من وسائل القتل والإبادة بالجملة ما يفوق أفران النازى وبنادق الفاشست. لقد تجرد من جميع صفات الإنسانية وأصبح كالوحش، أظافره فى أجساد ضحاياه».

ثم طلبت خروجى من التأديب وعلاجى بالمستشفى. هذا الكلام فردى وذاتى، ولكن ماذا يفعل مريض بالسل تخلى عنه التنظيم؟

طلبت النيابة التحقيق فى الورقة التى ضبطت معى فى السجن، أى أنهم عملوا لى قضية ثانية. ذهبت إلى وكيل النيابة وكان معى ضابط حارس يقف ورائى وأنا جالس على كرسى. سألنى وكيل النيابة عن الورقة، ماذا كنت أكتب فيها ولمن كنت أكتبه؟ فلما بدأت الكلام، قال لى: انتظر، ثم بدأ يملى الكاتب. فقلت لوكيل النيابة : بلاش تزوير. فبهت وفوجئ وقال الضابط لى: كيف تقول لوكيل النيابة بلاش تزوير، فقلت لوكيل النيابة : لو سمحت اخرج هذا الضابط بره فقال له : لو سمحت أخرج ثم قال لى: كيف تقول لى بلاش تزوير. قلت، أريد تسجيل كل كلمة أقولها وبنفس اللهجة، وأنت تقول للكاتب كلامى. بعد ذلك بعدة أيام جاءنى فى السجن وقال لى : يا سعد انت مريض بالسل فعلاً، وقد أرسلنا أوراقك إلى مدير مستشفى الصدر بكوم الشقافة غير أنه رفض علاج المساجين لما سيسببه ذلك من متاعب له .. قال لى ذلك، لكنه أرسل أوراقى إلى وزير الصحة، فوافق الوزير على علاجى بكوم الشقافة رغم أنف المدير.

وحتى الآن لا أعرف لماذا ساعدنى وكيل النيابة كل هذه المساعدة رغم أنى أسأت إليه وقلت له بلاش تزوير.

بعد ستة شهور من وجودى بمستشفى الصدر، طلبت للمحاكمة. كنت فى غرفة المداولة أنا والحارس. ووكيل النيابة وثلاثة مستشارين والمحامى الذى انتدبته المحكمة. لم يكن لى محام، ولم يطلب التنظيم محام للدفاع عنى. بدأ المحامى بقوله: هذا الإنسان البائس الفقير. فرفعت يدى أطلب إعفاءه وأن أدافع أنا عن نفسى. قلت:

"هذه المحاكمة محاكمة باطلة. فأنتم تحاكموننى على أساس قانون صدقى باشا عام ٣٦، وهذا القانون باطل أيضاً. لأن صدقى باشا قد دعا البرلمان على وجه الاستعجال للموافقة على هذا القانون، ولم يكن هنالك وجه للاستعجال فوافق عليه مجلس النواب ولم يوافق عليه مجلس الشيوخ. ثم أن دستور سنة ١٩٢٣ يقول فى المادة ١٢ منه بأن حرية الاعتقاد مطلقة. والمادة ١٤ تقول إن لكل إنسان الحق فى الإعراب عن فكره بالقول أو الكتابة أو التصوير. هكذا إذن تكون هذه المحاكمة محاكمة باطلة: قالوا : هل هنالك شئ آخر لديك. قلت: كلا. قالوا: الحكم بعد المداولة. وبعد المداولة قال القاضى: حكمت المحكمة على سعد محمد جويدة بالسجن ثلاث سنوات والمراقبة ثلاث سنوات و ٢٠٠ جنيه غرامة مع استعمال الرأفة.

أخذني البوليس من المستشفى إلى السجن. كنت قد أمضيت سنتين تحت التحقيق، وقضيت في السجن سنة تحت إشراف الدكتور صالح شكرى، لكنني كنت أعيش عيشة أفضل من عيشتى فى الخارج. كان الأكل بيض ولبن وحلاوة طحينية هذا فى الصباح. أما الغداء فكان ربع أقة كبده وفروانة عدس ممتاز. وفى المساء فروانة خضار اللحم مع الفاكهة. كل ذلك كان يصرف لى يوميًا تحت إشراف الدكتور صالح شكرى الذى لم يكن يتكرم علىَّ فى الماضى بغير مزيج صدرى.

•• الوضع بعد الإفراج :

خرجت من السجن فى أوائل ١٩٥٢ لم يكن لى اتصالات بالحركة الشيوعية المصرية ولا بتنظيم م.ش.م. كان على أن أبحث عن قوت يومى، ولم يكن لى اهتمامات ولا لدى وقت لمعرفة ما يجرى على الساحة عن الحركة الشيوعية.

•• مواقف المحترفين :

دور المحترفين مهم جداً لأى تنظيم ثورى، فبدون المحترف الثورى لن يقوم نشاط لتنظيم وأنا أكن لهم احتراماً كبيراً.

•• اليهود :

موقفى من اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية موقف إنسانى لا تصلب ولا تعصب. الصهيونية حركة عنصرية.

•• الفلسطينيون :

كنت متعاطفاً مع الفلسطينيين، أريد قيام دولة فلسطينية ديمقراطية يعيش فيها اليهود والفلسطينيون فى مساواة تامة وليس إقامة دولة عنصرية صهيونية.

•• مصطفى خميس والبقرى :

كنت أثناء أحداث كفر الدوار بالسجن، أمضى ثلاثة شهور الغرامة التى كان قدرها ٢٠٠ جنيهاً، ورأيت مصطفى خميس والبقرى وهما يعدمان. وهذا عمل جائر ظالم بكل معنى، وموقف خاطىء جداً من ثورة يوليو إذا كانت ثورة؟! كنت أراهم مكبلين بالحديد، مع العلم أن ابن حافظ عفيفى كان يتجول بالروب دى شمبر فى طرقات السجن ثم خرج بعد فترة قصيرة.

•• الإخوان المسلمون :

منذ قبل دخولى الحركة الماركسية كان موقفى منهم موقفاً عدائياً، لأنهم يلعبون بالدين وهم عندى أخطر من الحكم العسكرى وقانون الطوارىء، إنهم يريدون إقامة الدولة الفاشية الدينية، التى لو قامت، لا قدر الله، لن تبقى ولن تذر.

•• الانتخابات

موقفى من الانتخابات منذ قامت ثورة يوليو هو عدم التأييد، لأنها جميعها انتخابات مزورة تحت سلطة الحكم العسكرى الفاشستى.

شهادة

عبد المنعم ناطورة

الاســـــــــــم : عبد المنعم على نطورة

تاريخ ومحل الميلاد : عام ١٩١٥ سرسنا بمركز الشهداء / المنوفية.

المـــهـــنـــة : الاشتغال بأعمال كثيرة، مساعد لعمال البناء، وعامل بمحل فاكهة، وعامل بمطعم ثم عامل بشركة الغزل الأهلية بالإسكندرية ثم عامل بشركات غزل ونسيج أخرى.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية :

فترة السجن والاعتقال : من ١٩٥٤/١٠/١٧ لأقل من عامين، ومن ١٩٥٩/١/١ لمدة تزيد على خمس سنوات.

ولدت بقرية سرسنا بمركز الشهداء / المنوفية، وكان والدى من التجار الصغار، يقوم بالتجارة فى الحبوب والأقطان وغيرها، كان يكسب رزقه يومًا بيوم، ولذلك كان يعيش أيامًا فى بحبوحة وأيامًا فى عسر، وكان رجلاً خيراً، تزوج والدتى ومعها أولاد من زوج سابق وقام بتربيتهم، وكان لى خال اسمه سيد أحمد سعد استشهد فى حادثة دنشواى، ودنشواى تبعد عن قريتنا بحوالى ثلاثة كيلو مترات، وقد توفيت والدتى وأنا فى نحو العاشرة من عمرى، وترتب على وفاتها أن خرجت من كُتَّاب القرية، الذى تعلمت فيه القراءة والكتابة وذلك حتى أقوم بخدمة والدى.

ونتيجة قسوة أخى الأكبر غير الشقيق، والذى كان قد رباه والدى هو وإخوته، اضطررت إلى ترك بيت والدى بالفرار إلى الإسكندرية مشيًا على قدمى وأنا فى نحو الرابعة عشرة. وفى الإسكندرية قمت، بمساعدة أولاد بلدنا، بالعمل فى أعمال كثيرة، فاشتغلت عاملاً فى محل لبيع الفاكهة ثم عاملاً فى مطعم ثم عملت بشركة الغزل الأهلية، بقسم الغزل الذى كان يعمل به الأولاد الصغار. انضممت وأنا فى السابعة عشرة إلى اتحاد العمال الذى أسسه النبيل عباس حليم والذى كان شعاره مبهراً جداً لأمثالى «الفرد للجماعة والجماعة للفرد». وفى عام

(أعد الشهادة أ. رمسيس لبيب عضو لجنة التوثيق، من شرائط التسجيل الصوتية التى تركها عبد المنعم نطوره لأولاده والمحفوظة بمركز البحوث العربية

١٩٣٦ كان مصنع المحله الكبرى فى حاجة إلى عمال بأجر أكبر من الأجر الذى كنت أتقاضاه؛ فالتحقت أنا وعدد من العمال بشركه الغزل الأهلية، ثم استغنى مصنع المحلة عن عدد من العمال وأنا منهم فعدت إلى الإسكندرية، وعملت فى محل حلوانى ثم فى مطعم (مسمط). وفى ذلك الوقت كنت أحب الوفد، ومن وجهه نظرى أن حزب الوفد كان أكبر حزب وجد لتضليل الشعب، وذلك لأنه عندما كان العمال يهبون ليثوروا، كانوا يأتون بالوفد ليعطى للناس مسكنات، أشياء تافهة جداً ليهبطوا ثورة الناس، وكان هذا أخطر شئ عمله الوفد.

وبعد العمل فى المسمط، فى نحو عام ١٩٤٠، عملت بمصنع كفر الدوار، وفى ذلك الوقت حاول بعض العمال إنشاء نقابة، وبالفعل اتخذوا مقراً وعلقوا لافتة، وبدأوا يحضِّرون لجمعية عمومية، لكن المباحث والبوليس هجموا على المقر وأخذوا بعض العمال وسجنوهم. وبذلك محاولة أخرى، وحاول المصنع أن يعمل نقابة بعناصر من المهندسين والموظفين والإداريين وأصبح هناك منافسة بين الشركة من جانب والعمال من جانب آخر، ونجحت الشركة، وفى ذلك الوقت قطع إصبعى الخنصر وأنا أفتح الماكينة وأشغلها، وضقت بالوجود فى كفر الدوار - فى عام ١٩٤٦ - كنا نحن العمال كالمساجين، وطلبت من طبيب الشركة تشريكى، وتم هذا بالفعل وعدت إلى الأسكندرية، ولم أستطع الحصول على عمل وكنت أجهز بعض الأكل وأقف لبيعه أمام مكابس القطن، ثم التحقت بالعمل فى مصنع نسيج صغير فى محطة السوق بالرمل «مصنع جوده»، ثم عملت فى مصنع كبير بالعرايد اسمه الشركة المتحدة للغزل والنسيج وقد كان مديره صاحب مصنع جودة.

وعندما كنت بمصنع جوده حدث إضراب فى شركة سباهى للغزل والنسيج، وأطلق البوليس النار على العمال ومات عامل غرقاً فى ترعة المحمودية. وفى يوم كنت جالساً فى مقهى الوفد بباكوس، وجاء أفندى وسألنى عما إذا كنت أعمل فى سباهى فأخبرته أننى أعمل فى مصنع آخر، وسألته عن سبب سؤاله فقال إنه يريد أى شخص من سباهى ليخبره بمعلومات عن الإضراب لنشرها، وقال ذلك الأفندى إنه محامى، وكنت أعرف عاملاً فى سباهى هو على العدل فأحضرته له، وظلا يتناقشان وأنا أسمع ووجدت أن أسلوب ذلك الشخص أسلوب تقدمى، وقبل ذلك كان بعض الأشخاص قد أعطونى منشورات ومجلات شيوعية وعرفت أسلوب الشيوعيين، واستنتجت أن ذلك الشخص الذى يقول إنه محامى شيوعى. وبعد انصراف على

العدل أخذنا نتناقش وقلت له إن إسلوبه أسلوب الشيوعيين، فضحك وسألنى عن حكرتى عن الشيوعيين، فقلت له ياريت حد يوصلنى لهؤلاء الناس لأننى أعرف أن الشيوعية تعمل لمصلحة العمال. فقال لى إنه يمكنه أن يوصلنى بهم، أنا اسمى سيف. وسألنى عن اسمى فأخبرته فطلب منى أن أقف فى يوم محدد أمام محطة ترام باكوس، وأكون مشعلاً سيجارة، وسيأتى شخص يقول لى (ولع لى) فأشعل له سيجارته فيقول لى (سيف بيسلم عليك) وذلك هو الشخص الذى سيعمل معك ويريك كيف تعمل، وحدث هذا بالفعل، وجاء ذلك الشخص وعملنا عدة اجتماعات، وطلب منى تجنيد زملاء وإنشاء خلية وفعلاً جندت ثلاثة وعملنا خلية فى المصنع، وكان ذلك الشخص يجتمع بنا، وبعد ذلك بسنوات، وعندما سجنت عام ١٩٥٤، التقيت فى المعتقل بالزميل الذى كان يتسمَّى باسم «سيف» وكان هو الزميل أنور عبد الملك.

ظللنا حوالى شهرين نلتقى بذلك الشخص المسئول الذى أوصلنى به سيف، ورأيته يوم طلب منا أن نرمى منشوراً فى المصنع، وواضح أن المنظمة التى ارتبطنا بها كانت منشقة عن «م.ش.م» وواضح أن سيف كان مرتبطاً بصوت المعارضة.

عندما طلب منا أن نرمى المنشورات فى المصنع، قلت له نحن أصحاب عيال ولنا بيوت وإيه الضمان لو ألقينا المنشور وسجنا. فقال إن الشيوعية ما هى إلا تضحية وليس فيها مقابل. لا توجد ضمانات، نحن نعيش على الاشتراكات التى يتم جمعها، وقال العمال أعضاء الخلية: نحن لا نستطيع أن نضحى هذه التضحية، ولا داعى لأن يأتى لنا ذلك الرجل مرة أخرى، واختفى الرجل ولم أره مرة أخرى.

وانتهت فترة العمل بمصنع جوده، وارتبطت بالعمل بالشركة المتحدة بالغزل والنسيج، وبدأت أنا أبحث عن الارتباط بالشيوعيين.

وحدثت ثورة الجيش وأيدها الشعب لأنه كان يريد التغيير بأى شكل. وقد لعبت الثورة على كل الاتجاهات الموجودة، تقول للإخوان هذه ثورتكم وتقول الشيوعيين هذه ثورتكم، إلى أن أيدها الجميع، وعندما استقر رجال الثورة وثبتوا أقدامهم بدأوا يضربون فى اليمين واليسار، وأمسكوا البلد بقبضة من حديد وأعلنوا الأحكام العرفية، وعندما بدأ العمال يثيرون ثورة موضوع كفر الدوار، وشنق خميس والبقرى ليرهبوا العمال. وبعد قتل خميس والبقرى د

رجال الثورة يسترضون العمال، وسمحوا بإنشاء نقابات في المصنع على أساس أن المصنع الذي ليس له نقابة ينشئ نقابة، وطبعًا كانوا يستهدفون من وجود النقابات المصنعة أن يكون أعضاء مجالس إدارات النقابات تحت أيديهم يأتمرون بأمرهم. أيامها كنت في مصنع الطويل واشتركت مع العمال في تكوين النقابات، تجنبنا في أول الأمر عمال النسيج لأن المشاكل كانت تأتي من جانبهم، قلنا نُكَوِّن النقابة من عمال الغزل فقط، وجاء شخص وناقشني في ضرورة أن تشمل النقابة عمال الغزل وعمال النسيج وكان هذا الشخص هو سعيد عبد الصمد، وكان يتحدث بلغة ليست غريبة عليّ، واتضح أنه كان عاملاً في شبرا الخيمة وعضواً في منظمة طليعة العمال، وعقدت الجمعية العمومية، وانتخب مجلس إدارة النقابة. واستحسنت أن أزكي ذلك القادم من شبرا الخيمة ليكون رئيسًا للنقابة، وبالفعل تم انتخابه رئيساً وكنت أنا وكيلاً أول، وبدأت أناقش رئيس النقابة في انضمامي لطليعة العمال، قلت له أريد أن أكون معكم، أريد أن أكون شيوعياً، وطلب إمهاله بعض الوقت، وفي ذلك الوقت كانت طليعة العمال تتشدد في العضوية فمثلاً كان المرشح يظل مرشحًا سنة حتى يصل إلى العضوية، وبعد شهر أو أكثر قال لي سعيد عبد الصمد إنني أصبحت مرشحاً في طليعة العمال، وبدأنا في العمل معًا، كانت مطبوعات طليعة العمال تأتي وكنت أنا المكلف بتوزيعها، عملت مخبأ في النقابة عن طريق الساعي وكان ولداً جيداً، وكنا نوزع المنشورات على العمال أنا وزميل كان في طليعة العمال قبلي هو فتح الله محروس، كنا مغرقين المنطقة بالمنشورات، كل أسبوع ننزل منشور كَثَّرنا المباحث العامة وأعددنا في النقابة غرفة للمحاضرات، كنت أجمع فيها العمال والشباب الصغير وكنت أناقشهم في الأفكار الموجودة في المنشورات والمطبوعات، وأصبحت عضواً في المنظمة، وكنت آخذ منها محاضرات ونقرأها على العمال، كنت أعمل على تنوير العمال وتوسيع مداركهم، واستمر هذا إلى الدورة الثانية في النقابة، وفي انتخابات هذه الدورة ركَّزت المباحث العامة والشركة ضدي أنا ورئيس النقابة زميلي عضو منظمة طليعة العمال، ركَّزوا في دعايتهم ضدنا على أساس أننا شيوعيون وأعداء الدين، وتوقعنا أن نخسر ولكن العكس اكتسحنا الانتخابات، أخذنا ٩٠ ٪ من الأصوات. وفي تلك الفترة كانت أحداث مارس ١٩٥٤ كان محمد نجيب يرفع شعار الديمقراطية وعودة الجيش إلى ثكناته وعودة الأحزاب، وأيد الشعب هذا الاتجاه. واستعان الاتجاه المعادي لمحمد نجيب بالصاوي .. محمد الصاوي رئيس

نقابه عمال النقل فى القاهرة والذى اتفقوا معه على أن يحصل على مبلغ معين ويقوم هو وعمال نقابته بالإضراب تأييداً لهم، وكانت المباحث وأصحاب الشركات يريدون من العمال تأييد محمد الصاوى وعاودوا الإضراب - وكان عندنا فى المصنع اعتصام وإضراب عن الطعام فى دار النقابة، من أجل مطالب رفضت الشركة الاستجابه لها، وعندما حدث موقف الصاوى والاتجاه إلى الإضراب، كان قد مر على إضراب عمال مصنعنا عن الطعام خمسة أيام، وقررنا فض الإضراب والاعتصام قبل أن تتحقق مطالبنا حتى لا يعتبر موقفنا مسانداً للصاوى وقد أغلقت استجابة لموقف الصاوى وفى أغلب مصانع القطر إلا منطقة رمل الإسكندرية، فقد ظلت المصانع تعمل إلى أن رفعت الحكومة الكهرباء.

وشاركنا بعد ذلك فى تأسيس اتحاد عمال النسيج بالقاهرة، تجمعنا فى القاهرة من كل أنحاء القطر. ورغم تدخل الشرطة، وعن طريق تغيير مكان اجتماع الجمعية العمومية، نجحنا فى تكوين الاتحاد. وأذكر من الزملاء الذين كانوا نشيطين فى ذلك وجاءوا إلينا بالإسكندرية، اثنين من طليعة العمال، محمد عبد الجواد القطان وابراهيم مرسى، كان الطابع الغالب فى ذلك الوقت هو عمل منظمة طليعة العمال، كان عمل طليعة العمال الجماهيرى والسياسى يسير فى ذلك الوقت بطرق جيدة .

وفى ١٩٥٤/١٠/١٧ تم اعتقالى، وأريد أن أذكر بالنسبة لفترة الاعتقال أنه قد حبسنا أنا وثلاثة من زملائى ثمانية عشر يوماً فى عنابر الإخوان بالسجن الحربى، كنا لا نستطيع أن نقول لهم إننا شيوعيون وإلا قتلونا، كنا نقول لهم إننا عمال نقابيون، وقد كانت تلك الفترة من أقسى فترات الاعتقال، لقد عذب الإخوان تعذيباً بشعاً، وكانت المواقف الضعيفة والمنهارة كثيرة جداً.

كانوا يوقفونا ست أو سبع ساعات وهم يذيعون أغنية أم كلثوم التى غنتها بعد حادث المنشية، وعلى رأس كل طابور أحد قادة الإخوان المسلمين يعمل مايسترو للأغنية «يا جمال يا مثال الوطنية أجمل أعيادنا المصرية بنجاتك يوم المنشية». وكما ذكرت من قبل أنه فى أثناء الاعتقال التقيت بسيف الذى كان سبب تعرفى على الشيوعية وكان هو الزميل أنور عبد الملك. وأفرج عنا بعد أقل من عامين، ولم أجد بعد الإفراج عملاً فى أى مصنع لأننى أصبحت فى

القائمة السوداء.. وعن طريق الزميل يوسف درويش عملت عند المهندس لبيب رمزى، عملت بالمنيا فى بلد اسمها الخيارى، كانت البلد شديدة الفقر والذين يعملون فيها من أهلها كانوا لا يغسلون وجوههم وكانوا مصابين بالرمد والتقيحات والدمامل، واقترحت على المهندس لبيب رمزى أن نحضر بعض الأدوية والإسعافات الأولية كالمراهم والميكروكروم وبعض المسكنات وقطرة للرمد، ووافق وأحضر الأشياء التى طلبتها، وقمنا بعمل طيب بين أهل البلد سواء مع العمال الذين يعملون معنا أو غيرهم، وكنت أرفض بشدة محاولات مكافأتى بإهدائى أشياء كالبيض وغيره، ولا أنسى أبداً طيبة الناس الذين تعاملت معهم في ذلك البلد وبعد ذلك انتقلنا إلى العمل فى كفر الزيات. كان معى فى العمل فى كفر الزيات أعضاء من طليعة العمال تم توصيلى بهم، وكنا أنا واثنان من الإخوان نمثل لجنة منطقة. كنت أنا وفكرى رفاعى وسيد سابق، وكان هناك خلية فى طنطا، وخلية فى الدقهلية فى أخطاب وخلية فى البحيرة وخلية فى المنوفية، وكان لنا خلية فى بلد اسمها كمشيش، وكنت أسافر أنا إلى هذه الخلايا. وذات يوم جاءنى مخبر من مركز كفر الزيات باستدعائى للمباحث العامة وهناك قابلنى الضابط أحمد عبد الله - وله معى حكاية سأحكيها بعد ذلك - ودار بينى وبينه حوار حار. وبعد ذلك شددت الرقابة على نشاطنا.

وحدث بينى وبين المهندس لبيب رمزى سوء تفاهم جعلنى أترك العمل، وطلب منى التنظيم أن أظل فى المنطقة لأن المنطقة لا تستطيع أن تستغنى عنى، قالوا سنجعلك محترفًا ثوريًا، سنعطيك ثلاثة جنيهات، قلت لهم وماذا ستفعل الجنيهات الثلاثة، كنت متسولاً ثوريًا ولست محترفًا ثوريًا لأنه حتى الجنيهات الثلاثة لم أكن أحصل عليها. فمثلاً فى يوم كان علىّ أن أسافر إلى المنوفية وكان معى أربعون قرشًا، وكان علىّ إما أن أسافر أو أشترى لزوجتى وأولادى طعامًا، لم يكن عندهم لقمة عيش. واخترت طبعًا أن أسافر تحقيقًا لمصلحة التنظيم، تركت أولادى الجوعى، طلبت منهم أن يتصرفوا وسافرت، كان المفروض أننى سأجمع اشتراكات ولم أجمع شيئًا ورجعت إلى أولادى بعد أن أنفقت الأربعين قرشًا. وفى ليلة أول يناير ١٩٥٩ قبض علىّ فى الثانية صباحاً، فتشوا الشقة، ولم يجدوا شيئاً، تحت السلم كان يوجد منشورات ومطبوعات لا حصر لها، وأخذونى إلى مباحث طنطا، وهناك صفعنى الضابط أحمد عبد الله - الذى ذكرته من قبل - على وجهى، وكانت هذه إشارة لرجال المباحث الذين

انهالوا عليَّ بدبشك البندقية على رأسي وأعطوني علقة، ولهذا الضابط حكاية أخرى.

كان عندنا خبر قبل القبض علينا بأنه ستحدث حملة اعتقالات، وكانت توجد تعليمات بأن من يستطيع الهرب فليهرب، ولكن الذين لم يكن عندهم إمكانات الهروب أو الذين استهتروا بالكلام عن الحملة لم يهربوا وتم القبض عليهم.

عند الإفراج عنا عام ١٩٦٤ رحلوني إلى طنطا إلى قسم الشرطة، كانت الساعة حوالى الواحدة بعد الظهر، وفى نحو الرابعة جاء الضابط أحمد عبد الله، سلم عليَّ وقال : انتم ناس جيدين ونحن آسفين للأشياء التى حدثت لكم. وظل يحدثنى بغرفته إلى أن عرف أن أهلى لا يعرفون أننى خرجت إفراج، وطلب منى أن انتظر فى الخارج، وفى خارج الغرفة وجدت الصول الذى كان يراقبنى فى كفر الزيات يحضر إقراراً ويطلب منى التوقيع عليه، وطبعاً هذا الإقرار قدم لى عند الإفراج فى الحبسة الأولى وذلك فى الإسكندرية، ورفضته برغم تهديدهم لى بالاعتقال مرة أخرى، قرأت الإقرار، والصول يقول لى : وقّع حتى تخرج لأولادك، قلت له : لن أوقعه. ودخل الضابط أحمد عبد الله وسألنى عن سبب رفض التوقيع، فقلت له : كيف أوقع على إقرارا كهذا وعبد الناصر قال إن كل مواطن يعمل بالسياسة ويقوم بدوره، كيف تحرمنى من حقى كمواطن إذا كان رئيسك يقول ذلك، قال لى : هل تعرف محمد عثمان؟.. قلت له : محمد عثمان إنت قتلته بيدك هذه، وسيأتى اليوم الذى نحاسبك فيه على قتله، ولا تعتقد إننا ننسى هذه الأشياء. قال لى : وحياتك وحياة أبوك سوف أقتلك هذه الآن، ولم يكمل الكلام حتى أمسكني المخبرون من قفاي، وأمسك ثلاثة أو أربعة بالشوم وأرادوا إدخالى غرفة مظلمة فصرخت : إلحقونى .. أنا شيوعى إفراج سيقتلوني، وعلى هذه الصرخة نظر الضابط من الشباك، وكان قد تجمع عدد من الناس تحت الشباك، فخشي الضابط أن يضار وأمر المخبرين بتركى، وطلب منى مهدداً أن أترك طنطا فوراً وإلا أمسكت تحري ولقيت مصير محمد عثمان.

شهادة

فتح الله محروس

الاســـــــــــم : فتح الله محروس

تاريخ وموطن الميلاد : ٧ أكتوبر ١٩٦٣ قرية الحضرات مركز ومحافظة قنا.

المــؤهــــلات : لم أتعلم ولم أدخل المدارس مثل كل أبناء الفقراء الذين لم يمكنهم الفقر من التعليم، كنا نعمل جميعاً منذ الصغر لنكفي احتياجاتنا، تعلمت القراءة والكتابة من خلال السياسة وفي السجن.

المـهـــنـــة : عملت وعمري تسع سنوات مع عمال البناء في معسكرات الإنجليز مع والدي، ثم عملت «حداد مسلح» في بعض المصانع التي كان يتم إنشاؤها ومنها مصنع سباهي، ثم عملت في مصنع نسيج حتى سنة ١٩٧٣، وفي الفترات التي كنت أفصل فيها من العمل كنت أعمل في أعمال أعمالاً متنوعة، عملت في الشحن والتفريغ في ميناء الإسكندرية، وفي رصف الطرق، وفي الحفر لمواسير المياه في الشوارع، وعملت شيالاً في الميناء، وبائع معمولة، وبائع خضار وفاكهة، وعملت فترة– منذ وقت قريب– في اليونسيف وذلك بعد المعاش، وأعمل الآن ملاحظ مباني بسبب ضآلة المعاش.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : حوالي ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاماً، كان ذلك عام ١٩٥٠، وحصلت على العضوية عام ١٩٥٢ بقرار استثنائي من اللجنة المركزية لطليعة العمال، وذلك لأسباب خاصة بسلوكي - كما أبلغني وقتها الزميل حلمي يس، إذ أن اللائحة الداخلية كانت تشترط للعضوية سن الثامنة عشر.

فترة السجن والاعتقال : قبل عام ١٩٦٥، قُبض عليّ في شهر يوليو ١٩٥٤ وقدمت لمحكمة عسكرية وصدر الحكم بحبسي مدة سنة بعد أن أمضيت أكثر من سنة في السجن.

أنا من أسرة عمالية– كان والدي من أبناء الصعيد، ورحل هو وأبوه وحده إلى الإسكندرية وعملوا مع عمال السلطة في الحرب العالمية الأولى، وكعادة أبناء الريف والصعايدة كانت كل الأسرة، والأب والأم والأعمام والعمات يعيشون في بيت واحد، توفي أبي سنة ١٩٥٢، وكان سني ست عشرة سنة، وكنت أكبر أخوتي، لذلك توليت أنا رعاية أسرتي وأخوتي حتى الآن،

* أجرى الحوار أ. محمود مدحت.

وكان هذا أحد أسباب عدم زواجي.

كان أبي يعمل في معسكرات الإنجليز بأبي قير، وعملت وأنا صغير معه في المعسكر، وعندما غادر الإنجليز الإسكندرية لم يذهب معهم أبي إلى منطقة القناة واشتغل عاملاً في شركة السيوف- سباهي- ثم عمل في البلد كعامل نظافة ثم ترقى إلى ملاحظة نظافة. وعندما توفي وسنه خمس وأربعون سنة، لم يكن له معاش كانت مكافأة نهاية خدمته، التي حصلنا عليها بعد عناء، اثني عشر جنيهاً. وفي سن صغيرة عملت في أحد معسكرات الإنجليز في منطقة جناكليس. كانت العربات تخرج لإحضار أشياء، وذات يوم سمعت أن عربات المعسكر ممنوعة من الخروج، فسألت عن السبب فقيل لي: إن السبب هو وجود مظاهرات في الإسكندرية من أجل الجلاء، وسألت عما يعنيه الجلاء، فقيل إنه يعني رحيل الإنجليز، وقيل لي: إن هناك طلبة يموتون بالرصاص ويكتبون بالدم على الجدران كلمة الجلاء، فطلبت من سائق اسمه صالح أن يعلمني كيف تكتب كلمة الجلاء فعلمني كتابتها، وأحضرت جردل بوية وفرشة، ورحت ألف في المعسكر وأكتب كلمة الجلاء.. الجلاء، وأمسك بي البوليس الحربي واحتجزوني وضربوني حتى أعترف على من حرضني على الكتابة، وبعد أن ضربوني تركوني لأجل خاطر أبي الذي كان رئيساً للعمال بالمعسكر، وكان هذا أول اهتمام لي بالسياسة، بالغريزة وليس بالوعي.

بعد ذلك، ولفترة قصيرة، إنضممت إلى شعبة الإخوان المسلمين بالرمل سنه ١٩٤٨، وذلك قبل أن تحدث الأزمة بين الإخوان والنقراشي، وكان سبب إنضمامي الرغبة في تعلم القراءة والكتابة، لأن الإخوان كانوا قد أسسوا فصولاً لمحو الأمية. وفي تلك الفصول تعلمت الحروف الأبجدية، وبعد ذلك تعرفت بعمال معي في العمل كانوا مرتبطين بالحزب الاشتراكي الذي كان يرأسه أحمد حسين، وتعاملت معهم فترة حتى تعرفت بالشيوعيين.

•• التعرف على الفكر الماركسي:

أول مرة سمعت عن الفكر الماركسي كان عن طريق الزميل محمود دربالة، وأعتقد أنه كان وقتها في تنظيم «النواة» كان يعمل نساجاً في شركة الطويل وهي أول مصنع نسيج أعمل به سنة ١٩٤٨، وقد تعرفت إلى هذا الزميل في أثناء محاولة تأسيس نقابة مصنعية للشركة، وفي

ظروف إضراب قمنا به. كان الزميل محمود دربالة والعمال الكبار فى السن يسعون لتأسيس نقابة، وكان تأسيس نقابة أمر فى غاية الصعوبة. كان النظام فى ذلك الوقت هو نظام التسجيل، فالنقابة تعقد جمعيتها العمومية وترسل أوراقها لوزارة الشئون الاجتماعية على ألا تقوم النقابة بنشاطها إلا بعد الحصول على رقم لتسجيل الأمر الذى يمكن أن يكون بعد سنة أو سنتين، وفى فترة انتظار رقم التسجيل تبذل محاولات للتخلص من أعضاء النقابة وبذلك لا يتم تأسيسها. كانت النقابة تحت التأسيس، وقام عمال الشركة العربية التى كانت فى مواجهة مصنع الطويل بإضراب للمطالبة بتطبيق الأمر العسكرى رقم ٩٩ سنة ١٩٥٠ الخاص بعلاوة غلاء المعيشة، وطلبت نقابتنا أن نقوم بإضراب وإيقاف الماكينات مدة نصف ساعة تضامنا على زملائنا عمال الشركة العربية، وبمجرد إيقاف الماكينات حضر صاحب العمل والمدير والمسئولون وأمروا رؤساء العمل بإدارة الماكينات، وقام الرؤساء بذلك، وعندما جاءوا إلى الماكينة التى أعمل عليها وأوقف رئيس الوردية الماكينة قمت بدفعه- كنت صغيراً وكان جسمى نحيلاً وكنت أغير البكرات بالصعود فوق صندوق أو فوق الكمر- وأدرت الماكينة فصفق العمال وأوقفوا الماكينات، أى أننى كنت السبب فى إنجاح الإضراب، ولذلك عقد اجتماع بمقر النقابة وتم الاحتفاء بى باعتبارى أصغر العمال والذى تسبب فى نجاح الإضراب.

فى هذه الظروف تعرفت على الزميل محمود دربالة الذى بدأت أسمع منه كلاماً غريبًا عن حقوق العمال. وقد كان إحساسى وأنا صغير بالظلم عاليًا جداً بحكم الفقر والجوع والوضع العائلى.. لقد استهوانى الكلام ضد الملك والملكة والإنجليز وأسرة محمد على وإمكان تضامن العمال واتحادهم وإقامة نظام أفضل من النظام القائم.

بعد الإضراب الذى قمنا به قبض على الزميل دربالة وزملائه فى النقابة، وخاضوا إضراباً عن الطعام فى السجن، وقمنا نحن العمال بإضراب خمسة عشر يوماً من أجل الإفراج عنهم، لكن الإضراب فشل ولم يفرج عن الزملاء، كما فشلت محاولة تأسيس النقابة، وتم فصل عدد من الزملاء منهم محمود دربالة.

بعدها التقيت الزميل عبد الرحيم يحيى وكان يعمل إلى جانبى وأخذ يحدثنى بكلام مشابه لكلام محمود دربالة، ثم عرفنى بالزميل عبد المقصود أبو زيد أحد القيادات العمالية فى شبرا الخيمة، وأحد قيادات منظمة طليعة العمال، فأصبحنا أصدقاء، وكنا نجلس جلسات منظمة

نتناقش فى السياسة وفى أحوال الحركة العمالية والنقابية، وبالتدريج فهمت أن هناك تنظيماً شيوعياً إسمه طليعة العمال، وطرحت علينا فكرة الانضمام. عبد الرحيم كان منظماً وكذلك زميل ثالث إسمه عثمان محمد إبراهيم الشهير باسم شتا، وتم ترشحى لعضوية منظمة العمال. وذهب عبد المقصود أبو زيد إلى مكان آخر، وانضم إلينا الزميل سعيد عبد الصمد الذى كان مسئولنا، والذى أصبح رئيس نقابة مصنع الطويل عندما أسسنا النقابة عام ١٩٥٣، كنا أيامها نقرأ نشرة إسمها الديمقراطية الشعبية، وكنا نعقد اجتماعات سياسية ومناقشات، وقد تطور تنظيم طليعة العمال فى الإسكندرية وفى منطقة الرمل على وجه التحديد، وفى الحضره حيث مصنع ستيا الذى كان يعمل الزميل محمد بدر الذى كان رئيساً لنقابة المصنع وأحد قيادات التنظيم، وأسسنا فرعاً فى مصنع الطويل، وهو شكل تنظيمى وسط بين الخلية والقسم، وكان أغلب أعضاء مجلس إدارة نقابة الطويل من طليعة العمال وكان رئيسها الزميل عبد المنعم ناطورة من طليعة العمال.

كنا نناضل فى وسط الحركة العمالية، وأساساً من أجل تأسيس النقابات وتحسين ظروف العمل.

•• المجلات والدراسات التى أصدرها التنظيم :

كان التنظيم يصدر نشرة "الديمقراطية الشعبية" . وكانت هناك دراسات عن العائلة المالكة وأسرة محمد على والاستعمار، وكنا نصدر فى الإسكندرية نشرة محلية إسمها «صوت العمال» أو صوت العامل كنا نطبعها على البالوظة وكانت سرية، وكان يوجد دراسة عن البطالة وعن الصين الشعبية وثورة ماوتسى تونج، ودراسات عن النقابات والأجور، كما كانت هناك دراسات نظرية لم نقرأها بسبب استغراقنا فى المسائل العمالية والنقابية، وكنا نقرأ روايات مكسيم جوركى.. وأذكر أنه بالنسبة لقضية الثورة الاشتراكية كان الموقف متفقاً مع الخط الصينى أى الثورة الديمقراطية الشعبية، أى أن الثورة الاشتراكية على مرحلتين.

•• المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها:

بدأت عضواً فى خلية ثم عضواً فى لجنة القسم ثم أصبحت عضواً فى المنطقة، وكنت مسئول قسم الرمل حتى تمت وحدة ١٩٨٥، وكنت عضواً فى منطقة الوحدة.

•• الموقف من التنظيمات الأخرى وقضية تكوين الحزب الواحد :

لم أكن أعرف فى البداية غير طليعة العمال، وبعد ذلك أنشأنا ما يُسمى باللجان الوطنية وذلك فى سنه ١٩٥١ بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، وكنا نعقد اجتماعاً واسعاً فى حديقة الحيوان فى الزهرة، وفى هذه الاجتماعات تعرفت إلى عدد من الشيوعيين من التنظيمات الأخرى. وعرفت أن هناك تنظيمات أخرى : تنظيم إسمه النجم الأحمر وتنظيم حدتو وتنظيم الحزب الشيوعى المصرى وغيرهم.

وبالنسبة لطليعة العمال لم يوجد ما يُسمى بالوحدة، كنا نرى أن تنظيمنا هو القطب الثورى الذى عليه أن يجذب كل العناصر الثورية لتنضم إليه ويكون هو الحزب، وما عداه ليسوا شيوعيين، وهذا كان موقفاً نسبياً جداً، وبعد ذلك فهمت أنه موقف حلقى وعصبوى.

وبعد أن دخلت السجن سنه ١٩٥٤، تعرفت على مجموعة تنظيمات كان أعضاؤها مسجونين معى، كان الزميل شعبان حافظ والزميل لويس بقطر والزميل الشرقاوى والزميل بدر رضوان وأخوه سيد، وفايق بشاى من النواة، وكان الزميل عادل كامل والزميل العطار وسعيد ربعه من "نحو حزب شيوعى مصرى". وكان يوجد معنا بسجن الحضرة زميل من المنظمة الشيوعية المصرية. وعرفت كذلك أنه يوجد فرع للحزب الشيوعى اليونانى بالإسكندرية كان قد قبض منه على الزميل ستيرل باندليانتسوس. وبدأت المعارك فى السجن حول أى التنظيمات أفضل، الصراع المعتاد، وأذكر أن عبد الستار الطويلة رسم خريطة مثل خرائط الرسوم البيانية تبين الانقسامات وانقسامات الانقسامات التى حدثت فى حدتو، وقد وصل عددها إلى خمسة وثلاثين تنظيماً، ولم أعرف مدى دقة هذا الكلام وقتها وإن كان الزملاء قد قالوا إنه صحيح. وحضر الزميل إبراهيم عبد الحليم إلى الحضرة، وجلس معنا وناقشنا فى موضوع الوحدة، وقيل وقتها أن الرفيق يونس "هنرى كورييل" حضر مؤتمراً لأحد الأحزاب الشيوعية فى الكومنولث، وكلف من قبل المؤتمر بالسعى مع الزملاء الشيوعيين لتكوين حزب واحد، وطبعاً الكلام عن الوحدة أعجبنى، فالناس كلهم طيبون وممتازون. وكنا ندخل معارك سوياً ضد الإدارة ونضرب ونعذب معًا، لكننى كنت صغيراً، حوالى ست عشرة أو سبع عشرة سنة وكنت مقموعاً وأخشى أن أقول كلاماً ضد فكر التنظيم.

وقد عقد مؤتمراً لطليعة العمال سنه ١٩٥٧، وسُمى التنظيم بحزب العمال والفلاحين،

ونوقشت فكرة الوحدة فى ذلك الوقت، كان التنظيم قد تغير وبدأ يتكلم عن الوحدة، ولأول مرة، فى المؤتمر أو بعده، أسمع بإلغاء فكرة أننا القطب الثورى الوحيد.

•• الموقف من وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨:

أنا طبعاً كنت من البداية مع الوحدة، وعندما تمت الوحدة شاركت فيها. وحسب ما أذكر أن طليعة العمال أو حزب العمال والفلاحين كان يرى ضرورة وجود مقومات للوحدة، تكتيك واستراتيجية ولائحة ثم يدور الصراع حولها وينتهى هذا بالمؤتمر، للأسف- الذى سمعته بعد ذلك أن الأحزاب الشقيقة والصديقة قالت إن هذا كله يمكن أن يتم فى سياق العمل بعد الوحدة، وكان هذا بداية تفتت الوحدة أيضاً.

كانت هناك معركة بين التنظيمات، لأنه تم الاتفاق على أن يكون هناك تمثيل نسبى فى المركز على حسب عدد أعضاء كل تنظيم، وقد أدى هذا إلى مبالغة كل تنظيم فى عدد عضويته، وقيل وقتها أن حدتو غضبت لأنها اكتشفت أن (الراية) و (طليعة العمال) عقدا تحالفًا فأصبح لهما نصيب كبير فى التمثيل المركزى، وكانت حدتو تقول إن التنظيمين الآخرين قاما بالتزوير وأتيا بعضوية ليست حقيقية .. إلى آخره. وقد كانت هذه بداية الأزمة التى دمرت الوحدة بعد ذلك، إنها قامت على أسس غير سليمة، وأذكر بعد الوحدة بأيام حدث انشقاق كمال عبدالحليم الشهير، وقد أبلغنا من المنطقة (منطقة الحزب الواحد) أن كمال عبد الحليم وآخرين من حدتو استولوا على مطبعة الحزب المركزى وأصدروا بيانات باسم الحزب الشيوعى المصرى ضد الآخرين، واتهموا الآخرين بأنهم ضد الوحدة الوطنية والنظام الوطنى، وإنه حدثت معارك فى مؤتمرات فى الجيزة وشبرا الخيمة ووجهت اتهامات متبادلة، وقد صدر قرار بفصل كمال عبد الحليم والآخرين بلغنا به فى المنطقة، وكانت لجنة المنطقة تضم حمزة البسيونى وشحاته عبد الحليم وفاروق بلبول وعم زكى وعبد الرحمن عبد الوهاب وأنا، وقد أيدت اللجنة الفصل ماعدا حمزة البسيونى وشحاتة عبد الحليم- على ما أذكر- فقد عارضا الفصل ولكن أدانا الموقف.

•• الموقف من الأجانب واليهود:

أنا لم أكن أعرف أن هذا يهودى والآخر مسلم، وأذكر أن أحد المسئولين عنى فى فترة من الفترات كان خواجة، وعرفت بعد ذلك إنه الزميل ريمون دويك، كنت أعرف أنه خواجة مثل

الخواجة سوتيرى الذى رأيته فى اسجن، وكان مصرياً ومناضلاً وحيداً، مسألة يهودى ومسلم ومسيحى لم تكن فى ذهنى، ولم يكن يوجد أى كلام حول هذا الموضوع، وأعتقد أن اليهود كان لهم دور فى التنظيم.

•• الموقف من الأحزاب السياسية قبل عام ١٩٥٢:

كان موقف التنظيم ارسمى مع حزب الوفد، وقد لعب دوراً أساسياً فى بلورة الطليعة الوفدية داخل ذلك الحزب.

•• الموقف من ثورة يوليو ١٩٥٢:

عندما حدث انقلاب يوليو ١٩٥٢، أصدرت طليعة العمل منشوراً، ووصلت إلينا نسخة منه، فقمنا بنسخه على الإستنسل، وأذكر مضمون هذا البيان، كان يقول إننا نرحب بقيام حركة الجيش المباركه، ونرحب بطرد الملك، وإقامه نظام جمهورى، لكنا نخشى أن يتحول هذا الانقلاب العسكرى إلى ديكتاتورية عسكرية تسلب الحريات الديمقراطية وتقمع الشعب.

•

•• الموقف من أحداث كفر الدوار سنة ١٩٥٢:

إعدام خميس والبقرى سبب لنا حالة استنفار شديدة جداً، ليس للشيوعيين فقط، ولكن لكل العمال -لم تحدث حالة فزع، وأذكر أنه بعد الإعدام بدأ تكثيف الاستغلال الرأسمالى والقمع داخل المصانع. كان يوجد حول كل مصنع من مصانع الرمل، وخاصة مصانع الغزل والنسيج، قوات من الجيش، وزاد توقيع الجزاءات والضرب والإهانة، وبدأنا نقاوم، اتفقنا فى مصانع الشركة العربية وشركة الطويل وفى المتحدة على عدم إدخال أحد من المسئولين أو رؤساء العمل، وأن من يدخل إلى العنابر نقوم بتخييشه أى إلباسه جوال خيش وضربه، وقد استمر هذا خمسة عشر يوماً لم نكن نسمح فيها بدخول أحد إلى العنابر إلا لكاتب المرور ليسجل اليوميات.

فى تلك الأثناء كان حكم البلد فى يد السلطة العسكرية، كانت قيادة المنطقة الشمالية العسكرية تمثل السلطة الجديدة فى الإسكندرية. وأرسلت المنطقة الشمالية إلى أعضاء مجالس

إدارة النقابات الثلاث للاجتماع بهم فى معسكر مصطفى كامل، ثم طالبوا التجمع فى قسم شرطة المنتزه، وهناك تم اعتقالهم بمعرفة البوليس الحربى وتم وضعهم بالسجن الحربى فى مصطفى كامل مدة أسبوع. وفى خلال الأسبوع اجتمعت اللجان المصنعية بالمصانع الثلاثة وكنت عضواً فيها، وهددنا بخوض إضراب إذا لم يفرج عن زملائنا خلال ثلاثة أيام، وبالفعل أفرج عن الزملاء بعد ثلاثة أيام ولكن بعد أن شتموهم وضربوهم وقصوا شعرهم.

وبعد إعدام خميس والبقرى، وفى عام ١٩٥٣ تم تأسيس الاتحاد المهنى لعمال الغزل والنسيج، وقد لعب العمل الشيوعيون الدور الأساسى فى هذا. كانت قضية خميس والبقرى ملفقة وكان المقصود بها إرهاب لحركة العمالية، ورغم هذا لم تتوقف النضالات العمالية.

وبالمناسبة لم يعدم اثنان فقط هما خميس والبقرى١٣١. لقد أعد الزميل الفاضل أستاذنا مه سعد عثمان كتاباً عن خميس والبقرى، جاء فيه أن سكتب صحة كفر الدوار وجد فى فترة إضراب كفر الدوار عدداً من الميتين القتلى فى البر القبلى لترعة المحمودية لم يعرف سبب وفاتهم، وطبعاً سبب الوفاة معروف، فعندما حدث الإضراب حوصر المصنع، وأتت الدبابات من البر القبلى، وبدأت تضرب الناس بالرصاص فمات عدد كبير.

•• الموقف من اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤:

تمت اتفاقية الجلاء وأنا فى السجن، وقد كتبنا تحليلاً محترماً جداً استنكرنا فيه كامل الاتفاقية ووقعنا عليه وسلمناه لإدارة السجن لتوصيله إلى رئيس الجمهورية أو الحكومة، وقلنا فى هذا التحليل- حسبما أتذكر - أن الاتفاقية أدخلت مصر فى حلف (البحر الأبيض المتوسط الذى كانت مصر تقاومه، وإنها حولت مصر إلى قاعدة لأنها تجعل جميع المطارات والموانى تحت أمر القوات المسلحة البريطانية فى حالة حدوث اعتداء على مصر أو تركيا أو إحدى البلاد العربية، فضلاً عن الاحتفاظ بخمسة آلاف خبير ليست لمصر سلطة عليهم....!

•• الموقف من حركة أنصار السلام:

كنا نشارك فى حركة أنصار السلام بفعالية إلى أن انتهت، وكانت لجنة "أنصار السلام"

فى الإسكندرية، تضم المرحوم مصطفى مشعل والزميل فؤاد مصطفى والزميل متولى السلماوى وآخرين.

•• الموقف من هبة مارس ١٩٥٤:

أيام هبة مارس ضد استمرار الجيش فى السلطة، ومع عودة الجيش لثكنات، وشاركنا بفاعلية فى المظاهرات. وأذكر أن نقابة الطويل، ونقابة ستيا وكانت تضم أناساً من طليعة العمال وكان لهم تأثير فى النقابات الأخرى - قامنا بعقد مؤتمر لنقابات الاسكندرية ضم أكثر من ثلاثين نقابة وكان ذلك فى نقابة مصنع الطويل، وأصدرنا بياناً نشر فى جريدة المصرى، طالبنا فيه بعودة الجيش إلى ثكناته وعودة الحياة المدنية والإفراج عن المعتقلين السياسيين وعودة الدستور والأحزاب وغير ذلك من المطالب الديمقراطية.

وفى أثناء أزمة مارس كنا نخوض إضراباً عن الطعام فى مقر نقابة الطويل، كان إضراباً يقوم به قسم الشلل بالمصنع بقيادة الزميل المرحوم محمود عطية المعروف بمحمود الساعاتى، وذلك من أجل مطالب معينة، وجاء إلينا الليثى عبد الناصر وكان عضوا بارزاً فى هيئة التحرير، وعرض فى مقابل تنفيذ مطالب العمال تحويل الإضراب من إضراب مطلبى إلى إضراب تأييد للثورة، فرفضنا ذلك وأنهينا الإضراب عن الطعام.

وكنا حريصين على تشغيل الماكينات برغم أوامر الشركة بإيقافها حتى لا يقال إن المصنع توقف تأييداً للثورة، فقامت الشركة بقطع الكهرباء، وطردنا بالقوة، فتظاهرنا فى الشارع من أجل الديمقراطية. كان الحرس الوطنى وعناصر من الجيش يرتدون ملابس ويهتفون تحيا الثورة.

•• الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤:

كان تحليلنا أن الإخوان قوة فاشية دينية، وأن النظام استعان بهم لضربنا فى البداية ثم قام بضربهم، وأن ضربهم جزء من التصفية لكل القوى السياسية، وقد كنا ضد محاكمة الإخوان محاكمة عسكرية، كما كنا ضد أن نحاكم محاكمة عسكرية.

•• الموقف من تأميم القناة عام ١٩٥٦:

لقد أيدنا تأميم القناة والكفاح المسلح، لقد قمنا نحن الشيوعيين في النقابات العمالية بتشكيل مدرسة لتعليم السيدات والبنات التمريض، وقمنا بتكوين لجان وطنية في الأحياء للمقاومة الشعبية، وأنشأنا معسكراً لتدريب العمال على حمل السلاح بالتعاون مع قيادة المنطقة الشمالية العسكرية، وكان يأتى جنود وضباط لتدريبنا، وكان الشيوعيون يلعبون دوراً رئيسياً في ذلك.

•• الموقف من انتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧:

فى سنة ١٩٥٧ رشح فى قسم الرمل عدد من الشيوعيين منهم إبراهيم النماس رئيس نقابة عمال النقل وكان من حدتو والزميل سعيد الخيال الذى كان قاضياً واستقال ليرشح نفسه فى المنتزه، ولكن السلطة رفضت ترشيح كل من رشحوا أنفسهم بقسم الرمل وأبقت على مرشح لا يعرفه أحد ولم يعلق لافتة واحدة وفاز بالتزكية إسمه النمر شنودة. وأيدنا السفير الاشتراكى محمد كامل البندارى الذى كان يسمى بالباشا الأحمر والذى كان مقره الانتخابى عيادة الزميل الدكتور حمزة البسيونى، وكنا نقوم بمظاهرة يومية تأييداً له تضم عدة آلاف، وكنا نعقد ندوة يومية بالمقر، ووصل الأمر إلى أن نساء حى زعربانة الشعبى بالضهرية كن يخرجن ويهتفن للبندارى، كان الشيوعيون من كل التنظيمات يؤيدون البندارى، ولكنه كان من الذين شطبت أسماؤهم.

•• الموقف من تمصير الشركات والبنوك الأجنبية:

كنا نؤيد التمصير، وكنا نطالب بالتأميم ومصادرة البنوك والشركات الأجنبية باعتبار أن هذا جزء من تحرير الاقتصاد المصرى. وحسبما أذكر، كنا ضد صرف تعويضات فى مقابل التأميم والتمصير.

•• الموقف من وحدة مصر وسوريا:

كنا نؤيد الوحدة، وأذكر أن التنظيم أصدر بيانات بتأييدها بشرط ألا تتحول سوريا مثل مصر إلى النظام الديكتاتورى، أى بشرط عدم الاعتداء على الحريات الديمقراطية الموجودة.

كانت هناك نظرة تقدمية لحركة القومية العربية باعتبارها حركة مناهضة للاستعمار، ومحققة للتضامن العربي. كما كنا نؤيد حكومة النابلسي في الأردن، وطرد الجنرال جلوب، وكنا ضد إنزال القوات الأمريكية في لبنان.

•• الموقف من سياسات الاتحاد السوفييتي:

كان التنظيم مؤيداً للاتحاد السوفييتي مثل كل التنظيمات الشيوعية، كنا ننشد أناشيد لستالين ولينين. كان ربنا الأعلى هو القيادات السوفيتية والحزب الشيوعي السوفيتي.

وأريد أن أقول إنني لم أدخل السجن عندما قبض على الزملاء في المدة من ١٩٥٩ إلى ١٩٦٤، لأنه كان قد تم تجنيدي في الجيش قبل الاعتقالات بسنة، وقد اضطهدت في الجيش وتمت مراقبتي لدرجة أنني كنت أتمنى أن أسجن. وعندما كنت أخرج في إجازة كانت تتم متابعتي .. كنت قد عرفت أن جزءاً من اللجنة المركزية كان هارباً في الإسكندرية، لكن لم أكن أعرف مكان أحد، وبعد أن خرجت من الجيش جمعت الزملاء الذين لم يقبض عليهم وشكلت منهم شكلاً تنظيمياً، وبدأنا نلف على أسر المسجونين ونقوم برعايتها وجمع أموال لها. كانت تأتي رسائل من الواحات عن طريق عساكر كانوا في حرس السجون كانت تأيدنا. رسائل على ورق بفره كنا نطبعها على البالوظة ونوزعها كمنشورات، وكانت تطالب بالإفراج عن المسجونين والمعتقلين.

وبعد أن خرجت من الجيش في أول ديسمبر ١٩٦١ اشتغلت في مصنع نسيج، كانت توجد حلقة من الزملاء الشيوعيين الذين لم يعتقلوا، وكنا نقود نضالات اقتصادية وعمالية في عدد من مصانع النسيج منها شركة سباهي والشركة الشرقية للكتان والقطن وشركة الإسكندرية للغزل التي عملت بها. كنت أعقد مؤتمراً أسبوعياً تطور بعد ذلك وأصبح حركة عمال الغزل والنسيج. كان بمقر المؤتمر ثمانمائة عامل من ألف عامل بالمصنع، كنا نطرح فيه ما يُسمى بالإصلاح الإداري بالمعنى الشعبي لمقاومة التخريب الذي يحدث والفوضى في الإنتاج، وعدم توافر قطع الغيار. وكنا نطالب بمعرفة تسعيرة إنتاجنا، ونتيجة لذلك تم نقلي لفرع الشركة في الخرنفش وهو مخزن مهجور وذلك بقرار من الاتحاد الاشتراكي.

كانت إدارة الشركة تفتعل حرائق. الحرائق التي غناها الشيخ إمام بعد ذلك بعشرين سنة.

كانت الشركة تقوم بذلك لتدارى ضعف الإنتاج، وأول من انتبه إلى ذلك كان عمال شركة الإسكندرية للغزل والنسيج. حرائق صغيرة ليس فيها خسائر نتيجة تفاعل القطن مع المكن مع الزيت وتأتى المطافى وكأنه يوجد حريق فى المصنع كله، كان على رأس الشركة المهندس عيسى شاهين أمين مساعد الاتحاد الاشتراكى والذى أصبح بعد ذلك وزيراً للصناعة. وكنا نقاوم افتعال تلك الحرائق. وبعد نقلى إلى فرع الخرنفش وصلنى استدعاء غريب للعودة إلى الجيش، واشتركت فى حرب اليمن. وفى أثناء وجودى باليمن صدر قرار بفصلى من الشركة، وبعد عودتى من اليمن بذلت مساعى ورفعت دعوى لإعادتى، لكن الدعوى رفضت.

•• الموقف من حل الحزب:

عندما خرج الزملاء من السجن تم الاتصال بهم، ووصلتنا ورقة تقول إنه أصبح موجوداً الآن نظام اشتراكى، ولا يوجد مبرر لوجودنا، ومطروح مناقشة الحل أو عدم الحل.

نحن كنا مجموعة صغيرة الذين لم يعتقلوا، حلقة صغيرة من العمال، ناقشنا الورقة فى اجتماعاتنا، ولا أدعى أننى وقتها قد حسمت الموقف.. لم أكن أعرف أن الموجود هو اشتراكية أم لا، وهل انتفت فعلاً مبررات وجود الحزب. كنت وقتها أعمل فى مصنع وكنت أرى القهر الذى يقع على العمال، وأشكالاً من التأديب اللائحى لم تكن موجودة قبل ذلك، وأرى أشكالاً من التخريب والسلب والنهب فى القطاع العام لم تكن موجودة فى القطاع الخاص، فى الوقت الذى كنت أجد فيه كلاماً جيداً فى الخطب والإعلام الحكومى. بعض الزملاء رأوا أنه من الناحية الموضوعية لا يوجد حزب، لكننى قلت إننى غير موافق على الحل. وكنت حزيناً بسبب حل الحزب.

•• أسباب الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية حتى ١٩٦٥:

أرى بحكم خبرتى الآن أن الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية المصرية يرجع إلى أن السمة الأساسية للحركة الشيوعية المصرية أو القيادات الشيوعية المصرية هى سيطرة البرجوازية الصغيرة والوسطى عليها، والطبيعة الطبقية للبرجوازية الصغيرة تتصف بالفردية والأنانية والزعامية. ولذلك فالروح الديمقراطية لم توجد فى الحركة الشيوعية، ولذلك كانت

تسود الفردية والاستبدادية ومن هنا تأتى الانقسامات، والمنقسم يخرج بالجرثومة نفسها، وبالتالى يحدث داخله هو أيضا انقسام، وهكذا ....

هذه جريمة في حق الشعب المصرى وفى حق الطبقة العاملة المصرية، ارتكبها ومسئول عنها قيادات المنظمات الشيوعية المصرية. وهذه الجريمة سبب أساسى من أسباب تخلف الشعب المصرى والوضع الذى نعيش فيه الآن.

وهناك سبب آخر : إن بلداً تنعدم فيه الديمقراطية، وشعباً لم يرب تربية ديمقراطية، بل تربى فى أنظمة استبدادية، استبداد فى الأسرة واستبداد فى العمل واستبداد فى الشارع، لابد أن هذا كان من الأسباب التى أدت إلى جعل التيارات الشيوعية غير ديمقراطية

وأرى الآن أن النموذج السوفيتى للتنظيم نموذج خاطىء كنا نحن ننقله بحذافيره. المركزية الديموقراطية كلام روسى وهى نظام غير ديموقراطى. وقد كان هذا النظام من بين أسباب انهيار الاتحاد السوفييتى. كان النظام استبدادياً فى داخل الحزب وبالتالى فى داخل الدولة الاشتراكية.

•• الزملاء الذين أقترح أخذ شهادتهم :

يوجد فى الإسكندرية زملاء رحلوا عنا ولم تؤخذ شهاداتهم ولم توثق أدوارهم مثل : الزميل محمود عطية الشهير بمحمود الساعاتى، والزميل عبد المنعم ناطور الذى كان وكيل نقابة عمال الطويل، والزميل يوسف الدسوقى عامل النسيج بسباهى، والزميل محمد الفيومى وقد كان من عمال شبرا الخيمة، وعمل معنا، والزميل الشيخ مرسى عبد الجواد، والزميل الذى علمنى والحقنى بطليعة العمال : عبد الرحيم محمد يونس، ومن غير زملاء طليعة العمال الزميل صابر زايد الذى طلبت منه أن يكتب شهادته؛ ولكن قدرته على الكتابة كانت محدودة. ومن الزملاء الأحياء الزميل محمد زيان أحد عمال شركة الطويل للنسيج، والزميل إبراهيم سلام، والزميل الشيخ إبراهيم الكفيف- وقد توفى- والزملاء شحاتة عبد الحليم ومحمد عبد الحليم وفؤاد مصطفى والزميل عطية سالم، والزميل منصور أنيس، والزملاء جابر المعايرجى وأحمد مصطفى ومحمد يونس وحمزة البسيونى ومتولى السلماوى، والزميل عثمان محمد إبراهيم الشهير بشنا.

شهادة

محمد يونس

الأســـــــم: محمد يونس

تاريخ وموطن الميلاد: في ١٩٢٥/٤/٢١ حي الورديان بالأسكندرية

المهـــنـــة: عملت صبيًا في ورشة منشار أخشاب وأنا صغير، ثم اشتغلت عاملاً للنسيج بمصنع بلوفارا بمحرم بك، وفصلت بسبب قيامنا بالاحتفال بعيد لعمال العالمي - عيد أول مايو، وعملت بمصانع أخرى بالأسكندرية، والقاهرة مدة شهور بين فترات سجني، وعملت كمحترف ثوري فترة بين فترات السجن والاعتقال.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية: ٢١ عامًا، حيث أنني إرتبطت بالحركة الشيوعية عام ١٩٤٦

فترة السجن والاعتقال: قبض عليّ سنة ١٩٤٩، وصدر الحكم عليّ بالسجن خمس سنوات، وأفرج عني عام ١٩٥٣ ثم قبض عليّ في أغسطس ١٩٥٣ وحكم عليّ بخمس سنوات أخرى، وأفرج عني في أغسطس ١٩٥٨ ثم تم اعتقالي في ١٢ يناير سنة ١٩٥٩، وأفرج عني بعد أكثر من خمس سنوات في عام ١٩٦٤ عندما أفرج عن كل الشيوعيين.

ولدت لأسرة فقيرة جدًا، كان والدي عاملاً بشركة الكهرباء بالأسكندرية، ونظرًا لظروف الأسرة لم أكمل تعليمي، وعملت وأنا صبي صغير بورشة منشار أخشاب بحي الورديان الذي كنا نسكن فيه بعد ذلك عملت في عام ١٩٤٦ بمصنع بلوفارا للنسيج بحي محرم بك وكان مملوكًا لإيطاليين. كانت الأجور ضئيلة جدًا، كان أجري في اليوم قرشان، كنت أقبض في الأسبوع ١٢ قرشًا، وكان يوجد بالمصنع عمال شيوعيون، لم أكن بالطبع أعرف ميولهم السياسية في البداية، وعملنا على تكوين نقابة في المصنع وتم ذلك بالفعل. وفي عام ١٩٤٧ احتفل عمال المصنع بعيد أول مايو، عيد العمال العالمي، ولعل مصنعنا كان أول من يقيم احتفالاً بذلك العيد في مصر كلها، ونتيجة ذلك فصلت من العمل في ذلك العام (١٩٤٧)، وعملت في مصانع أخرى في القباري كنت أفصل من كل منها بعد شهور بسبب نشاطي العمالي؛ خاصة أنني في عام ١٩٤٦ كنت رئيسًا لنقابة عمال الغزل والنسيج في الأسكندرية،

أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب - عضو لجنة التوثيق.

وفي مارس ١٩٤٩ قبض عليَّ وقدمت للمحاكمة وصدر الحكم عليَّ بالسجن خمس سنوات وغرامة ٢٠٠ جنيه ومراقبة خمس سنوات، وأفرج عني عام ١٩٥٢ ، وعملت بالغرامة «مصاريف» في أحد أقسام البوليس، ثم كسرت المراقبة وهربت إلى القاهرة، وهناك احترفت العمل الثوري مدة ستة شهور ثم قبض عليَّ في أغسطس سنة ١٩٥٣ وحكم عليَّ بخمس سنوات أخرى، وغرامة ومراقبة لمدة خمس سنوات وأفرج عني في أغسطس ١٩٥٨ وكسرت المراقبة وعملت محترفًا ثوريًا، وعندما بدأت الاعتقالات في أول يناير ١٩٥٩ كنت هاربًا ولم يكن مسكني معروفًا، ولم يقبض عليَّ إلا في ١٢ يناير سنة ١٩٥٩ .

•• التعرف على الفكر الماركسي والتنظيم الذي ارتبطت به :

كما قلت كنت رئيسًا لنقابة عمال الغزل والنسيج بالأسكندرية عام ١٩٤٦، وكان يوجد زملاء من العمال شيوعيين، كانوا يحدثونني عن الاشتراكية، وعن طريقهم ارتبطت عام ١٩٤٦ بالحركة المصرية للتحرر الوطني، وكانت في ذلك الوقت في طريقها للوحدة مع منظمة (إيسكرا) وتكوين منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني. ومنذ ارتبطت بالحركة الديمقراطية لم أتركها حتى تم الحل عام ١٩٦٥. وقبل الارتباط بالحركة المصرية لم أرتبط بأي حزب سياسي، كان كل عملي مركزًا وسط العمال وفي النضالات العمالية والنقابية. وعندما وقعت الانقسامات كنت في السجن ولم أرتبط أبدًا بأي انقسام أو أي تنظيم خارج عن الحركة الديمقراطية. كان اعتقادي ولا يزال حتى الآن أن الانقسام أيًا كان شكله معادٍ للعمل وللفكر الماركسي وهو محاولة بوليسية لتفتيت الحركة الماركسية الموحدة.

•• مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة :

كان للحركة الديمقراطية ارتباط كبير وواسع بالطبقة العاملة. وقد كان النشاط العمالي بالأسكندرية حتى تم اعتقالي سنة ١٩٤٩، هو نشاط الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وحدها.

●● دور التنظيم وسط الفلاحين :

كان للحركة الديمقراطية نشاط فلاحى فى محافظات وجه بحرى وبعض الأماكن فى وجه قبلى، وكانت الحركة تصدر مجلة خاصة بالفلاحين. ومن الزملاء الذين كانوا مسئولين عن هذا العمل الزميل فؤاد حبشى والزميل فؤاد عبد الحليم والزميل شريف حتاته.

●● المستويات التنظيمية التى اشتركت فيها :

قبل اعتقالى سنة ١٩٤٩، كنت عضو لجنة منطقة الأسكندرية. وعندما تمت الوحدة التى كونت الحزب الشيوعى المصرى الموحد سنة ١٩٥٥ أصبحت عضواً فى اللجنة المركزية فى الحزب الموحد. وبالمناسبة أذكر أننى اشتركت فى مدرسة كادر فى بدايات انضمامى للحركة الشيوعية، وأذكر أن الدكتور عبد العظيم أنيس وكان وقتها بكلية علوم بالأسكندرية ألقى محاضرات فى مدرسة كادر، وقد أفادتنى هذه المحاضرات كثيراً.

●● الموقف من التنظيمات الأخرى ومن وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ :

انا كنت كما قلت ضد الانقسام، وكنت أرحب بأية وحدة تضم الشيوعيين، وقد أيدت كل أشكال الوحدة التى عملتها الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى. وأذكر فى فترة السجن الأولى أن زملاء منظمة م. ش. م كانوا يتهموننا كلنا بالبوليسية ويقاطعوننا مقاطعة كاملة، كان موقفاً طفولياً.

وعندما حدث الانقسام عام ١٩٥٨، كنت مع زملاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، لقد كنت دائماً وحتى آخر يوم مؤمناً بالحركة الديمقراطية. وكما سبق أن قلت إن رأيى كان دائماً أنه توجد عناصر غير مخلصة تلعب دوراً فى تفتيت الحركة، دوراً تخريبياً، وقد كانت موجودة فى كل تنظيمات الحركة بلا استثناء. من اسهل التنظير للانقسام، والحقيقة أن الأفكار لم تكن متباعدة، لم تكن توجد خلافات كبيرة، ومن المؤكد أن المباحث والسلطة كانت تلعب دورها فى الانقسامات التى تمت، وفى تحقيق الوحدة ثم فى تحقيق الانقسام.

•• الموقف من أحداث عام ١٩٤٦ :

عندما وقعت أحداث ١٩٤٦، كنت قد ارتبطت بالحركة المصرية للتحرير الوطني، ولعبت دوراً في تحريك العمال ضد الاستعمار في تلك الأحداث. لم أكن عضواً في لجنة الطلبة والعمال بالأسكندرية. وكان دوري وسط العمال. كانت الحركة العمالية نشيطة جداً، وكانت القضية الأساسية في ذلك الوقت هي القضية الوطنية ولذلك كان النضال الأساسي ضد الاستعمار. وكنا نربط المعركة ضد الاستعمار بالمعركة ضد الاستغلال والرأسمالية والنضال من أجل الاشتراكية. في ذلك الوقت كانت أعداد كبيرة من العمال ترتبط بالعمل السياسي، وقد كونا في ذلك الوقت خلايا كثيرة في المواقع العمالية.

•• الموقف من القضية الفلسطينية :

في عام ١٩٤٨ كان يوجد حركة عمالية معادية للصهيونية، وكانت توجد تحركات عمالية تنادي بتحرير فلسطين، وكان الاتجاه العام ضد قرار التقسيم. وقد أدركت فيما بعد أن قرار التقسيم قرار عملي وإن كان مرفوضاً من الحكام العرب. وعندما قبلت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني قرار التقسيم كان قبولها على أساس أن هذا هو الحل للقضية، وأنه يمكن أن تنشأ دولتان وبعد وجود نوع من التفاهم تصبحان دولة واحدة.

•• الموقف من ثورة يوليو ١٩٥٢ :

عند قيام الثوره كنت في سجن الأسكندرية تمهيداً للإفراج عني، كنت أعامل كمسجون عادي. وكان فتحي رضوان عمل مشروعاً لمعاملة المسجونين السياسيين معاملة حرف أ وحرف ب، ومن يعاملون هكذا يكون لكل منهم سرير وأكل خاص، ورفضت السلطة معاملة الشيوعيين على هذا الأساس وذلك بقولها إن الشيوعية جريمة اجتماعية وليست جريمة سياسية.

وبعد قيام الثورة مباشرة كان رأينا داخل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطن أن ثورة يوليو انقلاب عسكري، وكنا نحن ضد الانقلابات العسكرية على أساس أننا ندعو إلى ثورة الشعوب.

وبعد شهور تغير الموقف، وأيدنا الثوره نتيجة مواقفها، واستمر التأييد، وكنت أعرف أن فى قيادة الثورة ضباطاً مرتبطين بالحركة الديمقراطية لتحرر الوطنى.

•• الموقف من حل الحزب :

فى أول الستينيات كان يوجد أكبر عدد من اليساريين فى الواحات، وكانت تدور مناقشات بين حدتو والحزب الشيوعى المصرى الذى يضم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) والحزب الشيوعى للعمال والفلاحين، ووصلت حدتو (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) إلى وجود مجموعة اشتراكية فى السلطة، وكان الآخرين يقولون إن السلطة تمثل الاحتكار، كان من المفهوم أن نفكر فى الحل، ولكن كيف فكر الآخرون فى الحل، وهم يقولون بتمثيل السلطة للاحتكار. كان يوجد اتصالات بين زملاء قياديين والسلطة، وكان كمال عبد الحليم الذى يثق فيه زملاء حدتو بالخارج، وكان على اتصال بالسلطة، وبعد الإفراج عنا عقد كونفرنسين فى بيت يوسف صديق بالقاهرة لمناقشة موضوع الحل، الكونفرنس الأول لم نصل فيه إلى قرار، فعقد الآخر لاستكمال المناقشة. وكان كمال عبد الحليم يقول إنه سيضمنا تنظيم واحد مع السلطة، وإذا لم يتم هذا سنعيد تكوين الحزب، وكنت الوحيد الذى رفض الحل على أساس أنه لابد من وجود التنظيم الواحد أولاً ثم نحل الحزب، القرار صدر على أساس الإجماع، وهذا غير صحيح. كنت معارضاً لحل الحزب.

شهادة

محمود العالم

الأســــــــــــم : محمود أمين العالم

تاريخ وموطن الميلاد: ١٨ فبراير ١٩٢٢ بحى الدرب الأحمر بالقاهرة.

المــؤهــــلات حصلت على ليسانس الآداب والماجستير، ولم أحصل على الدكتوراه بسبب فصلى من الجامعة.

فترة السجن والاعتقال : خمس سنوات وعدة أشهر اعتباراً من سنة ١٩٥٩، وستة شهور أخرى بعد ذلك فى قضية ما يُسمَّى بمراكز القوى فى عهد السادات.

المهن التى عملت بها : عملت «مخزنجى» فى مدرسة الأورمان وأنا طالب فى الجامعة، وموظفاً إدارياً بكلية الآداب ثم مدرساً مساعداً فى كلية الآداب بقسم الفلسفة ثم فُصلت فعملت مدرساً خصوصياً للغات اللاتينية والفرنسية والإنجليزية ثم صحفياً فى روزاليوسف، وبدأت أكتب فى النقد الأدبى. وخلال عملى فى روزاليوسف، اتصل بى أنور السادات وقال لى إنهم يريدون إصدار مجلة جديدة عربية ترتفع فوق مستوى كل المجلات العربية، وكان هو رئيس مؤسسة دار التحرير آنذاك، وطلب مشاركة أحمد حمروش أيضاً، وأصدرنا عددين تجريبيين من مجلة اسمها «الفجر» ثم ثبت أن المسألة كانت وسيلة لإبعادى عن روزاليوسف، ولم تصدر المجلة، كان ذلك عام ١٩٥٦، وأصدرت أنا وأحمد حمروش مجلة اسمها «المعركة» من دار التحرير أيضاً وفى الساعة الثالثة صباحاً، وكان العدد الأول على وشك الصدور، منع زكريا محيى الدين وزير الداخلية آنذاك صدوره.

وقد عملت بعد ذلك مديراً تحرير لمجلة «الرسالة الجديدة» التى كانت تصدر عن دار التحرير وكان يرأسها يوسف السباعى، حتى بدأت حملة الاعتقالات عام ١٩٥٩، بعد فترة السجن تم اختيارى عضواً فى طليعة الاشتراكيين ثم أصبحت بعد ذلك عضواً فى أمانتها المركزية، وكنت قد عُينت مسئولاً أدبياً بمجلة المصور، ورئيساً لتحرير مجلة الهلال لفترة، ثم توليت رئاسة هيئة الكتاب ثم تفرغت لرئاسة مؤسسة الكاتب العربى، ثم توليت مسئولية مؤسسة المسرح، ثم

أجرى الحوار أ. نجاتى عبد المجيد قبل رحيله، أ. رمسيس لبيب عضوا لجنة التوثيق.

طلب منى عبد الناصر فى أثناء مقابلة طويلة أن أتولى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم، وكان محمد حسنين هيكل يتولى آنذاك رئاسة الأهرام وأخبار اليوم. وفى أثناء وجودى فى أخبار اليوم تمت انتخابات لعضوية الاتحاد الاشتراكى واللجنة المركزية، وفزت فى هذه الانتخابات عن حى بولاق حيث تقع مؤسسة أخبار اليوم ثم استبعدت عن رئاسة أخبار اليوم، وبقيت أعمل عضواً فى قيادة أمانه الطليعة الاشتراكية. ثم استدعيت مره أخرى لرئاسة مجلس إدارة مؤسسة المسرح، وظللت مسئولاً عنها حتى توفى عبد الناصر وتولى السادات الحكم، وحدث اشتباك بينى وبينه بسبب اختلافى معه فى اجتماع اللجنة المركزية حول مدّ فترة وقف إطلاق النار، وكنت ضد هذا الوقف فاعتقلت مرة أخرى مع ما سموا بمراكز القوى، وقدمت للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ثم سحب اتهامى فى آخر لحظة، وذلك لأننى بدلاً من الدفاع عن نفسى اتهمت السادات فى التحقيق معى لأننى كنت على علم تام بالمراسلات التى تمت فى تلك الفترة بينه وبين إسرائيل، وكنت فى ذلك الوقت مسئولاً عن مؤسسة المسرح، وجاء بعد الافراج عنى من يحقق معى ويقول إننى تغيبت عن عملى مشيراً إلى الفترة التى كنت معتقلاً فيها؟! وتأسيساً على ذلك صدر قرار يوسف السباعى وزير الثقافة آنذاك والسادات بإحالتى إلى المعاش.

وفى ذلك الوقت جاءتنى دعوة من جامعة سان أنطونى كوليج بأوكسفورد لأذهب هناك وألقى بعض المحاضرات، ومنعت من السفر لمدة سنة ثم سافرت وعينت هناك كأستاذ زائر وذلك لمدة عام ونصف، ثم ذهبت إلى فرنسا وعُينت فى جامعة باريس (بارى٨) - اسمها الآن فان سان - أستاذاً مساعداً للحضارة، وبقيت هناك حوالى عشر سنوات أدرس تاريخ الفكر العربى الإسلامى كله والفكر المعاصر والنقد الأدبى بشكل عام.

وكان لى نشاط ذو طابع سياسى، إلى جانب عملى العلمى، فقد كنا نصدر أنا وصديقى الرفيق ميشيل كامل مجلة اسمها «اليسار العربى» تنطلق من رؤية عربية ديمقراطية ذات توجه تقدمى . كما شكلنا مع اللواء الشاذلى جبهة المصريين فى الخارج، عندما أقدم السادات على الصلح مع إسرائيل، ونتيجة لذلك تعرضت لمضايقات فى فرنسا عامة وفى الجامعة بوجه خاص وتوقف تجديد تعيينى. وفى ذلك الوقت كان ميتران يجهز نفسه لرئاسة الجمهورية، فأصدر كتاباً اسمه «هنا والآن» يهاجم فاليرى جيسكار ديستان، وجاء بالكتاب فقرة كبيرة عنى يقول

فيها «من مظاهر العمل السئ أنهم يمنعون التجديد لفلان الفلانى المثقف المصرى» وهكذا عدت إلى الجامعة مرة أخرى، واستمررت فى العمل إلى أن مات السادات فوجدت أن وجودى فى فرنسا لا مبرر له فاستقلت من الجامعة، وعدت إلى مصر بالرغم من أنه كانت قد تمت محاكمتى فى مصر أنا وميشيل كامل مع آخرين غيابياً وفقاً لقانون العيب الذى كان السادات قد أصدره، وصدر الحكم بحرماننا من الحقوق السياسية والمدنية ومصادرة أملاكنا! «التى لم تكن موجودة فعلاً»، عدت إلى مصر ووصلت إلى بيتى بلا مشاكل، وفى اليوم التالى ذهبت إلى النيابة، وأبلغت هناك بأنه وفقاً للحكم الصادر ضدى ليس لى من الناحية المدنية حق مباشرة أية أعمال رسمية أو وظائف، أما من الناحية القضائية فإننى معرض للقبض علىَّ وإحالتى إلى المحاكمة فى أى وقت. وقد استمر هذا الحكم قائماً حتى ألغى أخيراً منذ ثلاث أو أربع سنوات وقد دعيت للعمل فى المصور، كما تقدم لويس عوض باقتراح بأن أعمل بالأهرام فاعتذرت، لأننى كنت عائداً إلى مصر لأكرس جهودى للعمل الثقافى والثورى. كنت ومازلت أعتقد أن بلدنا ينقصها الفكر العقلانى النظرى. ففكرنا جميعاً تسوده الهشاشة النظرية، والاتجاه الغالب هو الأقرب للرؤية التجزيئية، ولذلك فكرت فى إصدار مجلة «قضايا فكرية» من أجل خدمة قضية الفكر والعقل والديمقراطية والإبداع، وهى التى تفرغت لها كعمل صحفى، وهو آخر عمل صحفى أقوم به فى حياتى، ويغلب عليه الطابع الفكرى والفلسفى، هذا طبعاً إلى جانب كتاباتى الأخرى.

نشأت فى جو دينى، كان أبى شيخاً، وكنا نسكن فى الدرب الأحمر بجوار الأزهر، وقد كان أخى الكبير شوقى طالباً فى الأزهر وفصل وهو فى الصف الثالث الابتدائى لأنه أصدر كتاباً اسمه «الأزهر فوق المشرحة»، ينتقد فيه إسلوب التعليم والدراسة بالأزهر، وخرج إلى الحياة كباحث فى اللغة العربية، وظل يتطور إلى أن أصبح عضواً فى مجمع اللغة العربية، ومن العلماء الكبار فى اللغة، وقد كانت لديه مكتبة عظيمة كانت ذات نفع كبير لى.

وكان لى أخ آخر ضرير، وكان فى الأزهر أيضاً، وقد وصل إلى العالمية فى أصول الدين، وقد كان ذا أثر كبير فى حياتى منذ أن كان عمرى سبع سنوات، كان يكتب بطريقة برايل، وكنت أنا الذى أقرأ له. قرأت له كل كتب التراث العربى دون أن أفهم شيئاً منها فى البداية، قرأت له أدبيات اللغة والنحو والفقة وأصول الدين والفلسفة، وظللت أقرأ له وهو يكتب بطريقة

برايل ليدرس، وكان ذكيًا جداً، وعندما ذهبت إلى فرنسا وحين كنت أبدأ أدْرُس الفلسفة العربية الاسلامية وأصول الدين كانت فى داخلى أشيا، كثيره نتيجة قراءاتى وأنا صغير لأخى أحمد.

كان ذلك الجو العائلى الدينى يضغط علىّ وكذلك الحى الدينى الذى كنت أعيش فيه، وكان ذلك مفجراً التمرد فىّ، ولذلك بدأت مبكراً أتمرد أولاً عن طريق التصوف فقد وقع فى يدى مصادفة كتاب عن الحلاج، وكان هذا شيئًا عظيما بالنسبة لى. فالحلاج مؤمن جداً ولكنه لا يؤمن بقوة مفارقة، كان يرى أن الله فينا، وكان يقول : .. «أنا الله» وكان الحلاج يدافع عن حقوق الناس ومصالحهم، كان صوفيًا غريبًا، كان متزوجًا ولديه أولاد، كان مجدداً فى الدين بالتمرد على طقوسه الشكلية، وكان رائعًا فى محاكمته، ووصل الأمر بتعلقى بالحلاج فى ذلك الوقت إلى أن كتبت شعراً أقلد فيه شعر الحلاج، وما أجمل شعره الذى لا يزال حيا فى وجدانى!! مثل «إقتلونى ياثقاتى إن فى قتلى حياتى». «أنا من أهوى ومن أهوى أنا».. إلخ .. هذا فضلاً عن الرؤية الكونية الإنسانية الشاملة.

وبعد تجربة الحلاج الصوفية، تعرفت على فلسفة نيتشه المثالية، ووجدت لقاء روحيًا عميقًا بين الحلاج الذى يقول بالإنسان الكامل وفلسفة نيتشه الذى يقول بالانسان الأعلى .. ولا توجد قوى مفارقة تفرض على الإنسانية مشيئتها. وهكذ بدأ فكرى يتجه أتجاهاً مثاليًا، وفى الوقت نفسه، إنسانيًا .. والغريب أنه كان هناك بعد ثالث، فبينما كنت فى المرحلة الابتدائية فى مدرسة النحاسين فُصلت من المدرسة لعدم قدرتنا على سداد المصروفات، وكان الملك فؤاد مريضًا وشفى فقرر منح مجانية للمتفوقين، فعدت إلى المدرسة، وحصلت على جائزة عن موضوع لا أذكره الآن، وكانت الجائزة عبارة عن كتابين، الأول «رحلة أحمد حسنين باشا فى الصحراء الغربية» وجذبنى هذا الكتاب لفكرة البحث والمغامرة، والثانى «آفاق العلم الحديث» ليعقوب صروف رئيس تحرير المقتطف، آنذاك، وهو كتاب علمى، وكان سنى وقتها سبع أو ثمانى سنوات، ومع ذلك ظل هذا الكتاب يؤثر فى تفكيرى، استمر يوجهنى بشكل غريب إلى جانب تأثير الحلاج ونيتشه، وكان أخى شوقى يعشق مصطفى كامل ويحدثنى دائمًا عنه وعن شخصيته ونضاله الوطنى، ولذلك كنت وطنيًا متحمساً ومثاليًا ومهتمًا بالعلم فى الوقت نفسه، واكتشفت بعد ذلك أن العلم يمكن رؤيته بشكل موضوعى مادى وبشكل مثالى إنسانى فى

الوقت نفسه، ولهذا عندما حصلت على الشهادة الثانوية والتحقت بالجامعة اخترت قسم الفلسفة بكلية الآداب، وكان ذلك بتأثير نيتشه أكثر من الحلاج، ولكن استمر اهتمامي بالجانب العلمي كذلك، وطبعًا بعد تأثري ب نيتشه جاء تأثري ببرجسون فهيجل، ثم المدرسة المثالية كلها، ولهذا عندما فكرت في التقدم نيل رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير بعد حصولي على درجة الليسانس؛ اخترت موضوعًا عن نظرية «المصادفة» في الفيزياء الحديثة؛ لأثبت أن العلم ليس موضوعياً، وأن مصدر العلم هو الإنسان نفسه.

وهكذا تبنّيتُ نظرية المصادفة في الفيزياء لأدحض الأساس الموضوعي للعلم، وواصلت الدراسة والبحث حتى التقيت بكتاب لفلاديمير إليتش لينين هو «المادية والنقد التجريبي».. قرأت هذا الكتاب فتغيرت رؤيتي للواقع وللعلم، وكنت على وشك تقديم رسالتي، بعد شهرين أو ثلاثة، وكان الدكتور يوسف مراد أستاذي العظيم مشرفًا على الرسالة، وهو من الناس الذين أثروا فيّ تأثيراً كبيراً جداً، والمهم أنني بدأت أفكر في موضوع رسالتي بشكل جديد، آمنت بالعلم، وبدلاً من تسمية الرسالة «نظرية المصادفة في الفيزياء الحديثة» أصبحت «نظرية المصادفة الموضوعية» ،لأنني اكتشفت أن لمصادفة واقعة موضوعية تحكمها الضرورة، ولكنها ضرورة معقدة، وهكذا اقتنعت بالعلم وبالتالي بالماركسية. وبالطبع لم أستطع أن أذكر «الماركسية» في الرسالة، أو حتى كلمة «الجدلية» كنت استخدم بدلاً منهم تعبير «التكميلة»، ولعل هذا حقق خللاً في فكر الرسالة، لكنني قدمتها وحصلت على امتياز بمرتبة الشرف، وحصلت على جائزة الشيخ على عبد الرزق في الفلسفة، وعينت مدرسًا مساعداً للمنطق ومناهج العلوم..

وعندما اقتنعت بالماركسية كنت على معرفة بالحركة الشيوعية المصرية، كنت أعرف كمال عبد الحليم، ولكني كنت أتحرك في لإطار الوطني الديمقراطي، حتى أنني وأنا موظف في الكلية – قبل تعييني مدرساً بها – جوزيت بلفت النظر لأنني تركت العمل وكنت أشارك – كان ذلك في أعوام ١٩٤٥ ، ١٩٤٦ – في المظاهرات. وقتها كنت أختلف مع الحركة الماركسية نتيجة لبعض ظواهر السلوك، فضلاً عن استمرار بقايا فكري المثالي السابق. لقد سمعت آنذاك من يقول إن طريق التجنيد للحركة الشيوعية هو أن "نجذب بالجنس ونربط بالنظرية"، فكنت أرفض ذلك الكلام، وأذكر أنه في ذلك الوقت كان لويس عوض يهاجم منهج المادية الجدلية والتاريخية.

وكان عبد الرحمن بدوى يعقلن الوجودية وكنت أعجب بهما واختلف معهما فى الوقت نفسه، وأبحث عن وضوح نظرى. ومن لطريف أننى وصديقى عباس أحمد قرأنا كتاب «الزمان الوجودى» لعبد الرحمن بدوى فى ليلة واحدة وانتهينا إلى أن عبد الرحمن بدوى قد خان الوجودية بكتابه هذا، إذ وضعها داخل مقولات حولتها إلى شئ عقلى، فذهبنا إلى بيته لمحاكمته باسم الوجودية التى خانها، فقد كنا نعتبر أنفسنا أقرب إلى الوجودية الحيّة منه آنذاك!

وبالطبع قادنى كتاب لينين بعد ذلك إلى كتاب إنجلز «جدل الطبيعة» وأيامها كنت صديقًا لعبد الخالق محجوب ووسيلة من السودانيين الشيوعيين فى القاهرة وكمال عبد الحليم، وكنت أتحرك معهم فى القضايا الوطنية مع اختلافى معهم فلسفيًا، كما شاركت فى أحداث ١٩٤٦ كلها من الزاوية الوطنية الديمقراطية كما سبق أن ذكرت.

الخلاصة أننى من خلال بحثى العلمى تحولت من المثالية إلى المادية الجدلية، وانتهيت من كتابة رسالتى على أساس منهجى مختلف، وانضممت إلى الحركة الشيوعية. وكانت الحركة متعددة التنظيمات، ويسيطر على بعضها قيادة غير مصرية، ولهذا كان يشغلنى أمر توحيدها وتمصيرها، ووجدت التنظيم الذى كان هذان الأمران واضحين فى خطه وهو تنظيم «نواة الحزب الشيوعى» وقابلنى طاهر عبد الحكيم بفوزى جرجس. ثم التقيت بعد فوزى بعدد من المثقفين من خارج النواة، وقد سعدت جدًا بشهدى عطية، والتقيت بأنور عبد الملك وهو الذى عرّفنى بشهدى، وكان شهدى يمثل حدتو من الخارج إذ كان عدد كبير من قيادات حدتو فى داخل السجن فى ذلك الوقت، كنت ألتقى مع رشدى صالح ونتناقش، ومع سلامة موسى الذى كان صديقًا عزيزًا، كما كنت ألتقى ببعض القيادات السودانية والعربية عامة فى دائرة الطلبة. كان همنا الأكبر فى النواة أن نقف موقفًا صحيحًا من الأحداث، بشكل علمى، وأن نحقق هذا التوحيد والتمصير وحينما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ اختلفنا معها تمامًا من حيث المبدأ، رأينا أن هناك احتمالاً أن تكون مرتبطة بالأمريكان لإزاحة الإنجليز ليحلوا مكانهم، لكن رأينا أنه لا ينبغى أن نقف منها موقف العداء بشكل مباشر، وأنه ينبغى أن نؤيد الإجراءات التى نرى أنها مفيدة أو وطنية. أذكر أنه كانت هناك حكة شديدة فى موقفنا آنذاك. ولكن سرعان ما انفجر الموقف، خاصة عندما ودع السفير الأمريكى مع محمد نجيب الملك فاروق بشاطئ الإسكندرية.

شعرنا أن هناك محاولة لاستبدال شئ: احتلال باحتلال أو نفوذ بنفوذ ثم كانت اتفاقية الجلاء التي كانت تحقق جلاء القوات الإنجليزية بالفعل المتمركزة في القنال، إلا أنه جاء في اتفاقيتها نص يقضي بأنه لو حدث تهديد من الاتحاد السوفيتي على تركيا يكون من حق القوات البريطانية أن تعود إلى مواقعها في قناة السويس. وعند عقد ذلك الاتفاق تم التقاء بين ممثلين من التنظيمات المختلفة، بل أذكر لقاءً من جانب حدتو بالإخوان المسلمين، (أحمد الرفاعي وسيد قطب مثلاً) ضد هذه الاتفاقية وبالتالي ضد حركة الجيش كما كنا نسميها آنذاك. كان الموقف منها حاداً فعلاً وخاصة العداء للاتفاقية التي كنا نعتبرها تسليماً لمصر لقوى أخرى ودعوة لاحتلال آخر، وهكذا، وبدأ نشاطنا لتجميع القوى الأخرى، منظمة الراية كانت لا تزال بعيدة، ولكن كان موقفها حاسماً ضد حركة الجيش. في تلك الفترة كنت ألتقي بزملاء من التنظيمات الشيوعية كلها، لم يكن لي تراث عدائي مع أحد. حدتو كانت تكره شهدي عطية كراهية التحريم، فوزي جرجس كان على خلافات شديدة مع حدتو، كنت أقابل زملاء من كل التنظيمات، محمود المنسترلي وابراهيم المنسترلي وعدلي جرجس العامل الصلب الذي كان من الشخصيات النادرة الصلبة والمتفتحة آنذاك. كان البعض متفتحاً جداً والبعض منغلقاً جداً، وكان هناك آخرون متعالون، لكن لم يكن لي شخصياً مشاكل مع أحد. وكان السودانيون في الحركة أصدقاء لي، ولذلك كنت أتحرك داخل الحركة الشيوعية حركة حرة لا تثقلها أفكار مسبقة أو عداوات شخصية. وكانت توجد بالفعل رغبة لعمل شئ مشترك.

وقد أتاحت هذه الظروف، فضلاً عن وجود أغلب القيادات والرؤوس الكبيرة داخل السجن وخاصة رؤوس حدتو، تحقيق الوحدة وتكوين الحزب الشيوعي المصري الموحد عام ١٩٥٥ بين حدتو والمنظمات الأخرى الصغيرة، وظلت منظمة الراية ومنظمة طليعة العمال خارج الوحدة.

وفي وحدة الموحد كان يوجد قرار مهم، كنا أنا شخصياً وشهدي وعدد آخر من الزملاء حريصين على تحقيقه، وهو ألا يكون كوريل عضواً في قيادة الحزب وذلك دون رفض لليهود أو اتخاذ موقف منهم.

وأعتقد أنني في ذلك الوقت كنت بعيداً عن التفاصيل الصغيرة. كنت أرى أن اشتراط وجود مؤتمر أو كونفرنس قبل الوحدة كلام مثالي بعض الشئ. كانت قد تحققت رؤية شاملة بين من

حققوا وحدة الموحد، وقد تم عقد كونفرنس بعد عمل الوحدة وانتخبنا لجنة مركزية، واتخذنا القرار الخاص بكوريل وبغيره من قرارات تتعلق بتوجه استراتيجي جديد يتبنى مفهوم «التأييد النقدى» لنظام يوليو بدلاً من مفهوم «الإسقاط» الذى كان سائداً.

وفى تقديرى أن الوحدة التى تمت بين بعض المنظمات وكوّنت الموحد لم تكن مجرد وحدة بين عدد من التنظيمات أو دعوة للمزيد من الوحدة بقدر ما كانت استقطاباً للعمل بين قوى اليسار التى تنشط وتعمل بالفعل الحزب الشيوعى المصرى (الراية) كان أعضاؤه استعلائيين نظرياً بعض الشئ، والزملاء فى د-ش. كان عملهم يغلب عليه الطابع النقابى، لتنظيمات التى حققت الوحدة كانت هى التنظيمات المكافحة النشطة سياسياً فعلاً، ونتيجة الوحدة وجد نوع من التجمع السياسى الفعال النشط، وفى ذلك الوقت كان الموقف لا يزال معادياً لثورة يوليو واتهام قياداتها بالعمالة للأمريكان، ولكن هذا الموقف كان قد بدأ يهتز ويتفكك على الأقل فى رؤيته الجامدة.

وكان لابد أن يعقد مؤتمر لمناقشة هذه القضية، وعقد المؤتمر، كان به ممثلون من اللجنة المركزية الجديدة وممثلون من خارجها أيضاً، وكان هناك اتجاه لتغيير موقفنا من الديكتاتورية لعسكرية، وخاصة بعد تفجر التناقضات بينها وبين أمريكا وإسرائيل وبداية الاتجاه إلى التحالف مع القوى الوطنية الديمقراطية فى بلدان العالم الثالث (باندونج) ومع القوى لاشتراكية كذلك. قال البعض نؤيدها لنسقطها، وقال البعض نتحالف معها لنغير الجانب العسكرى فيها، وقال آخرون نؤيدها فى أشياء ولا نؤيدها فى أشياء، ولكن أذكر أن مجمل التقرير الذى قُدم للمناقشة كان يقول بأن هناك توجهاً وطنياً وسياسياً واقتصادياً ولذلك علينا أن نساندها، وكانت الصيغة التى اتفقنا عليها هى المساندة النقدية، وأذكر أننا أعددنا وثيقة بهذا المعنى، ولكن للأسف أحد الزملاء الذى وصلته الوثيقة ليقرأها قبل إرسالها إلى المطبعة أضاف فى السطر الأخير «هذا هو الطريق لإسقاط الديكتاتورية العسكرية» وقد كان حسن المصيلحى رجل المباحث العامة آنذاك يستند إلى هذه الجملة فى كل المحاكمات التى تمت بعد ذلك ليثبت أننا نؤيد الحكومة لإسقاطها.

وجاء تأميم قناة السويس، وقمنا بتأييد التأميم ودعمه فكرياً وجماهيرياً، ولإحساسنا بأن

هناك معركة قادمة، نتيجة لذلك أخذنا نتحرك حركة واسعة، وفى هذا الإطار كانت مشاركتى فى مؤتمر فى بلودان بسوريا لإنشاء أول اتحاد عام الكتاب العرب، وهناك تعرفت على عدد كبير من المفكرين العرب التقدميين المشاركين فى المؤتمر الذى كانت الأحزاب الشيوعية العربية، وخاصة الحزب اللبنانى والحزب السورى والعراقى، تشارك فيه. وشاركنا معًا فى إصدار بيان يفضح احتمالات العدوان الإمبريالى الصهيونى، ويحشد القوى الثقافية العربية فى مواجهته. وعندما وقع العدوان الثلاثى كان هناك حشد كامل لقواتنا وإمكانياتنا والمنظمات الجماهيرية التى كنا مرتبطين بها من أجل المعركة خاصة. وقد تمكن بعض الرفاق من دخول بورسعيد مثل أحمد رفاعى وعبد المنعم شتلة وحسن فؤاد - وقام بعض الفنانين الكبار بأدوار كبيرة فى هذه المرحلة. كنا - شهدى عطية وأنا ورفاق آخرون - نجتمع يوميًا على مقهى بالقرب من المحكمة المختلطة، وعلى مقهى الحرية فيما أذكر، لكى نقوم بدورنا فى الاتصال بين الجهات المختلفة المشتركة فى المعركة، كان هناك زملاء عديدون من الحزب الموحد وغير الموحد فى خط المواجهة مثل إبراهيم فتحى وغيره من الأدباء والكتاب والفنانين والمثقفين عامة، وأذكر أن محسن لطفى السيد كان حلقة الوصل بيننا وبين النظام، وكنا نحصل عن طريق الملحق العسكرى السوفييتى داخل بورسعيد على صور للأسطول وتحركاته نقوم بإرسالها إلى عبد الناصر، لقد بدأ فى ذلك الوقت تكون الجبهة الوطنية، لقد شارك الجميع فى المعركة: العمال، والطلبة وحتى المومسات داخل بورسعيد، ولأول مرة فى حياتنا السياسية كنا نوزع منشورات، باسم الحزب الشيوعى الموحد علنًا فى الشوارع، وقد نجح زملاؤنا داخل بورسعيد فى تشكيل جبهة وإصدار جريدة باسم «الانتصار» التى أصبحت بعد ذلك اسم جريدة الحزب فى مرحلته الجديدة، وتنشيط وقيادة حركة المقاومة ضد الاحتلال.

ثم توقفت المعركة، وبدأت قيادة الثورة تنفض يدها من التعاون مع الحركة الشيوعية والقوى الجماهيرية عامة، ولكن لآخر لحظة كان لنا وجودنا فى بورسعيد، وقد اتصلت بنا الحكومة عن طريق عبد اللطيف البغدادى لجمع السلاح من داخل بورسعيد، وذهب أحمد الرفاعى وعبد المنعم شتلة والمخابرات المصرية التى دخلت بورسعيد عن طريق زملائنا لجمع السلاح من أهالى بورسعيد ومن البمبوطية بوجه خاص.

كانت مرحلة رائعة جدًا فى علاقتنا بالمجتمع وعلاقتنا بالثورة، ولكن سرعان ما بدأت الثورة

تغير من سياستها معنا كما ذكرت.

فى ذلك الوقت كانت هناك كذلك حركة نسائية كبيرة مشاركة فى حركة المقاومة والتعبئة الجماهيرية. وهنا أذكر إنجى أفلاطون عضو الحزب الشيوعى المصرى (الراية) آنذاك فى مجال النشاط النسائى والفنى والجماهيرى عامة. ولعل هذه المرحلة هى التى أتاحت اللقاء مع الحزب الشيوعى (الراية). بدأنا نلتقى التقاء تنسيقياً رسمياً مع فؤاد مرسى وسعد زهران واسماعيل صبرى عبدالله وإنجى أفلاطون، وقام تنسيق وحوار بين الحزبين الموحد والمصرى «الراية»، وقد أدى هذا إلى أن يتكون بعد ذلك الحزب الشيوعى المصرى المتحد من الموحد والحزب الشيوعى المصرى (الراية) خاصة، وكانت الراية قد انتقلت كذلك من موقف إتهام ثورة يوليو بالخيانة الكاملة إلى موقف جديد قريب من موقفنا.

لقد صدرت بيانات وتمت اجتماعات مشتركة، وبدأ الموقف من الحكومة يتخذ اتجاهين: الموحد أقرب إلى مواصلة التأييد، والحزب الشيوعى المصرى الذى أصبح فى داخل المتحد كان إلى حد ما فى إطار التأييد لكن مع تحفظ أكثر.

ثم بدأت محاولة الاتصال بطليعة العمال، وكانت هناك صعوبات كثيرة، لكن القاعدة بالذات، قاعدة طليعة العمال كانت متحمسة وحريصة على إتمام الوحدة. كانت توجد مشاكل وتحفظ على بعض الأسماء مثل كمال عبد الحليم. طبعًا هنرى كوريل لم تكن هناك مشاكل بخصوصه، لأننا كنا قد إستبعدناه فى وحدة الموحد ليس باعتباره يهوديًا ولكن باعتباره أجنبيًا. وبدأ الاتفاق والحوار من أجل الحزب الواحد، وتمت الوحدة من خلال اتفاقات علوية وأحيانًا من خلال ضغط داخلى وقاعدى من القواعد وبالذات قواعد طليعة العمال واللقاءات فى المعارك، وتكون الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير). وتمت الوحدة المصرية السورية عام ١٩٥٨ واصدر الحزب بيانًا باسم المكتب السياسى بتوقيع فريد (محمود أمين العالم) وسيد «عبد العظيم أنيس» يؤيد فيه الوحدة تأييداً كاملاً، ولكن ينتقد الأسلوب الذى تمت به، ويقول إنه إسلوب فوقى لن يساعد على تنمية الوحدة، وخاصة أن هذا الإسلوب - وهذه هى الكلمة المهمة التى قيلت - لم يراع الخصائص الذاتية الخاصة للشعب السورى، أى أننا كنا فى البيان أقرب إلى الوحدة الفيدرالية أو الكونفيدرالية. وقلنا فى النهاية إننا مع ذلك نؤيد الوحدة،

ونسعى لتحسين شروطها بعد أن تكونت، ومن هذا الاختلاف حول مفهوم الوحدة نشأ اختلاف أكبر مع بداية ثورة العراق والتناقضات بن مصر وسوريا، وكان هناك خلافات بين القوى الوطنية والديمقراطية، وفي ذلك الوقت كنت أعمل فى مجلة روزاليوسف بعد فصلى من الجامعة.

ولابد أن أذكر أنه في تلك المرحلة كانت هناك تحولات في القضايا الثقافية، فمع وجود التحرك الوطني والديمقراطي والتقدمي، ووجود اليسار في الساحة كنا موجودين ونشطين أيديولوجيا وثقافيًا، كنا منغمسين في معركة مع الثقافة القديمة (الكلاسيكية)، وأذكر هنا المعركة التي نشبت بيننا أنا وعبد العظيم أنيس مع طه حسين على صفحات الجمهورية حول الأدب، فقد كتب يقول إن الأدب ألفاظ ومعانٍ وقمنا بالرد قائلين إن الأدب صياغة ومضمون، والصياغة ليست في الشكل والوعاء الخارجي، ولكنها تتمثل في البنية الداخلية الجدلية، في جدل العلاقات داخل العمل الفني، والمضمون ليس هو الموضوع لأنه يمكن أن يكون هناك موضوع واحد ولكن يأخذ مضامين مختلفة، ورد علينا طه حسين بأن ما نقوله يوناني لا يُقرأ، وكان طه حسين دمثًا معنا يجادلنا بأبوة، وذلك بخلاف العقاد الذي كان يقول «أنا لا أناقشهما ولكن أضبطهما، إنهما شيوعيان»، وكنا نرد عليه ردًا عنيفًا على خلاف حوارنا مع طه حسين، وهكذا برز اليسار ثقافيًا مع بروزه تنظيميًا، وفي تلك المرحلة كانت توجد تحالفات قلقة مع عبد الناصر مع اختلافات هنا وهناك.

ورغم أنه كان يوجد خلاف بيننا بخصوص الوحده المصرية السورية، إلا أنها لم تُحدث شرخًا، الذي أحدث الشرخ بداية الكلام عن الوحدة مع العراق، يبدو أن الحزب الشيوعي العراقي كان قويًا ويكاد يكون على رأس حركة التغيير التي كانت متوقعة، وكان على علاقة أكبر بالاتحاد السوفييتي من عبد الناصر، ويبدو أن الاتحاد السوفييتي بدأ يشعر بأنه سيحدث صدام بين العراق ومصر حول قيادة المنطقة خاصة، وأيا كان الدور الإيجابي الكبير الذي يقوم عبد الناصر به في مواجهة الاستعمار فقد كان في نظر الاتحاد السوفييتي مجرد وطني ديمقراطي تقدمي، على حين كان الشيوعيون على رأس الحركة العراقية التي توشك أن تستولي على السلطة. وبدأ الصدام بين القيادة المصرية والعراقية حول الوحدة، على نفس أسس الخلاف الذي حدث في الوحدة المصرية السورية والذي كان جوهره عدم مراعاة

الخصوصية وفرض الوصاية من أعلى. كنت فى ذلك الوقت أعمل فى روز اليوسف، وكنت بالطبع أحيي الثورة العراقية، وأحيي اتجاه الوحدة، وأكتب مؤيداً ما تتبناه القيادة العراقية في إطار الوحدة؛ أي كنت ضد الوحدة الاندماجية، وكنت أُعبّر عن هذا فيما أكتب. ولكن القيادة المصرية كانت مُصرة على ألا يفلت منها زمام القيادة ويبدو أنه كان هناك تربص بين البعثيين السوريين وعبد الناصر، فكان يقال على لسان هؤلاء البعثيين، أو هكذا كانت تتصور القيادة المصرية، أن البعثيين يرون أن فى مصر قائداً بلا حزب أما فى سوريا فهناك حزب بلا قائد وليكن البعث هو الحزب وليكن عبد الناصر هو القائد، ولكن يبدو أن عبد الناصر ركب الموجة وقبل التحدى وبدلاً من أن يستخدموه لسياستهم استخدمهم هو لسياسته وسيطرته، وكان العراقيون يخشون هذا المصير، وكانوا يخشون التحول إلى مجرد إقليم شرقى، بعد أن أصبحت سوريا مجرد إقليم شمالي ومصر مجرد إقليم جنوبي، وقد انعكس الصدام بين عبد الناصر والعراقيين داخل الحزب الشيوعي المصرى.

فى ذلك الوقت جاء أحد قيادات الحزب الشيوعي العراقى، والتقى بعض قيادات اللجنة المركزية. وبعد ثلاثة أو أربعة شهور من الوحدة حدث انقسام، وتم بشكل لم تكن السياسة واضحة فيه، لقد اتخذ شكلاً تنظيمياً، اتخذت أغلبية اللجنة المركزية قراراً بإلغاء الاحتراف، وكان أغلب قيادات حدتو من المحترفين. وأدى الخلاف إلى فصل أربعة عناصر قيادية تاريخية من حدتو بالذات على رأسهم كمال عبد الحليم وشطا وأحمد رفاعى فيما أظن وآخرين. وكان من الطبيعى أن يؤدى هذا إلى خروج أغلب أعضاء حدتو مع قيادته المفصولة، فأغلبية قيادة تنظيمين آخرين.

كنت مع بعض أعضاء من الوحد عامة، وبعض أفراد من حدتو، متمسكين بالمحافظة على الوحدة، وقررنا أن نظل داخل الحزب ولا نخرج مع الخارجين، وأن نحل المشاكل من الداخل، لكن قيادة حدتو وأعضاءها خرجوا وأسسوا الحزب الشيوعى المصرى «حدتو». وكان الباقون فى الحزب يسمونهم بالانقسام، وكانوا يسمون الحزب الشيوعى بالتكتل.

وأذكر أنه قبل فصل زملاء حدتو الأربعة، زارنى فى بيتى أمين عام الحزب الشيوعى العراقى وهو عادل سلام (الاسم الحركى)، وكان فى طريقه إلى الاتحاد السوفييتى. وتحدثنا

فى أمر العراق وعبد الناصر، كان الرجل ذا رؤية شاملة، وكنا متفقين فى أشياء كثيرة ثم تقابلت مع فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الأردنى، وكان يناقشنى فى الجانب الشديد السلبية فى نظام عبد الناصر، وقلت له إنه توجد فعلاً جوانب سلبية، ولكننى لا أستطيع أن أعادى الوحدة المصرية السورية وأن أقول إنها وحدة رجعية، كنا مختلفين فى هذا رغم المودة الشديدة بيننا. وقابلت كذلك زعيماً ثالثاً من قيادة الحزب الشيوعى العراقى قبل قيام الثورة العراقية، وأبلغنا أن شيئاً سوف يحدث فى العراق بقيادة الحزب الشيوعى العراقى، وأن العالم العربى سينقسم إلى نظامين وقيادتين، نظام وقيادة ثورية فى العراق ونظام وقيادة رجعية هى قيادة عبد الناصر. لم تكن ثورة عبد الكريم قاسم قد قامت بعد فى العراق، وقال لنا إننا يجب أن نعد أنفسنا وحزبنا لذلك، وكنت ضد هذا الكلام بشكل كامل، وأذكر أننى أدركت بعد ذلك أنه كان وراء ذلك الرأى إيحاء بل كلام شبه صريح حول ضرورة استبعاد العناصر الموالية لنظام عبد الناصر من الحركة الشيوعية المصرية. وأن هذا هو ما يفسر فصل الرفاق الأربعة من قيادات حدتو.

وفى داخل الحزب المتبقى من الحزب الشيوعى بعد خروج أعضاء حدتو، وبعد حدوث الانقسام، حدث انقسام فى الشارع السياسى اليسارى، أذكر أنه أقيم سرادق لمواجهة عبد الناصر وهو قادم من موسكو وكان التوجه الأساسى فى السرادق التركيز فى الهتافات على قضية الديمقراطية «كمطلب عاجل مباشر» على حين كان التوجه لدى مجموعة حدتو التركيز على القضية الوطنية والاستعمار، والمؤسف أن يحتدم هذا الخلاف بين الجانبين فى الوقت التى كانت الدولة الناصرية تستعد لإجراء تأميمات كبيرة وتغييرات تتوافق مع هذه التأميمات. وقد بدأت هذه الإجراءات بالفعل بتأميم أبو رجيله (أوتوبيسات) وفرغلى باشا (شركة أقطان) وتغيرات فى مؤسسة القضاء.

وقد كنت آنذاك عضواً فى السكرتارية المركزية التى كانت مكونة من أبو سيف يوسف وفؤاد مرسى ومنى، ولكنهما كانا يجتمعان بدونى، وكذلك الأمر فى المكتب السياسى أيضاً، كانت تتم اجتماعات دون حضور المخالفين بقايا الحزب الموحد وحدتو، وأذكر أن عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى التقى بى فى هذه الأيام، وكان على معرفة بما دار ويدور فى الحزب، وكان يلح علىّ للخروج من الحزب وإصدار بيان عن تصرفاته أوجهه إلى

كل الاحزاب الشيوعية العربية، باعتبار أن الخلاف قد أصبح سياسياً ولم يعد تنظيمياً فقط، وكنت أرفض وأقول له إننى لست مستعوداً على الخروج على التنظيم وسأواصل النضال من الداخل.

فى تلك الفترة، فى أواخر نوفمبر أو منتصف ديسمبر عام ١٩٥٨، اتصل بى يوسف إدريس وقال لى إن أنور السادات يريد مقابلتى، فذهبت معه إلى بيت أنور السادات فى الهرم، وأيامها عرفت أن يوسف إدريس مرتبط به. وكنت أعرف أنور السادات منذ عام ١٩٥٦ منذ انتقالى من روزاليوسف إلى مؤسسة التحرير. وفى بداية اللقاء قال لى السادات : «إسمعوا .. كان هناك ناس ضدنا وهم الإخوان المسلمين وقضينا عليهم، وأنتم الآن تقفون ضدنا سيكون لكم نفس المصير». ورفضت التهديد، وقلت له إن الإخوان المسلمين جذورهم غير عميقة اجتماعياً، أما نحن فلنا جذورنا الشعبية من عمال وفلاحين وتاريخ طويل وعميق فى الحركة الوطنية لن تستطيعوا القضاء عليه، وإذا كنت ستبدأ الحديث بهذا الشكل فلا ضرورة للاستمرار، قال : أسف نحن نريدكم أن تنضموا للاتحاد القومى، قلت له : مستعدين أن ندخل معكم فى الاتحاد القومى، ولكن ندخل كتنظيم لا كأفراد وبهذا نكون جبهة مشتركة متحالفة على أحداث وطنية واجتماعية محددة. قال: "لو دخلتم كتنظيم، عبود باشا سيدخل كذلك وهذا لا يصلح»، قلت له : عبود باشا لا يمثل قوة وطنية ديمقراطية، قال نحن قوى وطنية ديمقراطية؟! قلت له : أنتم قوة ديمقراطية وطنية ضد الاستعمار ولهذا ممكن أن نتحالف معاً، ونحن جميعاً نحتاج للتعاون معاً فى الظروف الراهنة، واستمر الحوار بيننا. وحاول أن يقنعنى بفكرة حل الحزب والاندماج كأفراد فى الاتحاد القومى. فقلت له : لا سبيل إلى حل التنظيم، لكن نستطيع أن نتعاون مع بعضنا تعاوناً كاملاً على أسس وطنية ديمقراطية داخل جبهة موحدة أو من الخارج. قال لى: دعك من كل هذا. نحن نريدك أنت شخصياً أن تكون معنا. قلت له : عيب أن تقول لى هذا، لقد جئت هنا لأمثل المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى، وأقول باسم المكتب السياسى : نحن مستعدون للتعاون معاً، وأرجو أن تبلغ تحياتنا لعبد الناصر لمواقفه الوطنية المعادية للاستعمار، ولكن هناك بيننا رؤى قد تختلف ويمكن بالعمل والتعاون المشترك حل المشاكل والخلافات، وهكذا انتهى اللقاء، وكان مهذباً، وظل يبحث لى عن السائق ليوصلنى إلى منزلى، ولكنه وجده نائماً، فقال لى ضاحكاً :

- أنت بروليتارى، عد على قدميك.

ولم يكن الترام قد بدأ يعمل فالنهار لم يبزغ بعد. فمشيت إلى ميدان الجيزة، ولحقنى هناك أول ترام ركبته إلى بيتى. وبعد أسبوع تقريباً بدأت بعض الاعتقالات، فاتصلت فوراً بيوسف إدريس وقلت له : أبلغ أنور، هذا ليس كلام رجال، فذهب يوسف إدريس وعاد لى وقال إن أنور يبلغك بأنه لا صلة له بما حدث.

وفى اليوم التالى لقابلتى أنور السادات، كان هناك اجتماع للمكتب السياسى للحزب، وحكيت كل ما دار بينى وبينه، وقلت لهم رأيى، فقالوا لى إن موقفى كان جيداً، ولكنى وجدت ردود فعل غريبة حول هذه المقابلة، قال أحدهم إن هذا يدل على ضعف الحكومة، وإن الحكومة حريصة على أن نكون معها، وإذا كانوا يطلبوننا الآن للمناقشة، فغداً سوف يطلبون أحدنا ليكون وزيراً، وكنت مندهشاً من هذا التفكير. وقال رفيق من مجموعة الراية إن التناقض الرئيسى كان بين عبد الناصر والاستعمار، وكان التناقض الثانوى بينه وبين الجماهير، والآن أصبح التناقض الرئيسى بينه وبين العمال والتناقض الثانوى بينه وبين الاستعمار، وكنت ضد هذا التحليل الذى عمّق الخلاف بينهم وبينى.

وبعد أيام خطب جمال عبد الناصر فى ٢٣ ديسمبر فى بورسعيد، ثم بدأت حملة الاعتقالات في ليلة رأس السنة، وتم القبض علىّ فى تلك الليلة مع عدد كبير من المجموعتين.

كنت ضمن أول فوج يدخل سجن القلعة، فالواحات، ثم نعود من الواحات إلى سجن قراميدان، وإلى الاسكندرية لنحاكم أمام محكمة عسكرية هناك. وكان موقفنا فى المحكمة واضحاً، وقسّمنا أنفسنا، من سيعترف بعضوية الحزب ومن لا يعترف، فؤاد مرسى كان موقفه رائعا وقدم دفاعا عميقًا وجميلاً معترفًا بأنه الرفيق خالد. وأنا لم أعترف بعضوية الحزب وإنما ركّزت دفاعى على الجانب السياسى إلى جانب دحض حجج التحقيقات وأدلتها، وكدت أوقف المحامى الخاص بى، والذى راح يحاول أن يثبت تبرئتى بالقول بأن كتاباتى وطنية وقومية ولهذا فلست شيوعيًا. وتكلم العديد من الرفاق، واعترف بعضهم بعضويتهم لحزب، وكانت خلاصة الأقوال عامة هى أننا نحترم نظام عبد الناصر، ونعتبر أنه نظام وطنى، ولكننا ننتقد افتقاد النظام للديمقراطية. ونختلف فى الأسلوب العلوى لتحقيق الوحدة مع سوريا. وانتهت

الحاكمة، وعدنا إلى القاهرة سعداء، سعادة لا حد لها لأننا نجحنا فى التعبير عن وجهة نظرنا بوضوح وشجاعة خلال الكلمات المختلفة والمتنوعة للرفاق جميعًا، وكانت عودتنا إلى سجن قراميدان الذى انتقلنا منه بعد ذلك إلى ليمان أوردى أبو زعبل الذى استُقْبلنا فيه استقبالاً غير إنسانى، من ضرب وإهانة وحلق شعرنا وإلباسنا بالقوة ملابس السجناء، ثم توزعنا على أربعة أقسام فى العنابر، وكنت فى عنبر واحد (١) الذى يضم قيادة الحزب الشيوعى، واستطعنا أن نحصل على جهاز استقبال بفضل السجناء العاديين الذين اتصلنا بهم فى جبل أبو زعبل، حيث أخذنا نعمل فيه لتكسير حجارة البازلت، وكنا نسمع الأخبار من هذا الجهاز ونحن تحت البطاطين، وعرفنا منها بأمر التأميمات فى أوائل ١٩٦١ كما سمعنا خالد بكداش وهو يقول إن هذه التأميمات لتكوين رأسمالية الدولة الاحتكارية. وقد تبنَّى الزملاء هذا المفهوم، واعتبروا الميثاق الأساس النظرى لذلك. على أنى وجدت فى الميثاق مشروعًا أكبر من مشروع الحزب نفسه، ورفضت مفهوم احتكارية الدولة الرأسمالية. وجاءنا من الخارج آراء إسماعيل المهدوى وأبوسيف يوسف وكان رأيهما هو أن هذه الاجراءات تعبر عن رأسمالية الدولة الاحتكارية، وأن هذا هو هو الرأى الرسمى للحزب. هكذا تعمق الاختلاف بينى وبينهم. وأتذكر أننى عندما سمعت بالتأميمات، شعرت أننى لن أستطيع أن أستمر عضواً مع هؤلاء الزملاء، قررت ذلك بينى وبين نفسى دون أن أقول لهم إننى مختلف معهم إلى حد القطيعة. طبعًا خضنا معًا معارك فكرية عديدة، كنا مختلفين فكريًا فى كثير من المواقف والتفسيرات السياسية والنظرية، وأذكر إننى خرجت للحرس من الضباط وقلت لهم إننى أريد إرسال رسالة إلى قيادة الثورة. وكتبت بالفعل رسالة قلت فيها إن ما حدث من تأميمات يعتبر شيئًا عظيمًا، ولكن يحتاج لشكل آخر من التنظيم غير تنظيم الاتحاد القومى لكى يحميها ويحسن تطبيقها، وأننى لا أكتب هذا من أجل الإفراج لكن هذه الإجراءات التى تمت تحتاج لحماية من تنظيم مختلف عن التنظيم القائم. وبعد قليل جاءنى مجموعة من الضباط وقالوا لى : لو كتبت إقراراً بأننى لن أعمل بالسياسة سأخرج، ورفضت.

وبدأ الاختلاف فى السجن بين الراية، ود. ش (طليعة العمال)، والراية كانت أقرب إلى مفهوم البرجوازية الوطنية بالنسبة لتقييمها السلطة، وكان رأيى أن ما تم خطوة متقدمة جداً ولهذا لابد من التحالف مع السلطة ودعمها. ومن خلال العمل الشاق فى الجبل البازلتى

والتعذيب المباشر، وخاصة فى الاستقبال، سقط بعض الشهداء، كان من بينهم فريد حداد وشهدى عطية الشافعى. ونتيجة للضجة العالمية التى أثيرت حول التعذيب والشهداء تم نقلنا إلى الواحات. وعندما وصلت الواحات أعلنت انفصالى عن هذه المجموعة وانضمامى إلى الزملاء الآخرين.

وفى الواحات كان الانقسام واضحاً وحاداً بين المجموعتين: أعلنت موقفى مؤكداً أن ثورة يوليو حركة وطنية ديمقراطية رغم طابعها العسكرى وأساليبها الفوقية غير الديمقراطية. ولابد أن نتعاون معها. وقرأنا الميثاق بشكل أكثر دقة وعمقاً فى الواحات، وتابعنا المعركة بين مصر والعراق ، كما تابعنا التطورات السياسية من خلال الوسائل الإعلامية البسيطة التى استطعنا أن نحصل عليها سراً. وقد كان نشاطنا كبيراً فى الواحات: عرضنا مسرحيات لنعمان عاشور وألفريد فرج وصلاح حافظ، وبنينا مسجداً وزرعنا ما يقرب من أربعة وثلاثين فداناً. وكانت هناك أنشطة وحوارات فلسفية وفكرية وسياسية، وأذكر أنه فى الجانب الذى انضممت إليه ناقشنا طبيعة ثورة يوليو ١٩٥٢ والميثاق، وفى الجانب الآخر كانوا متشددين جداً حتى الراية. وأتذكر أن أن بعضهم كانوا يقولون إن إجراءات التأميم معادية للشيوعية لأنها تمس الطبقة الوسطى التى هى جزء من الجبهة التى يسعى الشيوعيون لإقامتها، إذن فهى ضد الطبقة العاملة وضد الشيوعية. ولما كان الشيوعيون ضد الأمريكان فالسلطة حليفة للأمريكان!

وأذكر أن مجموعتنا عقدت جلسات عديدة لمناقشة موضوع الوحدة التى تمت فى كوبا بين مجموعة كاسترو الوطنية والشيوعيين، كما أخذنا نناقش بعض التجارب التوحيدية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حول التوحيد بين الشيوعيين والوطنيين والديمقراطيين الاشتراكيين لتشكيل حزب ديمقراطى موحد وليس حزباً شيوعياً خاصة فى البلاد النامية. كنا نناقش هذه التجارب ونحن نتأمل وندرس طريقة التحالف الواجب مع نظام عبد الناصر فى ضوء الأفكار الواردة فى الميثاق عن التأسيمات. ووصلنا خبر تكوين التنظيم الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى الذى تأسس بدلاً من الاتحاد القومى، فأرسلت رسالة إلى أنور السادات باعتبار ما كان بيننا من علاقات قديمة، وقلت فيها ما معناه أن الوضع الجديد يحتاج إلى تراص وتحالف كل القوى التقدمية والاشتراكية. ونظمنا فى الواحات أكثر من كونفرنس لمناقشة الخلافات التى نشبت بيننا. تساءلنا هل نسعى للتوحد مع عبد الناصر بشكل اندماجى؟ وهل

تتمسك بالماركسية اللينينية والصراع الطبقى وقيادة الطبقة العاملة والتحالف الدولى كشرط للتحالف والالتقاء العضوى أم بالقضية الوطنية والديمقراطية بشكل عام؟ ... وقد أعد بهيج نصار التقرير المشهور الذى يقول بوجود مجموعة اشتراكية غير علنية فى السلطة، وكان الطرف الآخر - وأعنى الراية وطليعة العمال - ضد هذا تماماً .. ثم تم الإفراج عنا جميعاً.

كانت توجد مراسلات عن طريق زكى مراد مع الخارج، ودعوة للدخول فى التنظيم الطليعى، وكانت تأتى ردود من قبل السلطة. على أن آخر شئ وصلنا إليه فى الكونفرنسات هو الاتفاق على عدة مبادئ للتحالف أو الاندماج مع التنظيم الطليعى، لا مع الاتحاد الاشتراكى، هذه المبادئ هى: الطبقة العاملة والصراع الطبقى والديمقراطية الشعبية والوحدة العربية وسعاداة الاستعمار والتحالف مع الاتحاد السوفييتى والقوى الاشتراكية. كان يبدو أن هذه المبادئ مشتركة بيننا وبين ما جاء فى الميثاق على الأقل، وأن تواجدنا داخل السلطة بشكل أو آخر سوف يعجل بالتغيير تحقيقاً لهذه المبادئ، وهكذا تم الإفراج عن الشيوعيين، وكان ثمة توقع بأن لقاء سوف يتم بيننا وبين ممثلى السلطة لتنفيذ هذا التحالف العملى التنظيمى، وعلى أساس أن الدولة ستوجد لنا أماكن عمل مشترك فى تنظيم الطليعة، وأننا سنلتقى معها من خلال مندوبيها. وأنا لم أتتبع هذا الأمر تتبعاً مباشراً إلى أن عرفت أن مندوبى النظام كانا أحمد حمروش وأحمد فؤاد. ولم أحضر المؤتمر الذى ناقش موضوع الحل، وانتهى إلى حل الحزب على أن يبقى فى يد كمال عبد الحليم قرار عودته فى حالة الفشل، أما المجموعة الأخرى فقد تم الإفراج عنها وقامت بحل تنظيمها كذلك.

فى اليوم التالى لخروجى اتصل بى صديق كان يعمل آنذاك فى مكتب سامى شرف ليأخذنى للقائه. وفى هذا اللقاء سألنى عن رأيى فى الانضمام إلى التنظيم الطليعى فقلت له إنه لا مانع لدىَّ، وانضممت إلى لجنة للتنظيم الطليعى التى كان مسئولها سامى شرف ومن أعضائها حسن فؤاد وطلعت المرصفى وحسام عيسى، وبعد فترة أصدر جمال عبد الناصر قراراً بضمى إلى السكرتارية العامة للتنظيم الطليعى.

وكان التنظيم الطليعى عندما انضممت إليه تنظيماً فنوياً، ينقسم إلى تنظيم للعمال، وتنظيم الفلاحين، وتنظيم للمثقفين، وآخر للصحفيين .. إلخ. فاقترحت أن يكون تنظيماً

جغرافيًا، وبدأت إعادة التنظيم على هذا الأساس، وخصصوا لى مكتبًا فى مبنى مجلس قيادة الثورة، واقترحت إصدار نشرة ثقافية، وبدأنا نصدرها، وأصبحت مسئولاً عن الثقافة فى تنظيم الطليعة وعن المجلة.

وتوليت مسئوليات أخرى مختلفة، كما ذكرت فى صدر الشهادة إلى أن جاءت هزيمة ١٩٦٧. قبل الهزيمة بيومين أو ثلاثة أيام اتصل بى مكتب عبد الناصر وطلب منى السفر إلى فرنسا لأنه من المتوقع أن يتم العدوان الإسرائيلى بعد يومين، فأكون هناك واتصل بالصحفيين والمثقفين، وأن أحمد بهاء الدين ولطفي الخولي سيأتيان من الجزائر، وسنقوم معا بعمل مشترك باسم مصر فى باريس. ثم كان ما كان من هزيمة، وعدت إلى القاهرة، وكنت مسئولاً آنذاك عن هيئة الكتاب، فطلب ثروت عكاشه وزير الثقافة أن أتولى مسئولية مؤسسة المسرح، فانتقلت إلى مؤسسة المسرح وفى أحد الأيام اتصل بى سامى شرف وقال لى إن عبد الناصر يريدنى، والتقيت عبد الناصر في بيته، وقد كان كريمًا فى المقابلة. لكن كان حزينًا، كانت مقابلة شبه مسارية، كان ثلاثة أرباع الحديث عن أزمته مع المشير ومع الجيش، حكى لى عن تفاصيل كثيرة، وقال لى إنه كان أحيانًا ينام والمسدس تحت الوسادة لأن الجيش لم يكن معه بالمرة، وأنه كان يشعر بأنه يوجد تباعد بينه وبين المشير، وأنه كان دائمًا حريصًا على أن يذهب للمشير ليتغدى عنده يوم الجمعة من كل أسبوع لإزالة هذا التباعد، ولكن كان من الصعب تغيير الأمور. حدثنى عبد الناصر عن العمل الاقتصادى فى ضوء الهزيمة، قال إنه أمام خطتين، هل نواصل خطة التنمية التى نسير فيها أم نهدأ تمامًا خاصة وأن أخطر قوة تواجه النظام اليوم هى البرجوازية، قال إن على صبرى يرى أن نواصل طريق التنمية وزكريا يقول لا، «نهدئ» اللعبة، مع هذه الفئات البورجوازية، وعبّرت عن وجهة نظرى بضرورة تقوية القوى الشعبية التى تساند الثورة لا أن نقوى خصومها وخصوم الثورة. وانتهى الحوار بأن طلب عبد الناصر منى أن أتولى مسئولية أخبار اليوم، وقال لى ضاحكًا : أرجو ألا تجعلها براڤدا. وبدأت عملى الشاق فى أخبار اليوم. ولكن العمل بأخبار اليوم ومشكلاته يطول ولا مجال له فى هذه الشهادة.

وبالنسبة لحل الحزب فقد قلت فى مقدمة كتاب «الوعى والوعى الزائف» إن الخطأ الكبير الذى ارتكبناه هو أننا قمنا بحل الحزب. لقد تصورنا فى ذلك الوقت أن الحزب الديمقراطى قد

يكون مرحلة لدعم وتنمية العمل الثورى، وهذا التصور لم يكن خاطئًا فى ذاته، أما الخطأ فهو أننا تصورنا أنه بوجودنا داخل الدولة سنحمى الثورة ممن يحيطون بعبد الناصر من عناصر سيئة ومتخلفة وأننا سنعجل بتحقيق الإجراءات الثورية المطلوبة، مع أنه لو كنا استمررنا فى القاعدة مع الجماهير مختلفين مع عبد الناصر كنا قد حمينا ثورة عبد الناصر، وعجلنا بتحقيق الإجراءات المطلوبة.

وبالنسبة لأسباب انقسام الحركة الشيوعية، أعتقد أن الحركة بدأت موحدة، فى العشرينات الحزب الاشتراكى ثم الحزب الشيوعى المصرى الأول، وهذا لم يكن انقسامًا على الحزب الاشتراكى ولكن كان الخروج منه تأكيد لموقف أيديولوجى كان شرطًا للانضمام للأممية، ولقد بدأت الحركة فى العشرينات موحدة ولها زخمها وفاعليتها لأنها بدأت مؤسسة على عاملين مهمين : كان هناك وعى فكرى نظرى نستطيع أن نتبينه فى البرنامج، كان برنامج الحزب الشيوعى فى غاية النضج، فى قضية الفلاحين، فى قضية العمال والمطالب الاجتماعية والقضايا الوطنية، كان هناك وعى ناضج، وكان هناك عدد من المثقفين المتميزين من طوائف مختلفة، مثقفين معممين ومثقفين بالطربوش أى كان يوجد المثقف المصرى بمختلف تياراته الذى يتميز بنضج عقلانى علمى، والشئ الثانى أن الحركة الشيوعية نشأت فى منطقة عمالية وفى الأسكندرية بالذات وارتبطت فعلاً بالعمال وبحركة العمال. كانت محصورة فى مكان معين وفى ظرف مبكر وناضج فى مصر. وفى رأيى أن الحركة فى بدايتها تلك تعتبر ثمرة من ثمرات ثورة ١٩١٩، النضج السياسى لثورة ١٩١٩ والحيوية المجتمعية التى فجرتها ثورة ١٩١٩، وأنا من أنصار القول إن ثورة ١٩١٩ فشلت سياسيًا ولكنها نجحت فكريًا وثقافيًا لأن عقبها قامت حركات وأنشطة عديدة منها الحزب الاشتراكى الذى أصبح الحزب الشيوعى، فضلاً عن الإبداعات الثقافية والأدبية المختلفة. وقد بدأ الحزب الشيوعى موحدًا ثم لم يلبث أن انقسم أو خرج منه بعض العناصر البارزة. وفى رأيى أن الذى أحدث الانقسام، أقصد الخروج من الحزب الاشتراكى رؤية جامدة سادت آنذاك رأت الأخذ بتسمية معينة أو الخضوع لرأى معين مفروض من الحزب الشيوعى السوفيتى، أى تغيير اسم الحزب من الحزب الاشتراكى إلى الحزب الشيوعى، ثم فرض إجراءات أخرى عليه، ولا أعرف هل كان ممكنًا تجنب ذلك الرأى أم لا؟.. ولكن يبدو أنه كان هناك شئ يعمى على عدم نضوج ذلك العمل أو استمراره بشكل

صحى، والحزب الشيوعى الأول عندما حُرم وجوده وقُبض على قيادته فى ١٩٢٤، استمر حتى الثلاثينيات، وخرج عن تركزه فى الاسكندرية إلى مناطق أخرى فى بعض الأقاليم الفلاحية، أى أنه كان مؤهلاً للاستمرار ومؤهلاً للمزيد من الارتباط بقاعدة جماهيرية من العمال والفلاحين والمثقفين، ولمزيد من الوعي النظرى، لأن الواقع كان يتطور. ومرة أخرى أؤكد أن ذلك الحزب كان نابعًا من ثورة ١٩١٩، وامتداداً لها فالبرنامج الخاص كان برنامجًا وطنيًا، واجتماعيًا خاصًا بمصالح العمال والفلاحين ومصالح الجماهير ويكفى أن نذكر ما نص فيه على المطالبة بتأميم قناة السويس إلى غير ذلك.

بعد ذلك اختلف الواقع العالمى والواقع المحلى. وكان مطلوبًا المزيد من الوعى النظرى. فى الأربعينيات بدأ التشكيل أو التشكيلات الجديدة المتعددة للتنظيمات الشيوعية فى إطار واقع عالمى جديد وواقع محلى شديد التعقيد. كانت هناك الكتب الخضراء وكان هناك بعض الترجمات، لكن من كان يمتلك الوعى النظرى؟.. المثقفون وبعضهم خواجات ؟ وكان ما يترجم أو يعلم مجرد كتيبات سوفيتية. ومع احترامنا للتجربة السوفيتية بكل ما فيها، فإن كتبها كانت شبه ملونة بتجربتها الخاصة، بل يمكن القول إنه حتى الآن لم يترجم النص الماركسى بشموله. راشد البراوى قدم ترجمة لكتاب رأس المال، لكن النظرية الماركسية بكل تفريعاتها السياسية والمعرفية والمنهجية وآفاقها وخلافاتها ومشاكلها وصراعاتها لم تنقل بشكل واضح. وأتذكر هنا شيئًا مضحكًا: ففى أحد الاجتماعات الحزبية القديمة الخاصة بالتثقيف حضر أحد الرفاق الخواجات، وكان هناك اقتراح بترجمة شاملة للماركسية، فقال ولماذا تترجمون الكتب الماركسية؟ يكفى أن تُعلِّموا الطبقة العاملة الانجليزية! لقد كانت القيادة مجموعة من المثقفين الكبار الذى يعرفون اللغات الأجنبية، ولكن أغلبهم أجانب، وكانوا هم الذين يعرفون النظرية وهم الذين يصدرون القرارات والتوجيهات.

المشكلة أن الماركسية لم تصبح غذاءً ثقافيًا وفكريًا أو للنشاط السياسى للمجتمع بشكل عام. لقد تُرجم ماركس فى إنجلترا وفرنسا، ودخلت الماركسية فى النظام التعليمى وفى الثقافة العامة. نحن للأسف لم نفعل ذلك، وظللنا نحن كمثقفين نعرف اللغات الأجنبية نحتكرها إلى حد بعيد، وما ترجم كان ملخصات ذات طابع سوفييتى أو سوفييتية. كان لابد أن يترجم الشئ البكر: أقصد النظرية ويقوم المثقفون الثوريون بتمثلها وبربطها وتغذيتها بخبرتنا، بروح لغتنا.

لقد كان الحوار الثقافي قاصراً على القيادة تقريباً، الأمر الذى كان يُفضي إلى الخلافات بين المثقفين، وكان من الطبيعى أن تنعكس هذه الخلافات على الواقع.

هذا هو العيب الأول أو المشكلة الأولى : الماركسية لم تترجم ولم تصبح جزءاً من ثقافتنا ولم تتمصر بخلاف الصين مثلاً حيث أصبحت الماركسية جزءاً من تراثها كالكونفوشيوسية. وأذكر هنا شيئاً مضحكاً آخر؛ في الأربعينيات كنا مجموعة من المثقفين نتحدث عن تاريخ مصر ونحلل بعض فتراته، وكان هناك حديث دائر عن الصراع بين عدلى وسعد، وقال لى شخص إنه لابد أن نتناول الأمر وفقاً للنظرية الجدلية فسألته: كيف؟! قال، نعتبر فلان الموضوع وفلان نقيض الموضوع، وما حدث هو مركب الموضوع! أمر مضحك فالجدل لا يمكن أن يفهم بهذا المنهج الميكانيكى، ولا يمكن تحويل الجدل إلى علاقة ميكانيكية لظاهرة جزئية آنية!.

والمشكلة الثانية : أن العلاقة مع الواقع لم تكن عميقة الجذور. طبعًا كانت هناك علاقات أسميها رحلات وزيارات للفلاحين، بعضها كان عميقًا وترك آثاراً جيدة، ولكن لم تكن العلاقة مع الواقع المجتمعي العام عميقة الجذور، ومتصلة. لقد كانت العلاقات قاصرة على المدينة الكبيرة وهى القاهرة والأسكندرية، كنا نرسل أناسًا إلى الفلاحين ولا يستمر العمل إلا بشكل سطحى وموسمى، لم يكن يوجد زرع أو تلقيح للواقع أو تغييره بحيث يتفاعل مع الفكر الجديد ويتم تنمية الفكر الجديد حسب الاحتياجات والمشاكل والخبرات المحلية.

كان يغلب على علاقتنا مع الواقع رؤية البورجوازية الصغيرة، لأن أغلب القيادات فى ذلك الوقت كانت أرستقراطية أجنبية أو محلية وبعضها بورجوازية كبيرة أو بورجوازية صغيرة، وكانت فكرة الثورة والتغيير الثورى مرتبطة بتغيير القيم بشكل مجرد علوى لا يُراعى أحياناً قضية القيم فى ارتباطها بالمجتمع. لقد سمعت من يقول : «إجذب بالجنس واربط بالنظرية»، صحيح أن مثل هذا الاتجاه وجد فى بعض المنظمات الصغيرة، وهذا أشبه بإنزال قيم مختلفة بالباراشوت على المجتمع، وهو لا شك يصدر عن عقلية أناس بعيدين عن المجتمع، وهو تعبير عن علاقة سطحية بالواقع، علاقة من الخارج يغلب عليها الطابع الأرستقراطى أو الغربى، وكل ذلك لم يساعد على توطين وتبيئة النظرية وإعطاء النضال طابعاً وطنياً حقيقياً نابعاً فكراً وعملاً

من شروطه الموضوعية الخاصة.

كانت هناك شعارات تُعْبر عما ينقصنا مثل «شعار التعميل» أى الاتجاه للعمال، شعار التفليح أى الاتجاه للفلاحين، شعار التمصير للنظرية، ولكن إلى أى حد كان يتم ذلك؟ ورغم كل هذا كان هناك طبعًا اهتمام بالقضية الوطنية، لكنه كان مركزًا فى المدينة، فى المدن الكبيرة. وكان هناك استقطاب للمثقفين أكثر من الطبقات الشعبية، وكان هناك اختلاط بعمال وفلاحين، لكن لم يكن ذلك فى المواقع الأساسية، ويمكن القول إن الدور الدعائى والتثقيفى كان له تأثير أكثر من الدور المجتمعى العملى النضالى. فى الأربعينيات صدر عدد مهم من الكتب والمجلات، الغد والملايين والجماهير، وعملت مراكز دراسات مختلفة، وكان كله نشاطًا ثقافيًا فى الأغلب.

يقال إن وجود الأجانب سبب الإنقسام فى الحركة الشيوعية، قد يكون هذا عاملاً من العوامل، ولكن يلاحظ أنه يوجد أيضًا عامل ذاتى داخل الحركة كانت هناك عناصر جيدة جداً، لكن هل كان هناك شئ آخر يحاول أن يلعب لعبة التفرقة أو يضعف الفكر الماركسى والعمل المؤسس عليه فى ارتباط مع الواقع؟

الحقيقة أننى أرى أنه لم يكن هناك انقسام فى الحركة ورغم أنه كان يوجد تعددية انقسامية، لكن كان هناك اتجاهان غالبان رغم هذه التعددية، اتجاه يغلب عليه الطابع النظرى واتجاه يغلب عليه الاتجاه التجريبى العملى البحت، هذه هى القضية. رغم تعدد المنظمات الصغيرة، النجم الأحمر والنواة وغيرها، كنت أشعر فى هؤلاء بوجود رؤية نظرية، وكنت أشعر أن آخرين يتجهون مباشرة إلى الجانب العملى واليومى وكانت لهم رؤية أقرب إلى التنظير. ولكن، ولو فتشنا فى هذا الجانب النظرى الذى كان يغلب على البعض، كنا نجد أنه أقرب أحيانًا إلى الجمود الذى يصل إلى قمته فى م. ش. م والجانب الآخر العملى الذى كان يصل إلى قمته فى الحركة الديموقراطية، أو يغلب عليه الجانب النقابى فى «طليعة العمال». والقول بأن غياب المركزية الديمقراطية فى المنظمات كان سببًا فى الانقسامية يغفل حقيقة أن وجود الديموقراطية فى الأحزاب الشيوعية السرية عملية صعبة، وخاصة فى إطار أحزاب ليست جماهيرية، وليس لها مشروع اقتصادى اجتماعى ثقافى شامل واضح ومحدد ومترجم إلى خطط عمل ونضال ومراحل تنفيذية محددة. كانت الرؤية الجزئية والعمل الهامشى أو المتقطع

أو الموسمى أو النخبوى وراء غياب المركزية الديموقراطية، بل وراء عدم التراكم فى النضال السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى.. ولاشك أن التخلف الاجتماعى عامة كالتخلف الثقافى كان ينعكس على مستوى الفاعلية الفكرية النظرية والعملية والتنظيمية للحركة الشيوعية، وإن كنا لانستطيع أن نُلغى أثر العوامل الخارجية من بطش سلطوى محلى وخارجى مادى ومعنوى فى إضعاف الفاعلية النضالية. لا سبيل إلى التفسير بعامل واحد فهناك عوامل عديدة متداخلة ومتفاعلة.

والحقيقة أنه لم تكن الثقافة الماركسية هى الغائبة وغير الموجودة فقط، ولكن الثقافة المجتمعية أصلاً لم تكن موجودة، فهناك تخلف نظرى وتخلف فى الوضع الديموقراطى، ولابد أن ينعكس هذا على التجربة السياسية فضلاً عن سيادة الفكر الدينى السلفى فما زالت قوى كثيرة لديها المفاهيم السلفية الأصولية الموجودة والمؤثرة باستمرار، حتى فى الاتجاه الوطنى والاتجاه الماركسى توجد هذه السلفية أحياناً. إن ضعف المنظمات الشيوعية جزء من الضعف الثقافى العام فى المجتمع، والضعف ناشئ عن تسلط عقلية مثقفى البرجوازية الصغيرة سواء كانت أجنبية أم غير أجنبية.

وفضلاً عن التخلف النظرى والتخلف المجتمعى، فثمة أمر أقرب إلى الجانب الفكرى، حتى الآن نجد أن الهوية المصرية لم تستقر. قلنا إن مصر للمصريين ثم دخلنا فى القضية الإسلامية ثم القضية القومية، وهناك صراع بين هذه المفاهيم الثلاثة للهوية حتى الآن، ولابد أن ينعكس هذا على العمل الشيوعى. كان البعض يرفع الشعار الطبقى البحت، والبعض يرفع الشعار الوطنى والقومى، والبعض يرفع الشعار المصرى، مثلاً عندما كنت فى «النواة» كنتُ أشعر أن فكرة المصرية والتاريخ الفرعونى كانت قوية، وحتى الآن يحتدم الخلاف حول حقيقة الهوية. والآن تثار قضية أخرى، هل أنت مع الغرب أم مع الشرق أم مع العولمة الرأسمالية؟.. إن الواقع ملتبس ويحتاج لرؤية موحدة دون أن تكون منغلقة.

وأخيراً أريد أن أقول إن البلبلة التى تحيط بموضوع هويتنا لابد أن تنعكس على خلافاتنا وعلى أيديولوجيتنا وسياستنا، ولابد أن تحدث بلبلة فى كثير من الأمور، وحل هذه الإشكالية هو دور الحزب الشيوعى والمثقف العضوى. على أن قضية الهوية لن تحل بالانعكاف على

الذات وحدها وإنما بالرؤية الشاملة إلى عصرها الراهن وتحديد العلاقة الفاعلة المنتجة معه من زاوية المصلحة الذاتية أساساً دون عزلة من ناحية أو ذوبان من ناحية أخرى.

وثمة خطورة تتمثل فى أننا نفسر الأمر بظاهرة واحدة، ولا نضع الظواهر الأخرى على أرضيتها التاريخية الواسعة متعددة الجوانب (الخارجية والقديمة والحديثة). وعلينا أن نعرف كل هذه التفاعلات، وما العامل الحاسم، وما الثانوى، وما العامل الذى يكون فى حركة أكثر تحديداً، وهنا يأتى دور الإرادة، وكيف يمكن أن تغير الإرادة هذه الموضوعية المليئة بالإمكانيات.

وفى إيجاز لكل ذلك أرى أن أزمة الحركة الشيوعية المصرية هى أيضًا أزمة الحركة المجتمعية وأزمة الثقافة العامة والخاصة، على أن تجاوز هذه الأزمة لا يتحقق بمجرد تأملها وإدراك أسبابها وعواملها إدراكًا نظريًا، معرفيًا فحسب، وإنما لابد من اختبار هذا كله خلال الممارسة العملية مع الجماهير، من خلال قضاياها ومشاكلها الموضوعية الحية، ومحاولة كشف البدائل الصحيحة والنضال الفكرى والعمل من أجل تحقيقها؛ أى الخروج من الأحكام والتقييمات والتفسيرات المجردة إلى إرادة الفعل الجماعى التغييرى. إن المعرفة الحقيقية تنبع من الممارسة، ومن الممارسة تصحح المعرفة وتنمو وتتعمق، وترتفع بها الممارسة إلى مستوى أرقى من الفاعلية والمعرفة أيضًا. بهذا يتحقق التراكم المعرفى والنضالى الذى يصنع بحق التاريخ المتجدد للشعوب.

إن أخطر ما تعرضت وتتعرض له الحركة الشيوعية المصرية هو الفكر المعزول عن الواقع العملى الموضوعى أو الفعل العملى المعزول عن الفكر النظرى الموضوعى المتحرك.

شهادة

محمود عزمي[1]

الاســـــــم : محمود عبد المنعم عزمي

تاريخ وموطن الميلاد : ١٢ نوفمبر ١٩٣٣، القاهرة

المؤهـــلات : ليسانس الحقوق عم ١٩٥٤

المهـــنـــة : محامي بشركة مصر للبترول

– رئيس تحرير مجلة الفكر الاستراتيجى العربى

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢١ عاماً – أكتوبر ١٩٥٤

فترة السجن والاعتقال :

– من ١٩٥٩/١/١ وحتى ١٩٦٤/٤/٧

– من ١٩٦٦/١٠/١٠ وحتى ١٩٦٦/١٢/١٩

بيانـات شخصـيـة : الحياة والبيئة الأسرية التى نشأت فيها كانت مؤثرة على توجهاتي الفكرية والسيسية منذ مرحلة الصبا ومقتبل الشباب وذلك فى اتجاهين :

الأول منها : أن جدى لوالدي «محمود عزمى» كان وزيراً للحربية فى الفترة من ١٩٢٤/٢٢ وكانت مكتبته تحتوي على العديد من الكتب العسكرية والاستراتيجية، وكان هذا عاملاً مؤثراً إلى حد ما فى توجهى لمحاولة الانخراط فى الكفاح المسلح ضد الإنجليز إبان نهوض الحركة الوطنية المصرية في الأربعينيات وبداية الخمسينيات، هذا العامل نفسه كان دافعاً أيضاً إلى حد ما للانخراط في صفوف المقاومة الشعبية إبان حرب السويس عام ١٩٥٦، انضمامى إلى معسكر قرب فايد تحت إشراف كمال رفعت، وطلبة، نهائى كلية الشرطة. ولأنني كنت قد قرأت فى مكتبة «الجد» خاصة في فترة الجمعيات السرية (فى نهايات الأربعينيات) فقد كان لدى فكرة لا بأس بها عن الأسلحة، وحرب العصابات، ولذلك سرعان ما اكتشفت عدم جدية ما يجرى إلى درجة اعتقادى بأن انخراط اليساريين وقبول سلطة يوليو بانخراطهم فى معسكرات المقاومة.. ما هو إلا طريقة من طرق الكشف عن المناوئين أو المختلفين السياسيين مع سلطة يوليو، وفعلاً فإن شهادة «المصيلحى» أثناء محاكمتنا فى ١٩٥٩ تدل على ذلك دلالة صريحة.

أما الثاني منها. من حيث البيئة الأسرية وتأثيرها ، فكان عمل والدي كنائب عام في الفترة من نهايات الأربعينيات وحتى ١٩٥١، وهو ما أتاح له وللأسرة- وأنا واحد منها - التعرف إلى أبعاد الفساد السائد فى تلك الفترة؛ وخاصة الفساد «الملكى» وذلك حين التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة.

فقد توصل والدي من خلال التحقيقات أن الملك شخصيًا متورط فى هذه القضية من خلال عمولات كان يحصل عليها من هذه الصفقات (وكانت الحكومة القائمة أثناء ذلك هى حكومة الوفد الأخيرة قبل يوليو). لقد عمقت أحداث هذه الفترة خاصة فيما يتعلق بموقف والدى، وكنت وقتها قد دخلت الجامعة (١٩٥٠) ولى نشاط سياسى يتعلق بالكفاح المسلح ضد الإنجليز، وأتاحت علاقتي بوالدي أن أقدم له أحد زعماء طلاب الجامعة آنذاك، وهو من الإخوان المسلمين ، ورغم أن والدي تناول فى الحديث معه تفاصيل التورط الشخصى للملك فى هذه القضية، إلا أن جماعته لم يكن لها أي رد فعل تجاه هذه القضية. ومن ناحية أخرى فقد كان مسلك قيادات الوفد آنذاك- عاملاً مؤثراً جداً بالنسبة لى، فقد كلم والدي النحاس وعبد الفتاح الطويل وزير العدل آنذاك موضحًا لهما أن الدستور يمنعه حتى من تقديم متهمين معترفين على الملك، فضلاً عن تقديم الملك نفسه إلى المحاكمة، وأن عليه (النحاس) أن يحاكمه أمام البرلمان، وكان رد النحاس باشا، أنه وسراج الدين لا يريدان مشاكل مع الملك، وأضاف لابد أن تحفظ التحقيق.

وكان هذا ضد رغبة عبد الفتاح الطويل وطه حسين، وظل الضغط على والدي عدة شهور، مما دفع طه حسين لأن يستضيف والدى فى استراحة الآثار فى سقارة، وظل بها شهرين طالبًا الاستقالة ورافضاً للحفظ حتى فعلت الضغوط فعلها ووقع قرار الحفظ.

هذه الأحداث وغيرها والتى حدثت فى بيئتى الأسرية لعبت الدور الأوفى فى توجهاتى الثقافية والفكرية والسياسية والتى ستحسمها فى اتجاه محدد بعد قليل.

تعرفت على الفكر الماركسى خلال نهايات الفترة الممتدة من بواكير الشباب (١٢ . ١٣ عامًا) وحتى بداية الخمسينيات أو ما يقرب من منتصفها ، حيث اشتركت كطالب وطنى فى

مظاهرات الأربعينيات ثم حاولت الانخراط فى الكفاح المسلح فى أوائل الخمسينيات إلى أن رأيت أو تعرفت على بعض الشيوعيين، وكان ما ينفرنى منهم موقفهم من القضية الفلسطينية، حيث كانوا يؤيدون قرار التقسيم ويرون أن هناك حق فى وجود دولة إسرائيل، وأن موقف الملك والحكومة المصرية هو الرغبة في صرف النظر لدى الحركة الوطنية عن الكفاح ضد الإنجليز.

بعد ١٩٥٢ كانت الجمعية التى أنتمى إليها قد تفتتت لعدم وضوح الرؤية الفكرية والنظرية (سيأتى الحديث عنها فيما بعد). بدأت أفكر وأقرأ وأدرس إلى أن وصلت إلى أن الحركة الشيوعية كفكرة مهمة فى السبيل بغض النظر عما أراه من انحراف فى قضية فلسطين. ومن خلال ما لمسته، فقد فشل الوفد، وضعف، وما كان يُسمى الحزب الاشتراكى، كان فاشياً. والحقيقة أن الذي قربنى إلى الحركة الشيوعية هى رواية مكسيم جوركى (الأم) وهى الرواية التى حسمت الموضوع عندي.

وفعلاً انضممت للحركة الشيوعية فى أكتوبر ١٩٥٤ بعد تخرجي من الجامعة مباشرة. ولم يكن انضمامي للحركة الشيوعية المصرية مُنبت الصلة بالأحداث التي جرت لى منذ الصغر؛ فمنذ عام ١٩٤٦، وحين كنت طالبًا فى مدرسة الإبراهيمية الثانوية، بدأت فى الاشتراك فى المظاهرات الطلابية. وكان يزاملنى فى مقعد الدراسة نفسه «عادل حسين»، وكنا مازلنا نرتدى البنطلونات القصيرة، وكان فى المدرسة نفسها أيضًا «إلهام سيف النصر» وكان يسبقنا بعام دراسى واحد؛ حيث كان في الصف الثالث، وكنا نهتف بشعار «تسقط انجلترا» الذى كان غاية فى الجرأة آنذاك، واشتركت أيضًا فى مظاهرة ٢١ فبراير ١٩٤٦ ثم فى مظاهرة ٤ مارس (حداداً على شهداء ١٩٤٦). وقد بدأت بذرة العمل التنظيمى (العمل المنظم) لدينا منذ ذلك الوقت؛ فكنا نقسم أنفسنا مجموعات من التلاميذ للتحضير لإضراب ٤ مارس، وكانت مناقشاتنا مع الناس قد رسخت فى نفوسنا (أنه لاشئ مستحيل) رغم أنهم كانوا يُحبطوننا باعتبارنا (شوية عيال) لكن كلامهم عن النضال الوطنى فى المراحل السابقة عمق فى نفوسنا إمكانية تحرير البلاد. وعموماً استمرت المظاهرات عامى ١٩٤٦، ١٩٤٧ إلى أن خرج الإنجليز من القاهرة والأسكندرية فى ٣١ مارس ١٩٤٧م.

فى هذه الفترة بدأت أنا وزملائى التفكير فى تشكيل جمعيات سرية مسلحة للرد على الإنجليز، وأنه لابد من نوع من حرب العصابات أو المقاومة السرية. وهى فكرة كانت سائدة عند كثير من الشباب. وهذه الفكرة (جمعية سرية للقيام بحرب عصابات) كانت قد استغرقت تفكيرى وجهودى الأساسية من عام ١٩٤٦ وحتى ١٩٥١.

قمت بتشكيل جمعية سرية، اتبعت فيها نظام الخلايا، كل خليه لا تزيد على ثلاثة. وكنت اجتمع بكل مجموعة على حدة، وكانت لا توجد لجنة مركزية، وكان يسيطر على ذهنى فكرة الخطر البوليسى، (وكنا كلنا فى سنوات تتراوح بين ١٣، ١٥ عاماً). طبعًا إمكاناتنا المادية ضعيفة جداً (الاشتراك من المصروف الشخصى) فكانت العادة أن يدفع ما بين عشرة قروش وعشرين قرشًا فى الشهر، ورغم ذلك اشترينا مسدسين (أحدهما كان غير صالح) بستة جنيهات، وكان ذلك فى عام ١٩٤٧، وبدأنا نفكر فى القنابل المولوتوف، لكن نظراً لقلة الإمكانات وعدم جدية الأولاد لم نقم بعملية فعلية.

وبرغم أن الجمعيات كانت تفشل فى الاستمرار، إلا أننا استمرينا، ومع كل تشكيل جديد كانت أفكارنا تصبح أكثر تقدمًا، لكن ضعفت الفكرة بعد خروج الإنجليز من القاهرة والأسكندرية عام ١٩٤٨، وتوقف النشاط لفترة لكون ذهابنا إلى معسكرات القنال فوق طاقتنا. فى الوقت نفسه ظهرت مشكلة فلسطين. وفكرنا فى التطوع. إلا أن صغر سننا كان عائقًا. من ناحية أخرى، لم تكن نشعر بجدية أي من الأحزاب الموجودة، فضلاً عن أنه لم يكن أى منا منخرطًا فى أي من هذه الأحزاب. شاركنا بالكلام فى اجتماعات الأحزاب. وذهبنا إلى جمعية الشبان المسلمين، كذلك للأخوان المسلمين فلا كان هناك كفاح ضد الإنجليز أو ضد الملك.

بعد أن الغي الوفد (النحاس) معاهدة ١٩٣٦ فى ٨ أكتوبر ١٩٥١م، كان معى مجموعة جديدة أكثر نضجاً، وكان أحدهم على علاقة شخصية بجناح حافظ رمضان، رغم أنه لم يكن ينتمى للحزب الوطنى. وذهبنا إلى مقر الحزب الوطنى وتعرفنا بعدد من شباب الحزب الوطنى وكان منهم د. يحيى الجمل، والمرحوم أحمد مجاهد (أكثر هؤلاء الشباب جدية)، وبدأنا (أنا وأحمد مجاهد) فى العمل، وتبرع لنا حافظ رمضان بمائة جنيه وجمعنا عشرين جنيهاً من

أنفسنا (أو ثلاثين جنيهاً). وبدأنا من جديد لتحقيق فكرة الكفاح المسلح، وذهبت لصديق لى من وكالة البلح، وعرفنا على تجر سلاح واشترينا أربعة مدافع من طراز ستن، ثم اتخذنا قراراً بإقامة معسكر للتدريب وعلقنا لافتات روزعنا منشورات وشعارات عن « كتائب التحرير الوطنى». وجاء إلينا حوالى ثلاثمئة شخص فى مقر الحزب الوطنى كمتطوعين وطبعاً كنا نشك أن فيهم الكثير تابعين للمباحث أو للمخابرات الإنجليزية.

اشترينا خيام من وكالة البلح وذهبنا فى الترام إلى أول طريق مصر أسكندرية الصحراوى. وكانت الناس فى الترام تؤيدنا وتصفق لنا، حتى الجندى التابع للشرطة الموجود على طريق الفيوم، طالبنا بتعهد شكلى بأنكم ليس معكم أسلحة، واستمرينا ثلاثة أيام نتدرب على إطلاق النار. وعندما بدأنا فى الإعداد للذهاب للقناة (ذهب ثلاثة أو أربعة لم يفعلوا شيئاً) بدأت العوائق تظهر من الناحية المالية والتنظيمية.

بعد حريق القاهرة لم يعتقل منا أحد، وكنا قد اشتركنا فى مظاهرات يوم ٢٦ يناير، وبدأت الحرائق حوالى الساعة الثانية أو الثانية والنصف، والمظاهرات لا علاقة لها بحريق القاهرة، وكان رجال البوليس السياسى يجمعون بعض جامعى أعقاب السجائر، ورأيناهم أثناء عودتنا إلى منازلنا يرشون مواد ويشعلون فيها النيران.

بعد الأحكام العرفية أصبحنا فى حيرة من أمرنا، ذلك أنه لم تكن هناك أيديولوجية تجمعنا، ولم نكن نثق فى أى من الأشكال الحزبية القائمة.

فى الجامعة كنت أشارك فى كل المظاهرات. وبعد ٢٣ يوليو، واتخاذهم مجموعة من الإجراءات، بدأ موقفى يتبلور منهم خاصة من قضية الأسلحة الفاسدة وبقاء الحاشية الفاسدة. كان أول تنظيم شيوعى انضممت إليه هو نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم) الثانية وليست الأولى - نحشم الجديدة. وكان الشخص الأساس فيها والذى كنت أعرفه بعد ذلك هو (جمال البخارى) وكان يعمل محامياً وأسسنا سوياً مكتباً للمحاماه للدفاع فى قضايا العمال (مجاناً) وكان المكتب فى العتبة. انضم إلينا فى المكتب محمود سامى عطا الله وفؤاد ندا، وقد أغلق المكتب بعد ذلك لضعف موارده المالية، والذى كان يقتصر على خمسة جنيهات تدفعها لنا

نقابة عمال الترام كاشتراك شهرى.

لم ألتفت إلى وضعي الشخصي، فقد كان لدى «حلم الثورة القريبة» والتى ستحدث فى حياتنا، وظللت فى «حدشم» ستة شهور، وكنا تنظيما صغيرا يصدر منشورات ونشرات ثم دخلنا بعد ذلك فى وحدة «الحزب الموحد» فى مايو ١٩٥٥، وشعرت بالارتياح، لأنه كان هناك نشاط أكبر، وقابلت فى هذه الفترة «شهدى عطية» وكان شخصاً محترمًا وهو الوحيد فى هذه الفترة الذى يملك رؤية نظريه متكاملة، وتصرفاته محترمة ويوثق به.

كان الحزب الموحد يصدر مطبوعات متعددة بها شبه دراسات.

بعد يونيو ١٩٥٦، والإفراج عن المعتقلين، بدأت الكارثة حيث تولت قيادات حدتو قيادة الموحد، وبدأ أسلوب العمل يتغير، صار هناك كلام مثير عن جماهيرية الحزب، دون أدنى اهتمام بموضوع النظرية.

بعد تأميم القناة، تأييد حدتو لسلطة يوليو وصل إلى درجة خرافية لدرجة أنك لا تشعر أنك فى حركة شيوعية، وإنما أنت جزء من حركة وطنية، وأن مسألة تولي الشيوعيين السلطة اختفت، وبدء الحديث عن برجوازية وطنية، وقيادة وطنية، وقتها وجدت معارضة داخل معتقل أبو زعبل، ثم تحولت بعد ذلك لانقسام بقيادة فوزى جرجس، رسمى هذا الانقسام بـ «طليعة الشعب الديمقراطية»، وظلت المعارضة قائمة إلى أن صدر قرار رسمى من الموحد الذى تقوده حدتو بفصل عشرة زملاء لاتهام بالتكتل. فى الحقيقة كنا نطالب «كطليعة» بعقد مؤتمر وصراع إيديولوجى (وكان هذا شعارنا الأساسى)... مؤتمر يحسم الصراع وتجرى على أساسه انتخابات تفرز القيادات، ويجرى وضع برنامج ورؤية استراتيجية وتكتيك. وكان هذا ما ترفضه قيادات حدتو المتنفذة فى الموحد، أولئك الذين إتهموا المختلفين بأنهم مثقفين يتميزون بالثرثرة، ويتركون النضال الجماهيرى، ويتكلمون فى قضايا نظرية تضيع الوقت فى ذلك الوقت. وبعد قرارات قيادة حدتو للموحد، أسسنا (طليعة الشعب الديمقراطية)، وبدأنا نعمل ثم أصدرنا مطبوعات بعد ستة أشهر.

كانت القيمة الأساسية فى ذهنى، و اكتشفت بعد ذلك أنها كانت فى ذهن فوزى، وهى ألا

نتعجل فى إصدار مطبوعات (جريدة ومنشورات باسم التنظيم) حتى لا نتعجل ضربة بوليسية من ناحية، وحتى نستطيع أن نقيم التنظيم على قدمين راسختين من ناحية أخرى، بحيث يكون لنا قدرة على إيجاد محترفين.

لم تكن لدينا أموال، وبحكم وضعى المالى كابن لنائب عام سابق ولام تمتلك أراضى زراعية، وأقيم فى الزمالك، وأحصل على مصروف كبير (٤ جنيهات) إئتمنونى على المسئولية المالية. كانت حصيلة الاشتراكات لا تزيد أبداً على ثلاثين جنيهاً، بل وصلت فى أحيان إلى عشرين جنيهاً.. كنا نريد تغيير مجتمع ونؤسس تنظيماً .. فى الوقت الذى حالت إمكاناتنا المادية دون احتراف إلا زميل واحد هو المرحوم نجاتي عبد المجيد. ورغم ذلك استمرينا فى التنظيم وفى سنوات ١٩٥٧، ١٩٥٨ (مارس، أبريل) تمت وحدة بين تنظيمنا وبين تنظيم وحدة الشيوعيين (و. ش) ثم اكتشفنا في خلال شهر واحد من الوحدة أن هذا التنظيم شبه وهمى فهم حوالى عشره أو اثنى عشر شخصاً، فى حين كنا نحن (الطليعة)- وقد كنت المسئول التنظيمى الحقيقى لمنطقة القاهرة - كان لدينا في القاهرة والأسكندرية حوالى ١٢٠ عضواً ومرشحاً للعضوية، ولم يكن هناك أحد في مناطق أخرى، كان الزملاء فى (و. ش) يقولون بأن لديهم ستين هنا وثمانين هناك ولم يقدموا لنا شيئاً، فاتخذنا قراراً من خلف القيادة (أنا ونجاتى) بطردهم، إلا أن أعضاء اللجنة المركزية احتجوا على ذلك، إلا أننا أصررنا عى ذلك وغيرنا لاسم إلى (الطليعة الشيوعية) وغيرنا أسماءنا الحركية، إلا أننا اكتشفنا أثناء محاكمتنا فى عام ١٩٦٠ بأن أسماءنا الحركية خلال فترة الوحدة والمعلومات المباحثية كانت ضمن تقارير المباحث مما يعني أن هناك ثرثرة لا مسئولة كانت سائدة في فترة الوحدة من قبل هؤلاء الزملاء.

في هذا الوقت كنا نتبنى تحليلاً سياسيًا قدمه «فوزى جرجس» يصف التمثيل الطبقى لحركة يوليو بأنها للبورجوازية الصناعية الكبيرة، وقد أصدر كتابان عام ١٩٥٨ (دراسات فى تاريخ مصر السياسى) بعد أن أصدر شهدى عطية كتاب "تاريخ الحركة الوطنية". وقد كان هذا التحليل نتاج لدراسة الواقع فى مصر ونتاج للصراع الفكرى والأيديولوجى حول من تمثل حركة يوليو طبقيًا، فى الوقت الذى كانت حدتو تقول فيه بورجوازية وطنية (متوسطة وصغيرة)

بعد أن تمت الوحدة مع (د. ش) كان هناك تياران - من وجهه نظرى) الأول يتعجل الشكل التنظيمى والحجم التنظيمى وذلك للحصول على أربعة كراسى فى اللجنة المركزية فى حال قيام وحدة مع الحزب الشيوعي المصرى أو غيره، وكان موضوع الكراسي يتعب الناس جداً، وفوزى وأنا ونجاتي كنا ضد هذا التيار. كانت هناك فكرة لكن لم نقلها بصراحة خوفاً من اتهامنا بالتخاذل وترك النضال، كانت هذه الفكرة تقول بالبداية من الصفر. وكانت هذه الفكرة نتيجة لتحليل طويل كتبته أنا في تاريخ الحركة الشيوعية من وجهة نظر تنظيمنا (الطليعة) (وللأسف حرق ضمن ما حرقته أسرتي عند اعتقالى).

كان فحوى التحليل ينظر إلى أن الأشكال التنظيمية التقليدية والانقسامات ثم الهجمات البوليسية والقضايا تُضيع تضحيات الناس، وأن علينا أن نبدأ من جديد من الصفر. وقد سخر من هذا التحليل جماعة حدتو، كما أننا لم نستطع اتخاذ قرار بشأن هذا التحليل، لأن التيار الآخر رفض هذا التحليل واتهمونا بأننا نريد إفساد كل شئ، بل وتريدين التوقف عن النضال الشيوعى.

والحقيقة لم تكن هناك نية لاعتزال النشاط، وإنما كانت الفكرة هى شعورنا بأن هناك شيئاً خطأ يحدث، وأن هناك مكابرة على طرح الشعارات التى ليست لديك قدرة تنظيمية حقيقية على تحقيقها أو تنفيذها، ومن ثم فالأفضل البدء بعملية تنزير.

كانت فكرتي تقتضى تجميد الشكل العلنى للتنظيم - أى لا نصدر مطبوعات تحمل اسم الطليعة الشيوعية - إلى أن نفهم ماذا نريد بالضبط. وقد بدأت هذه الفكرة قبل الاعتقال، ولكن ناقشتها أنا وفوزى جرجس فقط وبشكل محدود جداً، فقد كانت الظروف والأجواء السياسية في مصر وقتذاك تنبىء بالاعتقال، لكننا كنا عاجزين عن الحركة بسبب المشكلة المالية، كما لم تكن هناك أماكن لدى متعاطفين لديهم القدرة على إبعادنا عن القبضة البوليسية. فى ذلك الوقت كل ما فعلته أننى ذهبت إلى منازل الزملاء، واستطعت جمع كل المطبوعات والتى كانت توجد فى أماكن غير مُؤمنة جيداً (تحت السرير مثلاً) وجمعتها فى مخبأ لم يصل إليه البوليس، لكن عائلتى تولت حرقه بعد ذلك. ورغم ذلك فقد احتفظ ماجد

بمحاضر الجلسات التي كانت مكتوبة بخط يدى وخط يده، وحكمت علينا المحكمة العسكرية في عام ١٩٦٠ بعشر سنوات لماجد وتسعة لمحمود عزمي وثمانية لنجاتي عبد المجيد.

في النصف الثاني من الخمسينيات ثارت مسألة الاتحاد السوفيتي، واتهمتنا حركة يوليو بأننا عملاء للسوفييت، غير أن زملاءنا اتهمونا بأننا ضد الاتحاد السوفيتي وذلك لوقفنا من الموقف الذي اتخذه خروشوف من ستالين في المؤتمر العشرين عام ١٩٥٦ والذى كان أحد أسباب انقسام الموحد. لكن في القضية، رئيس المحكمة العسكرية رفض الأخذ بكلام لمصيلحى أو غيره بأننا نتلقى أموال من الاتحاد السوفيتي، وتساءل عن وجودها.

وحقيقة الأمر أننا لم تكن لنا أي صلات بالاتحاد السوفييتي أو غيره في أى وقت من الأوقات. وفيما يتعلق بفكرة «البدء من الصفر» فقد استمرت مناقشتها في المعتقل، إلا أنها توقفت خلال السنتين الأخيرتين وإن استمرت بعد ذلك. فعندما اعتقلت مرة أخرى في أكتوبر ١٩٦٦ أنا وفوزى جرجس وعلي الشوباشي وابراهيم فتحي، كان الاعتقال مستنداً إلى خطة الصفر هذه معتبرين أننا قد توقفنا ظاهريًا، وسألونى عن د. إبراهيم سعد الدين و إسماعيل عبد الحكم (اعتقلا في الفترة نفسها ولمدة قصيرة) وهل هؤلاء هم واسطتكم للعمل داخل الاتحاد الاشتراكي، ومنظمة الشباب، والتنظيم الطليعي، لكن عرفت بعد ذلك أن الأمر كله يتعلق باتهامات داخل أجنحة السلطة نفسها (عبد الناصر/عبد الحكيم) لدرجة وصلت إلى اتهام جمال عبد الناصر بأنه شيوعي أو يتخذ إجراءات شيوعية.

وعلى أية حال فإن هناك قضية مهمة عندما تحاول الإجابة عن أسباب أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل عام ١٩٦٥، ومن وجهة نظري أنه يرجع إلى انتفاء الديمقراطية الداخلية للتنظيم الشيوعي في مصر (أي تنظيم شيوعي مصرى)، فلم يحدث أبدأ أي نقاش حقيقي حول ما كُنا نسميه المقومات السياسية، والتحليل، و كذلك اختيار القيادات. لقد كان الخط السياسي يُفرض دون أن يؤخذ رأى الناس فيه، رغم أن الحركة كان من المفروض أن تكون قمة الديمقراطية، وكان هناك قمع معنوى للآراء المضادة أى المخالفة لرأى القيادة.

كما أن الحركة لم تمتلك خطاً سياسياً واضحاً بمكوناته الكاملة (ويسرى هذا على كافة

التنظيمات المشكلة للحركة). لقد كانت هناك منظمات أسست على مجرد بيان. كذلك لم يحدث أن ظهر تحليل متفق عليه بين الجميع خاصة في الموقف من المجتمع والسلطة القائمة آنذاك، ولذلك أرى أنه لم تكن هناك جدية على المستوى السياسي، وإن كانت هناك تضحيات ونضال جاد من قبل الشيوعيين المصريين. وفي رأيي أيضاً أن الانقسامات بشكل أساسي جاءت من الرغبة في الحصول على كراس فى اللجنة المركزية، كما أن هناك عقلية ونمطاً فكرياً محدداً أثر بشدة فى حدوث الانقسامات؛ حيث لعبت فكرة توصيف حركة يوليو طبقيًا، دوراً جوهرياً فى الانقسام، ودوراً أساسيًا فى انحراف هائل، وصل إلى حد وصف النظام الحاكم بأنه يتشكل من مجموعات منها مجموعة اشتراكية؛ وهى الفكرة التى أدت إلى حل التنظيمات الشيوعية فى عام ١٩٦٥. وفي رأيي أيضًا أن سيطرة اليهود، فى بداية تشكيل المنظمات الشيوعية فى الاربعينيات، لعبت دورها فى ظاهرة الانقسامية، وإن لم تكن السبب الوحيد.

شهادة

منصور زكي

مقدمة للشهادة :

كنت حريصاً، بمرافقة الزميلين أحمد على خضر وأحمد سالم سالم، على زيارة رفاقنا الشيوعيين؛ خاصة المرضى منهم. وكنت قد بدأت فى تسجيل حوارات مع بعض الزملاء حول سيرهم الذاتية وحياتهم الكفاحية، والتقينا – فى منزل المرحوم عدلى جرجس بالمطرية – مع الزميل منصور زكى.

ولما حاولت إجراء حوار مع عدلى جرجس عن سيرته الذاتية ومشواره مع الحركة الشيوعية الذى كنتُ قد رافقته فى بعضه دون أن يضمنا تنظيم واحد، وجدت أنه ليست لديه القدرة على الحوار بسبب مرضه، وعندئذ عرض عليّ الرفيق منصور زكى أن يقوم هو بالحديث عن السيرة الذاتية لعدلى جرجس ومشوار كفاحه من واقع معايشته له، وجاءت سطور هذه الصفحات شهادة تخص سيرته النضالية، وسيرة عدلى جرجس الذى كان من أقرب الزملاء إليه.

أ. طه سعد عثمان

* * *

الاســـــــــم : منصور زكى

ارتبطت بالحركة الاشتراكية والنشاط الشيوعى قبل عام ١٩٤٦، وكنت عضواً فى منظمة (اسكرا)، التى اتحدت مع (الحركة المصرية) فى عام ١٩٤٧، وتكونت نتيجة لهذه الوحدة (الحركة الديمقراطية لتحرر الوطنى)، ورغم أن حملة اعتقالات ١٥ مايو ١٩٤٨، قد شملت عدداً كبيراً من الكوادر الشيوعية، من عمال وطلبة وموظفين وغيرهم، إلا أننى هربت من الاعتقال. وبذلك فإننى لم أتعرف عملياً بالزميل عدلى جرجس، إلا من خلال العمل الجماهيرى أثناء حكم وزارة الوفد فى ١٩٥٠/ ١٩٥٢. فى هذه الفترة كانت قد حدثت انقسامات وخروج على تنظيم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى). ومن هذه الانقسامات كانت العمالية الثورية وطليعة الشيوعيين المصريين (وهى غير طليعة العمال) والنجم الأحمر، والنواة، ووحدة الشيوعيين، ونحو منظمة شيوعية مصرية، وغيرها من المنظمات الصغيرة. وهنا لابد أن أوضح أننا لسنا بصدد الحديث عن تلك المنظمات، ولا المنظمة الأم – الحركة الديمقراطية للتحرر

الوطني – فذلك له مجال آخر، لكننا نتحدث هنا عن عدلي جرجس موسى، من خلال معايشتي له.

فى ديسمبر ١٩٥٢ عندما دخلت سجن مصر، فى قضية تنظيم طليعة الشيوعيين المصريين دخل معى، فى الفترة نفسها، عدلى جرجس، فى قضية تنظيم النجم الأحمر. وكان، فى داخل السجن فى هذه الفترة، مسجونون شيوعيون فى قضايا أخرى، لتنظيمات أخرى، ودخلنا فى تلك الفترة إضرابًا عن الطعام من أجل الحصول على معاملة حرف أ، التى كانت تتميز بكثير من المزايات عن حرف ب، من حيث الأكل والنوم وغيره. ونظام حرف أ كانت الدولة قد وضعته لتحسين معاملة المثقفين السياسيين فى داخل السجون عن معاملة المسجونين العاديين. وازدادت معرفتى بعدلى جرجس أكثر من خلال هذه المعركة التى انتهت بحصول المعتقلين الشيوعيين على معاملة حرف أ.

كانت فى السجن لجنة للحياة العامة تقوم على تنظيم حياتهم فى السجن. وكان المفروض أنها لجنة منتخبة، وإن كانت فى حقيقتها معينة من ممثلين للتنظيمات. وبعد فترة قصيرة انتخب أو عُين عدلى جرجس فى لجنة الاتصال بالإدارة مع يوسف درويش المحامى.

كان الشيوعيون يقومون بحملة المطالبة بتحسين حال المسجونين السياسيين، وكانوا يعترضون على الممارسات غير الإنسانية مع المسجونين العاديين، وتعرضهم من جانب حرس السجن للضرب والإهانات والتعذيب. كان الشيوعيون يسكنون فى دور ٦ عنبر ب، بينما كانت بقية الأدوار لمسجونين عاديين عدا دور ٥. ولهذا قررت الإدارة نقل الشيوعيين إلى دور الملاحظة فى عنبر ج بسجن مصر. ونتيجة للصدامات مع إدارة السجن تم أيضاً نقل عدد من الشيوعيين إلى زنازين التأديب، ثم رُحلوا إلى سجن طنطا. وكنت أنا وعدلى جرجس منهم. أما عن السبب المباشر الذى أدى إلى اتخاذ مصلحة السجون لهذا الإجراء، فهو أننا كنا قد كتبنا عريضة احتجاج وقع عليها جميع الشيوعيين، ضد اتخاذ الدولة إجراء تحويل القضايا الشيوعية إلى محكمة عسكرية عليا برئاسة اللواء النجوى، وإصدار هذه المحكمة أحكاماً قاسية فى بعض القضايا الخاصة بالحزب الشيوعى المصرى وصلت إلى الحكم بالأشغال الشاقة لمدد من ثمانية إلى عشر سنوات. وترتب على صدور هذه الأحكام نقل المحكوم عليهم،

من زملائنا الشيوعيين، إلى ليمانات طره وأبو زعبل. وطبق عليهم نظام الأشغال الشاقة من لبس الحديد في الرجلين، والخروج لتكسير الأحجار في الجبل. وقد اعتبرت الحكومة هذه العريضة تحدياً لسلطاتها، وأرسلت لجنة تحقيق مع إدارة السجن في كيفية خروج هذه العريضة من السجن، حيث كنا قد أرسلناها إلى عدة جهات منها : وزارة الحربية التي كانت تتبعها مصلحة السجون وقتئذ، ومسئولين آخرين في الدولة، وإلى دور الصحف. وأمام لجنة التحقيق هذه تحمل مندوبو المسجونين الشيوعيين المسئولية الكاملة عن إرسال العريضة، فتقرر تشتيتنا، وخاصة من ظنت الدولة أنهم قيادات. وفي الحقيقة فإن عدلي جرجس، كان له دور بارز في لجنة الاتصال بالإدارة، ثم بعد ذلك في لجنة الحياة العامة، سواء في سجن مصر أو بعد انتقالنا إلى سجن طنطا.

في سجن طنطا زاد التقارب بيني وبين عدلي جرجس نتيجة للتقارب في الفكر السياسي أولاً بين بعض التنظيمات الشيوعية الصغيرة، ونتيجة أيضاً لتقارب المواقف النضالية بيننا. وفي نهاية ١٩٥٤ تقريبا، رحلت أنا إلى ليمان طره ونقل عدلي جرجس ومن معه إلى سجن القناطر الخيرية.

وفي ديسمبر ١٩٥٧ خرجت من سجن الواحات الخارجة، حيث كان يوجد به بصفة رئيسية أعضاء من تنظيمين هما الحزب الشيوعي المصري (الراية) والحزب الشيوعي الموحد، الذي كان قد تكون من اتحاد عدد من التنظيمات الصغيرة مع حدتو ومن تلك التنظيمات الصغيرة طليعة الشيوعيين المصريين والنجم الأحمر وحدتو التيار الثوري وجزء من النواة وغيرها. وكان في الواحات أيضاً عدد قليل من طليعة العمال، أذكر منهم لمعي يوسف وعبد التواب عثمان وعبد الحفيظ بيومي، الذي رفض الانضمام مع حدتو حيث كان في النجم الأحمر، وانضم إلى طليعة العمال. وقد وصلنا، ونحن في الواحات، خبر الوحدة بين الحزب الشيوعي المصري (الراية) والحزب الموحد وتكوين الحزب المتحد، ولكن بمسئولية مزدوجة بمعنى أن يكون في كل مستوى ممثل لكل من التنظيمين، وبهذه الصوره لم تكن وحدة فعلية وإنما كانت هيئات مشتركة.

بعد خروجي من السجن في عام ١٩٥٧، كان عدلي جرجس مسئولاً تنظيمياً في المتحد

وكان يعمل مديراً لدار الديمقراطية الجديدة للطباعة والنشر، ورغم ذلك، فإنه عند تكوين وحدة ٨ يناير ١٩٥٨، والتي جرت بين ثلاث تنظيمات هي : الراية، وحدتو، وع.ف، بما يقطع بأنه لم يعترف بوحدة المتحد، وأنها كانت صورية. كان عدلي جرجس، رغم دخوله الحزب الموحد، محتفظاً دائماً برأية المستقل في السياسة وفي التنظيم وفي أسلوب العمل الجماهيري، مما جعله لا ينوب في وحدة الموحد. ولهذا أيضاً، فإنه عند تكوين وحدة ٨ يناير ١٩٥٨، لم يقدم عدلي جرجس كعضو قيادي للجنة المركزية للحزب الجديد، ولا لأي مسئولية أساسية، في أي مستوى قيادي آخر، كلجنة منطقة أو لجنة قسم في القاهرة، لأن الحزب المصري (الراية) لم يكن يرشحه، لأنه لم يكن عضواً فيه. وكذلك ع.ف. أما الموحد الذي هو في جوهره تيار حدتو الأساسي، فإنه لم يقدم عدلي جرجس كقيادي لعدم إمكانية استيعابه كقيادي، أو خضوعه الكامل لقيادات حدتو التقليدية. كان وضعه في المتحد، كمسئول تنظيمي من قبل، وكذلك إسناد إدارة دار الديمقراطية الجديدة إليه، قد تم بهدف اتمام السيطرة على التنظيمات الصغيرة، التي كان يعتبر عدلي جرجس ممثلها، مع ضمان أن صوت عدلي مهما علا، فسوف يكون في الأقلية التي عليها أن تخضع في النهاية لرأي الاغلبية وتلتزم بتنفيذه.

بعد اتمام وحدة ٨ يناير عام ١٩٥٨، وجدت أنني وعدلي جرجس بعيدين عن جميع المسئوليات الرئيسية، بل وألغي احترافنا، مما جعلنا في موقف سيئ جداً من ناحية المعيشة. ورغم هذا كنا حريصين في مقابلاتنا الكثيرة، ورغم هروبنا من مراقبة البوليس المحكوم بها علينا، كنا ملتزمين تماماً بقواعد التنظيم، ولا نثرثر أو نتناقش في أخبار التنظيم الداخلية. ومن الغريب أنني وعدلي مع إلحاحنا على تحديد مجال عملنا التنظيمي، فقد ألحقنا بالمسئول التنظيمي للحزب الجديد، وكانت المقابلات تتم بينه وبين كل منا على حده، إلى أن خرج كمال عبد الحليم وقام باتصالات واسعة من أجل تجميع الموحد من جديد بما كان يضمه من أعضاء حدتو وأعضاء التنظيمات الصغيرة الأخرى. وقد تم الاتصال بي وبعدلي لهذا الغرض، وقد تناقشنا نحن الاثنين أولاً في الوضع، وفي الموقف الصحيح، واتفقنا على أن الحزب وقد وجد كثمره لكفاح وتضحيات غالية من عديد من الشيوعيين المصريين، فإنه يجب أن يبقى، ومادام هذا الحزب يتعرض الآن لخطر رئيسي، وهو العودة إلى فترة الانقسامات السابقة، فإن ذلك يجب أن يقاوم. ورفضنا كل العروض التي قدمت لنا رغم حالتنا المعيشية السيئة ووضعنا

التنظيمى الشاذ. بل كنا حريصين على إفشال كل محاولات قيادات الانقسام لضم أعضاء جدد إليهم من داخل الحزب. وأذكر أننا كنا نستأذن مكتب التنظيم فى الحزب الجديد، لحضور اجتماعات أو مقابلات قادة الانقسام، من أجل توضيح خطورة الانقسام على الحزب مهما كانت هناك من أخطاء من جانب قيادات التيارين الآخرين - الراية ،ع. ف- وبذلك تحدد موقفنا نهائيًا فى صف الحزب وضد الانقسام.

فى هذه الفترة كان يوجد مكتب قيادى حزب ٨ يناير مكون من ثلاثة هم : أبو سيف يوسف ممثل ع. ف، وفؤاد مرسى ممثل الراية، وكمال عبد الحليم ممثل الموحد. وكان هذا يعنى أن المتحد لا وجود له، بل يوجد بدلاً منه التنظيمان السابقان عليه. وبعد المقابلات الأولى، وإعلان تكوين حزب ٨ يناير ١٩٥٨، بدأت عملية اندماج الأعضاء من تحت ابتداءً من المناطق، ثم الأقسام، ثم الخلايا. ورغم أن عدلي كان مسئول تنظيمى المتحد، فإنه لم يوضع فى التشكيل الجديد فى أى مسئولية، وكذلك كان وضعى. وبقينا معلقان باتصال فردى مع المسئول التنظيمى للحزب الجديد. وقد زادت مقابلاتي لعدلي، والتى كانت غالبيتها تتم عند المسئول التنظيمى أو فى أماكن أخرى، خاصة وأن وضعنا بالنسبة للموقف من مجموعة كمال عبد الحليم كان متشابهاً. وبقينا نحن الاثنين بلا احتراف رغم أننا كنا محترفين قبل ٨ يناير ١٩٥٨، وعرفنا بموضوع المشاجرات التى كانت تحدث بين أعضاء وممثلى التنظيمات المختلفة فى الاجتماعات. وبدأت الخلافات تأخذ شكل العنف خاصة فى منطقة القاهرة، ومنطقة الجيزة، خاصة بين أعضاء السكرتاريات المكونة من واحد كممثل لكل من التيارات الثلاثة، وبدأ الحديث شبه العلنى على أن الراية وع. ف قد اتفقوا على أن يطردوا أعضاء الموحد من الحزب، وأطلقت مجموعة كمال عبد الحليم عليهم اسم (التكتل) بينما أطلق الباقون على مجموعة كمال عبد الحليم اسم (الانقسام). وللحقيقة والتاريخ، ورغم أننى وعدلى حاولنا وقف عملية شطر الحزب، الا أن قيادات الراية وع.ف كانوا يأخذون إجراءات لتصعيد الموقف، كوقف بعض أعضاء ل.م أو المكتب السياسى. وبعد أن تم الانقسام فعلاً بقيت أنا وعدلى فى الحزب الجديد رغم أننا أصلاً كنا مرتبطين بالموحد قبل ٨ يناير ١٩٥٨.

أُلحقت أنا بعد ذلك تنظيمياً بقسم جنوب القاهرة، وأُلحق عدلي جرجس بمنطقة المنصورة، فسافر إليها، وبدأ عمله وكان ذلك حوالى سبتمبر ١٩٥٨. وبدأت معاملتنا كمحترفين، مما

ساعد على استقرارنا.

كلفت من الحزب بالاتصـال بعدلى لعمل تنظيمى. وقد تعاونت معه فعلاً فى عمل جهاز فنى لمنطقة، حيث أوصلنى بعبد الله الزغبى الذى كان يتولى نقل وتركيب أجزاء الجهاز. وظللنا نعمل بكل إخلاص فى داخل الحزب، متحـاشين أى خرق لقواعد التنظيم، أو مـحاولة عمل اتصالات جانبية، رغم مقابلاتنا العديدة حتى كانت حملة يناير ١٩٥٩.

فى أول يناير ١٩٥٩ قبض على الأغلبية العظمى من أعضاء اللجنة المركزية لحزب ٨ يناير ١٩٥٨، وكذلك الأغلبـية العظمى من قيـادات الانقسـام. ورغم أنه كانت هناك بوادر بأن عبد الناصر سيقوم بحملة ضد الشيوعيين، ولكن التوجيه الذى أرسل من القيادة إلى الكوادر، كان مانعًا، وهو يقضى بأن من يستطيع الهرب فليهرب إذا كانت لديه إمكانياته الخاصة لذلك. ولهذا، ورغم عدم تحديد التوجيه، فقد هربت أنا وعدلى جرجس، إلى أن قبض عليٌ فى يونيه ١٩٥٩، وقبض على عدلى جـرجس بعدي بقليل. ورغم اتسـاع حملة ٢٨ مـارس ١٩٥٩، والتى جمعت الأغلبية العظمى من الكوادر الشيوعية، ورغم ظروف اختفائنا الصعبة، فإننا كنا نتفاعل رغم أننا كنا هاربين من حكم مراقبة البوليس. ورغم كل هذه الظروف فقد بدأنا فى اسـتكمال جهاز فنى للحزب كنا قد بدأنا العمل فيه قبل حملة يناير ١٩٥٩ .

بعد القبض علي رُحلْتُ إلى سجن القلعة، ونُقلت بعدها إلى معتقل العزب بالفيوم. وكان عدلى جرجس ضمن اللجنة التى كانت تمثل المعتقلين أمام إدارة المعتقل. وقد تحمٌل فى سبيل ذلك الكثـير من التـعذيب الإضافي، من الحبس فى زنزانه التـأديب، والضـرب بالكرابيج السودانى، خاصة عند احتجاج المعتقلين على سوء التغذية أو سوء المعاملة. ولكنه ظل يقوم بتمثيل المعتقلين أمام الإدارة، خاصة بعد نقل فوزى حبشى العضو الثانى فى اللجنة إلى الواحات الخارجة بعد أن تعرض للضرب بالكرابيج السودانى حتى تورم جسمـه كله. ورغم رفض الضابط قائد الترحيلة استلامه فى البداية، إلا أنه بعد أمر مباشر من الداخلية، نُقل وهو عارٍ تماماً من الملابس وملفوف بالقطن حوله جسمه كله. ولم يضعف عدلى جرجس أو يتخلى عن مهمة تمثيل المعتقلين رغم ما رآه من تعذيب فوزى حبشى حتى قارب على الموت.

نقلت الإدارة بعد ذلك بعض المعتقلين إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة، ونقلت

بعضهم إلى وادى ليمان أبى زعبل، وكنت أنا وعدلى جرجس مع هؤلاء، وبعد حفلة الاستقبال والتعذيب الأولى، الذى ليس هنا مكان تناوله، دخلت أنا وعدلى جرجس عنبر ٢ وقد تحملنا مع من كانوا فى الأوردى تعذيباً ليس هنا مكان ذكره أيضاً. كان قد سبقنا إلى معتقل الأوردى المحبوسون على ذمة القضية الكبيرة – قضية الحزب – بعد محاكمتهم فى الإسكندرية ورغم أن مرحلة التعذيب فى الأوردى لم يكن فيها حياة عامة، ولا مندوب للادارة، إلا أن عدلى تحمل تعذيباً مضاعفاً كنت أنا شاهد عيان عليه، وذلك بسبب أن عدلى عندما كان مندوباً للمعتقلين لدى الإدارة فى سجن مصر كان دائم الاحتكاك مع الضباط، وخاصة الصغار منهم، الذين كانوا يتولون النوبتجية فى عملية تسليم الأكل والملابس والزيارات للمسجونين والمعتقلين. وقد كان عدد من هؤلاء الضباط موجوداً فى أوردى ليمان إبى زعبل ومنهم يونس مرعى وحسن منير وعبد اللطيف رشدى. وقد شعرت أن يونس مرعى بالذات يريد أن ينتقم من عدلى، ويريد إذلاله بمضاعفة الضرب والتعذيب عليه، ولكن عدلى كان يقابل ذلك كله بصبر. وتحمل وبضحكته المعهودة، وابتسامته التى كانت تضايق يونس مرعى وبقية الضباط كثيراً. وبصرف النظر عن عملية حفل الاستقبال فى الأوردى، والتعذيب اليومى ابتداءً من اللف للتفتيش، وطابور الزحف الذى كانوا يسمونه طابور الرياضة، ثم العمل فى الجبل، وتكسير البازلت، والجرى المستمر، وشيل التراب والأحجار، وخلافه، فقد كان لعدلى جرجس دور كبير فى تشجيع بقية الزملاء فى العنبر، وتقوية روحهم المعنوية، كما كان له دور أيضاً مع زملاء العنابر الأخرى، وكان له دور فى تربية الزملاء ثقافياً وطبقياً. وأستطيع أن أذكر ما قام به عدلى فى تلك الفترة وفى عنبر ٢ بالذات فى الآتى :

بعد أن استقر الوضع فى الأوردى، ووصلت كل الدفع الكبيرة العدد الواردة من معتقل العزب أو غيره، تشكلت لجنة قيادية فى عنبر ٢ الذى كنت فيه أنا وعدلى من ثلاثة يمثل كل منهم اتجاهاً أو تياراً من التيارات الثلاثة فى داخل الحزب، وكان المسئول السياسى للعنبر عدلى جرجس ممثلاً للموحد، ومعه رشدى خليل من ع. ف، وثروت إلياس من الراية. وأعدت خطة لتقوية الزملاء، ومساعدتهم على الصمود، وذلك بعمل محاضرات بعد غلق أبواب العنبر، ومن مجموعات صغيرة متقاربة الأماكن، وفعلاً أوجدت هذه الخطة نتائج طيبة؛ خاصة وأنه كان بالعنبر بعض المنقسمين، وعدد من الذين لم يرتبطوا من قبل بالحركة الشيوعية أو ارتبطوا

وكانوا بعيدين وقتئذ عن التنظيمات.

وقد حدث نقاش في العنبر كان لعدلي فيه دور كبير حول عدة محاولات للمقاومة، بدأت باقتراح مواجهة الإدارة بالإعلان عن رفض التعذيب، وأعدت قائمة على أن يبدأ واحد بالكلام، فإذا ما أخذته الإدارة وعذبته يتقدم غيره. وهكذا ولكن هذه الخطة رفضت من اللجنة المركزية لحزب، والتي كانت في عنبر ١ . ومع هذا فقد كانت الروح المعنوية العالية لعدلي رغم التعذيب المضاعف عليه ذات أثر كبير في مساعدة الزملاء على الصمود. وعرضت اقتراحات أخرى مثل رفض الهتاف أو الإضراب عن الطعام أو غيرها ولكنها جميعها رفضت ولم ينفذ منها شيء.

في يوم مجيء قضية المنقسمين إلى الأوردي ووفاة المرحوم شهدي عطية، أخذت اللجنة القيادية في العنبر برئاسة عدلي جرجس قراراً بالمقاومة السلبية؛ بمعنى عدم الامتثال للأوامر خاصة بالف للتفتيش وتسليم القطوعيات في الجبل والجرى، وقد نفذت جميع العنابر هذه الخطة، إلى أن أدركت الإدارة أن الأوردي كمعسكر تعذيب قد فقد مبررات وجوده؛ خاصة بعد أن صدرت الأوامر بمنع الضرب، ووقف التعذيب، وعندئذ بدأت عملية الترحيل إلى سجن الواحات الخارجة، وقد رُحلت أغلبية المعتقلين في دفعتين، كان عدلي جرجس مسئول الدفعة الأولى، وكنت أنا مسئول الثانية. عند وصولنا إلى سجن الواحات الخارجة، كان موجود هناك عدد من أعضاء الحزب، وكان مسئولهم فخرى لبيب، وكانت هناك أيضاً مجموعة من المنقسمين وبعض المعتقلين، وتجمعنا ثانية أنا وعدلي في عنبر ٢ بسجن المحاريق، وكان أول عمل واجهناه هو تشكيل لجنة قيادية، وقدم اقتراحاً بأن تكون اللجنة منتخبة وترشح لها عدلي جرجس وأنا ونبيل زكي وآخرين ، وأذكر أن عدد أعضاء المجنة كانوا سبعة منهم عدلي جرجس وثروت إلياس وقد حصل كل منهما على ٦٩ صوتاً وأنا ورؤوف نظمي ومحسن الأعسر وطاهر عبد الحكيم، كل واحد أخذ ٦٥ صوتاً. وهذا ما أنا متأكد منه، وبهذه المناسبة أذكر أنه ثبت أن عملية الديمقراطية والانتخابات في ظل الحلقية في داخل الحزب تصبح صورية وليست لها أي فاعلية، لأن التشكيل النهائي للجنة كان من عدلي جرجس وأنا وطاهر عبد الحكيم من الموحد، ونبيل زكي من ع. ف، ورؤوف نظمي وثروت إلياس ومحسن الأعسر من الراية. ومع هذا فقد تشكلت سكرتارية للجنة من ثلاثة هم ثروت إلياس مسئول سياسي، ونبيل زكي مسئول تنظيم وطاهر عبد الحكيم مسئول دعاية. وبهذا، والحقيقة وللتاريخ، ورغم أننا كنا من حيث الشكل في

حزب واحد، إلا أن الحلقية كانت تحكم كل التشكيلات الحزبية رغم أنها فى الظاهر بالانتخاب والديمقراطية. وكان ذلك يتم بمعرفة وتأييد جميع ممثلى التيارات فى داخل الحزب الواحد، حزب ٨ يناير ١٩٥٨.

أذكر أنه فى هذه الفترة حدثت مشادة بين شكرى عازر وعدلى جرجس، تفوه خلالها عدلى بشتائم قبيحة موجهة إلى شكرى، وشاع الخبر فى المعتقل وغذاه شكرى. فطلبت أنا اجتماعاً للجنة القيادية، وفى الاجتماع طلبت توجيه لوم شديد إلى عدلى جرجس بصرف النظر عن التفاصيل، لأنه ما كان يصح أن يتفوه بشتائم قبيحة موجهة إلى زميل. وفى الاجتماع أعلن عدلى أنه أخطأ بصرف النظر عن موقف شكرى عازر، وأنه يقبل اللوم الشديد الذى اقترحه منصور زكى. لكن اللجنة قررت توجيه لفت نظر إلى عدلى، نظراً لاعترافه بخطئه وموقفه المبدئى، وأشادت بموقف منصور الذى رغم صداقته الشديدة لعدلى جرجس، فإنه وقف من خطئه الموقف الصحيح.

نظراً لزيادة النشاط الثقافى بين المعتقلين والندوات والمحاضرات وقراءة الأخبار ومجلات الهواء، وتنفيذاً لتعليمات من الداخلية، قررت الإدارة إعادة تسكين المعتقلين على العنابر والغرف، وترتب على ذلك أن غالبية اللجنة القيادية قد نقلت إلى عنبر ١. وقد رفض أعضاء اللجنة القيادية لعنبر ٢ والمنقولين إلى عنبر ١ الخضوع للقيادة الموجودة فيه، وفعلاً تم انقسام وتَشكُل ما سُمي (الأفق) وأخذ شكل الاجتماعات المستقلة.

ومن مفهوم عدلى جرجس، للعمل السياسى داخل السجون والمعتقلات، لا يقف الاهتمام فقط عند حد المناقشات والمحاضرات، ولكن، وفى الأساس، العمل على مساعدة الزملاء على الصمود والمحافظة على صحتهم. وفى هذا الصدد، أذكر أن المعونة الأمريكية التى كانت ترد ألبان منها إلى السجن وكانت تُلقى فى الزبالة، استطاع عدلى بمجهوده الشخصى، فى الأساس، أن يحول هذا اللبن ويصنعه جبناً كان يكفى المعتقل كله.

عندما فتح باب العمل فى مزرعة الواحات الخارجة للشيوعيين من مسجونين ومعتقلين، كان عدلى من أوائل المساهمين فى العمل فى المزرعة. وهو الذى أشرف على إعداد (الترنشات) التى كانت تمد المزرعة بالسباخ، فى الوقت نفسه الذى كانت تحمى فيه المعتقلين والمسجونين

من شيوعيين وإخوان مسلمين ومسجونين عاديين، من أضرار طفح مياه المجارى.

وبالنسبة للنشاط الثقافى، فقد اهتم عدلى جرجس بتقديم مقالات وأبحاث فى مجلات الهواء، التى كانت تقال فى العنابر شاملة دراسات وإحصاءات عن الطبقة العاملة المصرية وكفاحاتها، ودرجة الاستغلال الواقع عليها. وكان يرى فى هذا ضرورة، وعدم الاكتفاء بالمحاضرات النظرية الأيديولوجية البحتة. بعد وصول اللجنة المركزية للحزب، من أوردى ليمان أبى زعبل، لم يحدث ما كان ينتظره غالبية الزملاء من أن تقوم اللجنة المركزية بحل جميع المشاكل والتئام وحدة الحزب بطريقة مبدئية وصلبة، بل ظهر بوضوح أن تيارى الراية وع. ف، قد اشتركا فى تآمر لطرد أعضاء الموحد. وقد قال مسئول التنظيم العام صراحة فى المؤتمر الإقليمى لأعضاء الحزب فى الواحات، أن ذلك قد حدث فعلاً. وقد أدى الجو الذى شاع وقتئذ إلى خروج عدد غير قليل من أعضاء الموحد سابقاً، والموجودين فى الحزب، وانضمامهم إلى المنقسمين، أو تركهم لكل الارتباطات التنظيمية. ورغم أن عدلى جرجس من الموحد، إلا أنه رغم كل الاتصالات التى أجراها من زملاء وقادة من المنقسمين، ظل مرتبطاً بالحزب، ومدافعاً عنه من منطلق أنه من داخل الحزب تداوى جميع الأخطاء، وأن هذا هو الحزب الذى من أول واجباته كشيوعى أن يحافظ عليه. وظل هذا رأيه رغم كل ما كان يتحمله من اضطهادات بسبب الحلقية حتى خرجنا من معتقل الواحات فى ١٩٦٤.

فى أواخر أيام الواحات كان هناك إحساس عام، من منطلق فهم سياسى، بأن هناك اتصالات بين مسئولين فى الحزب، ورجال عبد الناصر، من أجل حل الحزب، خاصة وأن المنقسمين كانوا يعلنون صراحة، عن وجود مجموعة اشتراكية بقيادة عبد الناصر فى السلطة، وأنه يجب العمل معها، ولا داعى للتنظيم المستقل للطبقة العاملة من الحزب الشيوعى. ورغم هذا الإحساس لدى أغلبية كادر الحزب، إلا أن ذلك لم يكن قد اتضح وتأيد بوقائع عملية. أما بعد الخروج، وتصفية المعتقلات، وصدور العفو الصحى عن المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية؛ فقد بدا واضحاً، بتأييد من وقائع عديدة، حيث اتضحت الصورة، بأن هناك تفكيراً جدياً فى القيادة لحل الحزب، بدعوى أن الشيوعيين الذين هم خارج الحزب لا يريدون الارتباط باسم الحزب الشيوعى. وفى الوقت نفسه كانت الأغلبية العظمى من الزملاء، وخاصة العمال، يجرون خلف لقمة العيش التى شغلت كل جهدهم ووقتهم، خاصة بعد أن اخذت اللجنة المركزية قرارها

بتصفية الاحتراف وتسريح المحترفين. وقد وجد عدلي فرصة لحل مشكلة معيشته عندما عرض عليه عمه أن يتولى مصنع البلاط الذى يملكه فى أول شارع السبتية بالقاهرة. وفى الحقيقة فإن عدلي قدّم لي، ولكثيرين من الزملاء الذين كانوا فى مثل حالتي، مساعدات مالية فى حدود طاقته، وعرف عنه هذا، فذهب إليه مسئول تنظيمي الحزب بدعوى الزيارة، ولكنه أثناء الحديث طلب منه ألا يعطى أحداً نقوداً أو مساعدات، وإذا كان لديه فائض من أية إمكانية فليقدمها للحزب والحزب يتصرف فيها، ولكن عدلي رفض على اعتبار أن موقفه من الزملاء الذين يقدم إليهم مساعدات موقف فردى وإنساني، مع زملاء ارتبط بهم كفاحيًا لفترة ليست قصيرة، وفى حدود إمكاناته المحدوده التي لا يمكن أن تكفى لتمويل الحزب.

وأمام فكرة حل الحزب واتساعها، والحديث عنها تلميحاً ثم تصريحاً، التقى بعض الزملاء ومنهم عدلي جرجس ليتشاوروا. وبعد تحليل الموقف سياسيًا، ودراسة الوضع التنظيمى فى ضوء ما هو متاح من معلومات، قرر عدلى وزملاؤه أن يكونوا مستعدين لمواجهة قرار حل الحزب بعد إعلانه، وأن يعلنوا وقتئذ الاستمرار لحزب ٨ يناير. ولعله بسبب موقف عدلى المبدئي، ومعارضته لفكرة حل الحزب، وإعلانه ذلك، بل ومناقشة من كان يقابله من الزملاء فى خطورتها، فإنه لم يدع إلى المؤتمر الذى تقرر فيه حل الحل، بل أكثر من ذلك، فإنه من وقت خروجه من المعتقل لم ينظم فى أى مستوى حزبى ولم يتصل به أحد من الحزب بخصوص وضعه التنظيمي.

وعندما صدر قرار حل الحزب فعلاً، أعلنت هذه المجموعة، ومنها عدلى جرجس، الاستمرار لحزب ٨ يناير ١٩٥٨ . ورغم أن المصنع الذى كان يديره عدلي ويتعيش منه قد صُفى وأفلس، بسبب المشاكل مع الضرائب، ورغم أن عدلى قد تعرض لحالات مرضية سببها الأساسى مالقيه فى السجون والمعتقلات، ورغم أن السنوات الثلاث من عمره، حتى توفي فى ٢ يناير ١٩٩٠، قد قضاها فى المرض وملازمًا الفراش، إلا أنه ظل رافعًا راية الماركسية، وكان يُبدى لزواره من الزملاء أسفه الشديد وحزنه لأنه عاجز عن ممارسة العمل السياسى فى الشارع المصرى من أجل تحقيق الهدف الذى وهب له حياته وهو تحقيق الاشتراكية فى مصر وإلغاء استغلال الإنسان للإنسان.

شهادة

هليل شفارتز

ولادة الحركة الشيوعية المصرية

لقد كان الحركة الشيوعية المصرية طابع شديد الخصوصية، إذ ميزها عن بقية الحركات الشيوعية عدد من القسمات المتفردة، وهي قد ظهرت كما لو كانت شيئاً ينشأ من فراغ، وأنا هنا أتحدث عن الحركة التي ظهرت خلال الحرب العالمية الثانية دون أن يكون لها أى ارتباط بالحرب الشيوعي الذي ظهر أوائل العشرينيات، ثم اختفى دون أن يترك أي أثر. وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، لم يكن بمصر لا حركة شيوعية، بل ولا حتى مصري واحد يعتبر نفسه شيوعياً، ولم يكن هناك سوى بعض الأفراد المنعزلين، المنتمين إلى الجاليات الأجنبية المقيمة بمصر، من الذين بدأوا يتطلعون إلى المثل الأعلى الشيوعي. وكانوا، بصفة عامة، شباباً صغار السن، ليس لهم أي ارتباط بالشعب المصري، ممن اهتموا بالسياسة من متابعة الأحداث الدولية من خلال الصحف الأجنبية. وكان أغلبهم يهوداً ذوي ثقافة فرنسية، تأثر تطورهم الثقافي بالصراع ضد الفاشية في أوروبا واندلاع الحرب العالمية الثانية.

ومن ناحيتي، فمع اعتباري شيوعياً، لم أكن أتصور أن أقوم بأي كفاح في مصر. وقد حاولت، إبان حرب الأهلية الاسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩)، أن أنضم إلى الفرقة الدولية، ولكن ذلك لم يتحقق لأسباب خارجة عن إرادتي، وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، وجدت نفسي مضطراً للبقاء في مصر، وكان كل اهتمامي منصباً على الحصول على المعارف النظرية التي كانت تنقصني لكي أستطيع أن أقوم، في وقت لاحق، بنضال سياسي فعال. ولكن كيف السبيل للحصول على هذه المعارف؟ إذ لا يوجد مدرسون للماركسية، ولا مراجع لها، ولكنني، مع ذلك، عثرت بطريق المصادفة على نسخة مستعملة من "البيان الشيوعي" لكارل ماركس، ولكتيب "ماذا يجب أن نفعل" للينين، مخبأتين خلف عدد من الكتب العادية في إحدى مكتبات القاهرة. ولكم أن تتصوروا مدى فرحتي بهذه المفاجأة! وكان الكتابان باللغة الفرنسية، حيث لم يكونا قد ظهرا بالعربية في ذلك الوقت.

وفي تلك الفترة علمت، عن طريق صديقة لشقيقتي، أنني لم أكن الشيوعي الوحيد بمصر،

* ترجمها عن الفرنسية م. سعد الطويل- عضو لجنة التوثيق

فقد أبلغتني بوجود شخص يدعى هنري كورييل، كانت تعتقد أنه ممثل الكومنترن بمصر. وغني عن البيان أن الكومنترن لم يكن له ممثل بمصر في ذلك الوقت، ولا أصبح له ممثل فيها بعد ذلك، فقد تطورت الحركة الشيوعية في مصر طوال فترة الحرب، دون أن يكون لها أي ارتباط بالخارج، وهذه كانت إحدى القسمات المميزة لهذه الحركة. وقد تقابلت مع هنري كورييل الذي اقترح عليَّ الانضمام مع بعض الأصدقاء إلى حلقة للدراسات الماركسية، وقد قبلت اقتراحه بحماس، وأخذنا نجتمع بانتظام في منزل واحد منا.

وقد أفادتني هذه الاجتماعات من ناحية التكوين الثقافي، ولكنها لم تشبع جوعي لأنها لم تعد بأي توجه نحو العمل النضالي، ولأنها كانت تجري في وسط برجوازي كان قد بدأ يثقل علي، على الرغم من أني أنتمي أصلاً لهذا الوسط نفسه. وأذكر هنا واقعة حدثت في أحد الاجتماعات، حيث انشغلت شابة من المشاركات بتقليم أظافرها وطلائها، فلما لفت نظرها إلى أن الوقت ليس مناسباً لهذا النوع من النشاط ونحن نتناقش في مصير الإنسانية، أجابت بعبارة اشتهرت في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، قائلة: "الشيوعية لا تعني التخلي عن الرفاهية".

وباختصار، انفصلتُ عن هذه المجموعة بعد مرور بعض الوقت، وتابعت النضال ضمن حلقة ثقافية ناطقة بالفرنسية تسمى "الاتحاد الديمقراطي" أخذت تجتذب عدداً متزايداً من الأجانب التقدميين. وكان الاتحاد الديمقراطي يعمل كحلقة علنية، وينظم محاضرات ومناظرات، وله مكتبة. واعتماداً على هذا النشاط، بدأت في تكوين عدد من العاطفين على الشيوعية، ثم تنظيمهم. ولم أكن على علم بنشاط هنري كورييل، ولكنه لم يكن متوقفًا عن النشاط، وعندما كوَّنت عام ١٩٤٢، مع بعض الرفاق، أول منظمة شيوعية، أسميناها إسكرا "الشرارة"، كان هو قد أسس، في نفس الوقت نفسه تقريباً، منظمة اسمها "الحركة المصرية للتحرير الوطني".

وهكذا تكونت منظمتان شيوعيتان في الوقت نفسه تقريباً، وقد علمت فيما بعد، أنه كانت هناك منظمتان أخريان، هما: "تحرير الشعب" التي أسسها يهودي آخر هو مارسيل إسرائيل، و"جماعة الدراسات" التي أسسها سويسري يتحدث الفرنسية هو بول جاكو ديكومب. ولن أتحدث كثيراً عن هاتين المنظمتين نظراً لأنهما لم تلعبا إلا دوراً ثانوياً في ظهور الحركة الشيوعية المصرية، وإن كانت الثانية منهما قد حققت اتصالاً مبكراً بالعمال المصريين، وبعدها

عبت دور غير قليل في الحركة لنقابية عن طريق اتصـالاتها العمالية إلى جانب مجلة "الفجر لجديد" التي أصدرتها.

وحـدث أول اتصـال للشـرارة بالطبقـة العـاملة عـام ١٩٤٢، حيث أتاح لي عملي بإحدى شركات الأدوية (شركة دلمار) الاتصال بعامل طباعة اسمه زكي أبو الخير كان سكرتيراً عاماً لنقابة عمال المطابع، وكان يصدر مجلة باللغة العربية اسمها "اليراع" كان يمولها حزب الوفد (حزب البرجوازية الوطنية). وقد تصادقنا، ونجحت في اكتسابه لصف قضية الشيوعية، ولكن أدى ضعف معرفتي باللغة العربية، إلى عجزى عن القيام بإعطائه التكوين النظرى المنشود، خاصة أنه لم تكن توجد مراجع ماركسية باللغة العربية تصلح لاستخدامها لهذا الغرض. وقد كان يعرض على المقالات التي يحررها لنشرها في مجلته فأعطيه النصائح بشأنها، ولكن العلاقة توقفت عند هذا الحد. وهنا وصلت إلى اقتناع بأننا إذا كنا نريد تكوين حزب شيوعي في مصر فإنه لا مندوحة عن تجنيد مثقفين مصريين قادرين على ترجمة المراجع الماركسية من الفرنسية أو الإنجليزية ليتثقفوا هم أولاً، ثم لتستخدم في تثقيف الكوادر العمالية بعد ذلك.

ولحسن الحظ، كانت المراجع الماركسية قد توفرت، وذلك بفضل الاتصالات الكثيرة التي حققناها مع العناصر الشيوعية ضمن قوات الاحتلال البريطاني، وبقي علينا أن نجد المثقفين المصريين. وبدأت الاتصالات بين "الشرارة" وبين المثقفين المصريين أواخر عام ١٩٤٢، فقد بدأ التجنيد يتوسع في الجامعة سواء بين الطلاب أم المدرسين، وكانت الحلقة الرئيسية في التجنيد تتم عن طريق "دار الأبحاث العلمية"، وهي حلقة دراسات قانونية كانت بمثابة الاستداد للاتحاد الديمقراطي في الأوساط المصرية.

وهكذا جرى تمصير "الشرارة" بسرعة، وفي الوقت نفسه بدأت الاتصالات بالطبقة العاملة عن طريق "الجامعة الشعبية"، حيث كان المثقفون الشيوعيون يتصلون بالطبقات الشعبية بنجاح كبير.

وفى الوقت نفسه، حققت منظمة هنري كورييل، والتي لم يكن لنا بها أي اتصال، تقدماً مماثلاً. وبدأت الاتصالات بين المنظمتين على أرض الواقع، في الجامعة أو فى النقابات، وابتداءً من عام ١٩٤٥، حدثت بعض أشكال النضال المشترك بين منظمة هنرى كورييل و"الشرارة" التي كانت قد انضمت إليها منظمة "تحرير الشعب" الصغيرة بقيادة مارسيل

إسرائيل. وبدأت في الظهور مشكلة توحيد الحركة الشيوعية المصرية، ولكن كانت هناك بعض العقبات في طريق الوحدة بين "الحركة المصرية" و "الشرارة". ولم تكن المشكلة نابعة من المنافسات الشخصية كما تردد أحياناً على لسان البعض، ولكن الأمر كان يتعلق بمشاكل تنظيمية وخلافات سياسية حقيقية.

فعلى مستوى التنظيم، كانت "الشرارة" عبارة عن هيكل مقسم إلى قطاعات محددة كالطلبة والمثقفين والعمال واليونانيين والأرمن واليهود المتحدثين بالفرنسية .. إلخ، وكان كل قطاع يضم خلايا منفصلة، وكانت قواعد الأمان مطبقة بكل دقة، فلم يكن أعضاء أي خلية يعرفون غير الأعضاء في خليتهم. وكانت كل خلية تنتخب مسئولاً، وكان هؤلاء المسئولون، بدورهم، ينتخبون لجان الفروع والأقسام، وترأس الجميع اللجنة المركزية التي ينتخبها ممثلو لجان الأقسام.

أما في "الحركة المصرية"، فقد كانت القواعد التنظيمية أكثر مرونة بكثير، وقواعد الأمان أقل تشدداً، أما الانتخابات الداخلية فلم يكن لها وجود. فلما بدأت المفاوضات الأولى بشأن الوحدة، تمسك كل طرف بموقعه.

كذلك كانت الاختلافات بشأن الخط الواجب إتباعه واسعة جداً. فبالنسبة "للشرارة" لم يكن ممكناً تجنيد أياً كان، بل كان لا بد أولاً، من تكوين كادر شيوعي - أثناء النضال بكل تأكيد ولكن عن طريق معرفة نظرية متعمقة. وقبل اكتساب عضوية المنظمة، كان من الواجب متابعة برنامج دراسي عن الماركسية، ولتحقيق هذ الهدف، حصلنا من الحزب الشيوعي اللبناني على محاضرات باللغة الفرنسية، وضعها شيوعي فرنسي هو ماكسيم رودنسون، وترجمناها إلى العربية. كذلك كان من شروطنا لقبول الكادر، الإخلاص التام للقضية قلباً وقالباً، فأعضاء "الشرارة" لم يكونوا يدفعون اشتراكات، وإنما كانوا يعطون كل ما يملكون لصندوق المنظمة. أما بالنسبة "للحركة المصرية"، فقد كان تكوين الكادر يكتفي بالنضال العملي، وكانوا يعتبرون ما تقوم به "الشرارة" مبالغة في اتجاهات المثقفين.

ولم تلبث محادثات الوحدة أن اكتسبت زخماً جديداً مع بدء حركات الإضراب في صناعة النسيج، ومع التطور السريع للحركة الوطنية التي كان للشيوعيين أن يلعبوا فيها دوراً أساسياً. فقد انتهت الحرب العالمية الثانية التي دفعت التغيرات الاجتماعية في مصر بقوة،

وفقدت القوات البريطانية أي مبرر لوجودها بالبلاد. وفي أكتوبر ١٩٤٥ أصدرت "الشرارة"، عن طريق "دار الأبحاث العلمية"، بياناً تحت عنوان "أهدافنا الوطنية"، عرض لأول مرة، برنامجاً من وضع الشيوعيين، يغطي كل أهداف الحركة الوطنية. وكان هذا الكتيب يقدم ويحلل كل الأهداف الوطنية، بما في ذلك جلاء القوات الأجنبية، ووحدة مصر والسودان، والنضال ضد الإمبريالية، والإصلاحات الاجتماعية، وتوزيع الأرض على الفلاحين، والمساواة بين الجنسين، واحترام الحريات الديمقراطية.

وبنهاية عام ١٩٤٥ وبداية ١٩٤٦، تضاعفت سرعة الأحداث، فكان هناك أولاً، الإضراب الكبير لعمال شبرا الخيمة، وبعدها، في ٩ فبراير، كانت مظاهرة طلبة القاهرة، حيث فتح المسئولون كوبري عباس أثناء مرور الطلبة، فسقط البعض منهم في النهر وغرقوا. وفي ١٩ فبراير تكونت "اللجنة الوطنية للطلبة والعمال" التي كان للشيوعيين فيها دور أساسي. وفي ٢١ فبراير ١٩٤٦ احتفل "بيوم الجلاء" يوماً للإضراب العام، وقامت مظاهرة هائلة حدث خلالها صدام بين المتظاهرين والقوات البريطانية وسقط عدد من الضحايا. وشعر الإنجليز بعدها بأن الوضع لم يعد محتملاً، وأعلن رئيس الوزراء "أتلي" بعدها ببضعة أيام جلاء القوات البريطانية عن الدلتا، والانسحاب إلى منطقة قناة السويس.

واستمر النضال ما بين صعود وهبوط، وفي أبريل ١٩٤٧ صدر العدد الأول من مجلة "الجماهير" التي أصدرتها "الشرارة"، ولم تلبث أن حققت نجاحاً كبيراً سواء في صفوف المثقفين أو العمال، وقام المثقفون، في بعض الأماكن بقراءتها في جلسات عامة لمن لا يجيدون القراءة.

وظل الفلاحون بعيدين عن هذه الأحداث المثيرة، وإن كانوا قد تأثروا بها إلى حد ما، إذ يجب ألا ننسى أن البروليتاريا المصرية كانت حديثة النشأة، والكثير من أفرادها جاءوا من الريف حديثاً، وما زالت لهم ارتباطات كبيرة به.

وازدادت الأوضاع إثارة، تحت تأثير المنظمات الشيوعية، ولكن حتى الآن لم يتكون الحزب الشيوعي الذي سيأخذ الأمور بين يديه، وهكذا أصبحت الوحدة بين "الشرارة" و"الحركة المصرية" موضوعاً لا يحتمل التأخير. واتفق، بناءً عليه، على ترك نقاط الاختلاف جانباً بشكل مؤقت، وإتمام الوحدة فوراً تمهيداً لتأسيس الحزب الحقيقي. وتمت الوحدة، على أساس

المساواة بين المنظمتين، وهكذا تكونت، في سبتمبر ١٩٤٧ "حدتو" (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني)، التي كانت تضم وقتها، جميع الشيوعيين المصريين تقريباً.

وهنا أتوقف عن السرد، وأترك لغيري إكمال القصة.

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

رقم المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكى المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ - ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرين.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضاً بالفجر الجديد عام ١٩٤٥ (يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكرى، رشدى صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون)، ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال فى بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى عام ١٩٥٧ .	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د.حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦
١١	لعصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، شعبان حافظ من الحزب الأول وأخرين.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية - إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	حركة تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تماماً كالعمالية الثورية، والتكتل الثورى.	مايو ١٩٤٨
١٨	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكى وآخرون).	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٩
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى، ميشيل كامل، فاطمه زكى وآخرون)	١٩٤٩
٢١	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى وآخرون).	١٩٤٩
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكرى سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشى وآخرون).	١٩٤٩
٢٣	جبهه التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمى، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٩

٢٤	اتجاه النضال الثوري	إبراهيم عرفة وآخرون.	١٩٤٩
٢٥	نواة الحزب الشيوعي المصري	امتداد العصبة الماركسية بعد تحللها (فوزي جرجس) واتجاه النضال الثوري وبقايا من التكتل الثوري.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعي المصري (الراية)	(فؤاد مرسي، إسماعيل صبري عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلي جرجس، فوزي حبشي، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثوري (فخري لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحي وعلى الشوباشي وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (التيار الثوري)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعي، حمدي عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٢
٣١	الحزب الشيوعي المصري الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعي + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثوري.	١٩٥٥
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزي جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعي المصري المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعي المصري (الراية).	١٩٥٧

٣٤	الحزب الشيوعي المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت لحزب الشيوعى المصرى.	١٩٥٨
٣٥	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة الشيوعيين التى خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات، (رمسيس لبيب).	١٩٦٢

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكيم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان خليل

فائمة مطبوعات
مركز البحوث العربية

١- فؤاد مرسى، مصير القطاع العام فى مصر ١٩٨٧

٢- لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية في مصر ١٩٨٨

٣- رشدي سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل ، ١٩٨٨

٤- عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨

٥- وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨

٦- أبوسيف يوسف وآخرون ، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية ، ١٩٨٩.

٧- ابراهيم برعي ، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٣/١٩٨٩

٨- ابراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الاصلاح ، ١٩٩٠

٩- ابراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠.

١٠- أحمد عبد الله (المحرر) ، الانتخابات البرلمانية فى مصر- نشر مشترك مع دار سينا ، ١٩٩٠

١١- حيدر ابراهيم ، أزمة الاسلام السياسي، الجبهة الاسلامية القومية فى السودان ، ١٩٩٠

١٢- محمد عبيد غباش ، من لايعرف شيئا فليكتب، خربشات رجل بلاد النفط ، ١٩٩١

١٣- ألفت الروبى ، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١

١٤- محمد على دوس ، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الافريقى ، ١٩٩١

١٥- أحمد نبيل الهلالى وآخرون ، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.

١٦- أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق) ، ١٩٩٢

١٧- سمير أمين، من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية ، ١٩٩٢

١٨- المسألة الفلاحية والزراعية في مصر :أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢

١٩- جويل بنين، زكارى لوكمان ، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد ١٩٩٢

٢٠- إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية في مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان ، ١٩٩٢

٢١- أحمد يوسف أحمد : منطق العمل الوطنى- حركة التحرر الوطنى الفلسطينية فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان ، ١٩٩٢.

٢٢- ليلى عبد الوهاب ، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة ، ١٩٩٢.

٢٣- أحمد محمد البدوى ، لبن الأبنوس يازول ١٩٩٢.
٢٤- مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية ، المرأة وتعليم الكبار ، ١٩٩٢.
٢٥- ادريس سعيد ، عظام من خزف ١٩٩٣.
٢٦- دارام جاى(تحرير) ، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب ترجمة /مبارك عثمان ، نشر مع اتحاد المحامين العرب ١٩٩٣.
٢٧- مايكل دراكوه (تحرير) ، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف ، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا،١٩٩٤
٢٨- عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول ، ١٩٩٤.
٢٩- نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية فى مصر نشر مع دار الأمين ، ١٩٩٤.
٣٠- آمال سعد زغلول دور الحركة الشعبية فى حرب السويس ، ١٩٩٤.
٣١- لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.
٣٢- على عبد القادر ، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان ، ١٩٩٤
٣٣- حلمى شعراوى وعيسى شيفجى ، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤
٣٤- لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق) ، حول الفن ، ١٩٩٤
٣٥- جودة عبد الخالق (تحرير) ، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤
٣٦- عبد الغفار شكر (تحرير) ،التحالفات السياسية فى مصر، ١٩٩٤
٣٧- صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.
٣٨- عبد الغفار أحمد ،السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥
٣٩- بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى ، مع اتحاد المحامين العرب، ترجمة حلمى شعراوى وآخرون ، ١٩٩٥
٤٠- سمير أمين (تحرير)، الدولة والمجتمع: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٦.
٤١- سمير أمين (تحرير) ،المجتمع والدولة :حالة لبنان ، مشترك مع مدبولى ،١٩٩٦
٤٢- مصطفى كامل السيد(تحرير) ، حقيقة التعددية السياسية فى مصر ، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.
٤٣- سيد البحراوى (تحرير) ، لطيفة الزيات : الأدب والوطن نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.
٤٤- عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى ، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة ولتنمية ، ١٩٩٦.
٤٥- جويل بنين ، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى ، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.
٤٦- عبد الغفار شكر (تحرير) ، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧ .

٤٧- سمير أمين (تحرير)، الدولة والمجتمع :حالة المشرق العربي نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧ .

٤٨- سمير أمين (تحرير)، الدولة والمجتمع : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٧ .

٤٩- كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨ .

٥٠- عبد الغفار شكر (تحرير) ،اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨ .نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨ .

٥١- عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية . نشر مشترك مع دار المحروسة ، ١٩٩٨ .

٥٢ - محمد أبو مندور وآخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣- عبد الغفار أحمد (تحرير) : ادارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤ - لايف مانجر وآخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥ لايف مانجر، الفوقة النوبة، ترجمة مصطفي مجدي، ١٩٩٩

٥٦ - أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩ .

٥٧ - محمود عودة، (إشراف) الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩

٥٨ - محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩ .

٥٩- عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن لعربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩ .

٦٠- عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولمة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.

٦١- عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل-١٩٩٩.

٦٢- أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٦٣- فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠ .

٦٤- حلمى شعراوى، افريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين ٢٠٠١ .

٦٥-حلمى شعراوى، ثقافة التحرر الوطنى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١ .

كراسات المركز

٦٦- أحمد هنى، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر ، ١٩٨٨

٦٧- عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨

٦٨- أشرف حسين ، بيليوجرافيا الطبقة العاملة ، ١٩٨٨

٦٩- العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩

٧٠- مصطفى نور الدين عصية، المجتمعات التابعةومشكلات التنمية لمستقلة، ١٩٨٩

٧١- موشي ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسي ، البريسترويكا في عيون الآخرين ، ١٩٩٠

٧٢- نادر فرجاني ، الأزمة العربية الكبرى

٧٣- محمد أبو مندور وآخرين، ازمة المياه في لوطن العربي، ٢٠٠٠

٧٤- إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، ٢٠٠٠

٧٥- عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، ٢٠٠٠

٧٦- حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، ٢٠٠٠.

* **أفريقية عربية : مختارات العلوم الاجتماعية، مجلد١ (اكتوبر ١٩٩٩)، مجلد٢(مارس ٢٠٠٠)** نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين.

كراسات كوديسريا

١- أوكوادبا نولي ، الصراع العرقي في أفريقيا ،١٩٩١ .

٢- ايبو هو تشغول ، الجيش والعسكرية في أفريقيا ، ١٩٩١ .

٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين في أفريقيا : قيود وإمكانيات ، ١٩٩١.

٤- جيمي اديسينا، الحركات العماليه وضع السياسة في أفريقيا ، ١٩٩٢

٥- أديسولات سالو ، تغير البيئة العالمية. جدول أعمال بحث لافريقيا ، ١٩٩٣ .

٦- م. مامداني ،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية في أفريقيا .

٧- ثانديكا مكانداويرى ، التكيف الهيكلي والأزمة الزراعية في أفريقيا .

٨- مومار ديوب ، ممارديوف ، تداول السلطة السايسية وألياتها في افريقيا

٩- ارشي مافيجي، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة في أفريقيا ، ١٩٩٣

١٠- سليمان بشير دياني،المسألة الثقافية في أفريقيا

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها

١٢- عبدو ماك سيمون، عملية التحضر، والتغير في أفريقيا، ١٩٩٩

١٣- أمية ماما ، دراسات عن المرأة ودراسات لنساء في أفريقيا، ١٩٩٩.

١٤- تادى أكين أنيا، العولمة السياسية الاجتماعية في أفريقيا،١٩٩٩.

١٥- مامادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطي : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.

١٦- حكيم بن حموده، نظريات ما بعد التكيف الهيكلي، ٢٠٠٠.

١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة في أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشبلي ميمبي، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادي والتنمية في أفريقيا .

٢- تحسين أداء المشروعات العامة في أفريقيا : دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة في أفريقيا

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية في الجامعات الأفريقية

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا
٦- دعم حيوية الجامعة الافريقية فى التسعينيات ومابعدها.
٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.
٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا
٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية
١٠- اعمال ندوة حول الديمقراطية والمشركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.
١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا
١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا
٢- دراسة حالة فى أوغندا
٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة
٤- المبادىء الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل بين الحكومات والمنظمات الشعبية
٥- دراسة حالة فى جامبيا
٦- دراسة حالة فى أثيوبيا

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة
٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية.
٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات
٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة
٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية
٦- إدارة المشروعات الصغيرة
٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة
٨- دور مؤسسات المجتمع المدنى في منع وإدارة وحل الصراعات فى افريقيا

النشرات

١- نشرة البحوث العربية
من العدد التجريبى يناير ١٩٩٠ إلى العدد الحادى عشر ١٩٩٨
٢- نشرة المجلس الافريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا)من العدد الأول ابريل ١٩٩١ إلى العدد السابع والثلاثين ،اكتوبر ١٩٩٩
٣- نشرة العلوم السياسية الافريقية
من العدد الأول إلى العدد الثانى والثلاثون، ابريل ٢٠٠٠
٤- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار
العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثانى يونيو ١٩٩٧

تحت الطبع

* سمير أمين (إشراف) : سلسلة المجتمع والدولة فى الوطن العربي: حالة السودان، بلدان الخليج.
* عبد الغفار شكر (تحرير) : ندوة التعاونيات .
* التعليم العالى والتنمية
* المجتمع المدنى فى مواجهة سياسات الإفقار.
* المرأة فى القطاع غير الرسمى.
* مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى.
* عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية.

تنــويـه

■ نأسف لحدوث خطأ فى شهادة الأستاذ نبيل قرنفلى فى الجزء الرابع ، حيث نُقلت خطأ فى مقدمة شهادته فترات الاعتقال من شهادة أخرى . بينما ذكر الأستاذ نبيل فترات اعتقاله فى صلب شهادته .